سعد دحلب



طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

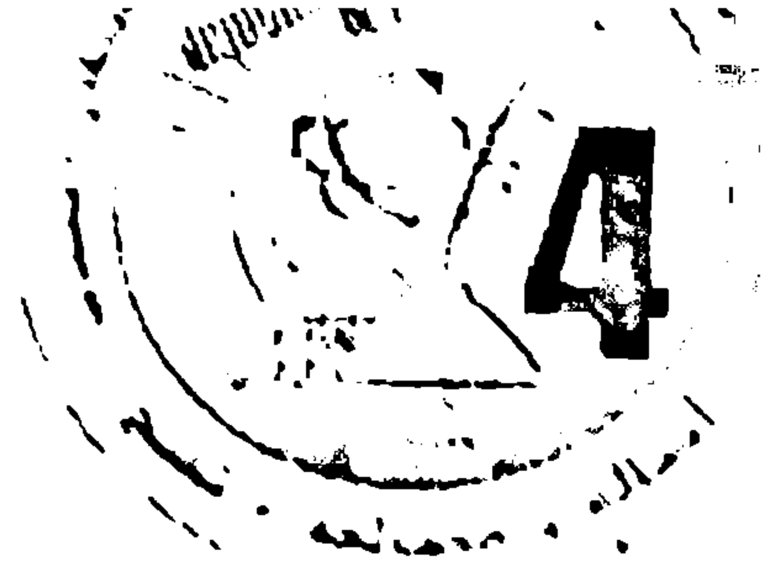
المهمة منجزة
من
أجل استقلال الجزائر







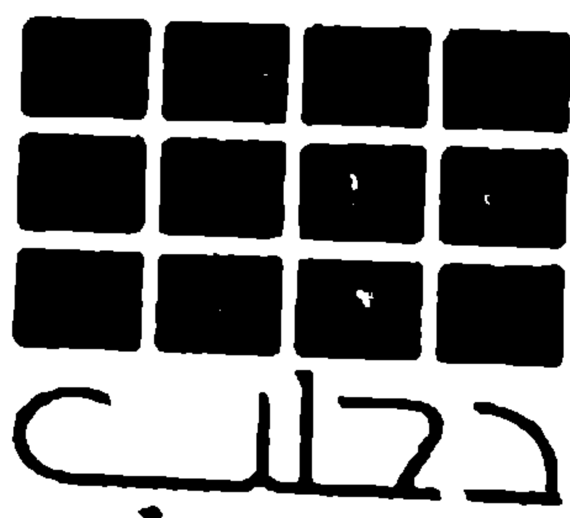
سعد دحلب



طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

المهمة منجزة
من أجل إستقلال الجزائر

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى الـ 45 لعيد الإستقلال والشباب



الإيداع القانوني: 2007-220
ردمك : 0 192 61 9961 978
الهاتف والفاكس 72 12 60 021

بسم الله الرحمن الرحيم

من أجل استقلال الجزائر

المهمة منجزة

تمهيد :

لقد ظهرت مئات من الكتب حول جبهة التحرير الوطني، و حرب الجزائر و علما مني بأني لن آتي بالجديد فأنا لست على أي استعداد لاكتب بدوري عن تاريخ الجبهة، و لكن يبدو لي - في الوقت ذاته - أنه لم يسبق لأي كاتب أن شد الإنتباه الى الدور البالغ الأهمية الذي لعبته الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (الحكومة . م . ج . ج)، و قد لاحظت من جهة اخرى أن كثيرين من الشباب الجزائري لايعلم أي شيء عنها .

إطلالة سريعة على نشاط و سياسة الحكومة المؤقتة منذ نشأتها حتى الإعلان عن استقلالنا في يوم الثالث جويلية 1962 ، الثالث و ليس الخامس كما قرر ذلك ابن بلة ليمحو (حسب ما يبدو) تاريخ الخامس من نفس الشهر سنة (1830) و هو دليل على الطموح اللامتناهي لهذا الأخير، و كما لو كنّا نستطيع أن نمحو التاريخ بجرة قلم ؟ !

ومن هذا الحال فنحن قد انتزعنا استقلالنا يومين قبل انتصار الجنرال « دو بورمون » و ياله من ثأر ! !

فنحن نقول - على العكس من ذلك - للشباب الجزائري الأ ينسى تاريخ الخامس من جويلية 1830 حتى يكون و يظل يقظا و غيورا على و طنه لكي لا يتكرر هذا التاريخ مدى الدهر .

وهكذا فان إلقاء نظرة سريعة على نشاط الحكومة المؤقتة قد يزيح اللبس عن الاحداث و يظهر الحقيقة .

فقصدي هو أن أبين أن الحكومة المؤقتة و رجالها لم يقصروا .كنت عضوا في مكتب امحمد يزيد و زير الاعلام في أول حكومة مؤقتة، ثم أمينا عاما لوزارة الشؤون الخارجية التي كان على رأسها كريم بلقاسم في ثاني (ح م ج ج) و أخيرا و زيرا للشؤون الخارجية في ثالث (ح م ج ج) و أنا من أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية و أعضاء أول لجنة للتنسيق و التنفيذ . و بهذه الصفة فقد عشت الظروف الخطيرة (خصوصا اضراب 8 أيام) التي أدت باللجنة إلى الخروج من الجزائر و إرغامها على اتخاذ مركزها خارج تراب الوطن، و هذا يتنافى مع قرارات مؤتمر الصومام التي تنص على أن تكون قيادة جبهة التحرير الوطني داخل التراب الوطني .

وهكذا فقد عرفت لجنة التنسيق و التنفيذ المنبثقة عن مؤتمر الصومام، و عملت بصفة مباشرة و متواصلة مع تلك التي أتت بعدها . و تعاملت مع حكوماتنا المؤقتة الثلاث .

فلربما - و بهذه الصفة - أمكنني التحدث عنها دون خطر الوقوع في الكثير من الأخطاء . فليست لي أية أغراض أخرى غير المشاركة - في حدود الامكان

- و بالقدر الذي تخوله لي إمكاناتي المتواضعة، لإنارة أولئك الذين يهمهم تاريخ الجبهة .

غير أن الشيء الأكثر خطورة هو أن الذين عرفوا بعض الأشياء فقط يتعلمون تاريخا يكون بالضرورة ناقصا فيما يخص (ح م ج ج) أو تاريخا محرفا، لان الطلبة لا يرونه إلا من خلال المنظور المشوه الموروث عن ابن بلة و خليفته : المنظور الذي خول الحكم لهؤلاء أن يفرضوه و الذي تقبله الكثير دون أي انشغال غير الحصول على حظوات أو تكريمات « كبار » اليوم أو التصالح معهم و نيل رضاهم .

استقلال الجزائر يرجع لكفاح و تضحيات الشعب الجزائري . هذا الاستقلال الذي لم يتقبله الجنرال دوقول قبل أن يجرب المستحيل للحفاظ على الجزائر لفرنسا بصفة أو بأخرى، إلا أنه في النهاية هو الذي خضع لشروط الحكومة المؤقتة و ليس العكس .

يعود سقوط الحكومة المؤقتة (التي كان يتعين عليها أن تترك سلطتها إلى ممثلي الشعب المنتخبين مهما كانت الأوضاع و الاحوال بعد الاستقلال) إلى و طنيتها، و حسها و تقديرها للمصلحة العليا للوطن الذي يجب أن تقبل كل التضحيات من أجله .

وقد فضلت الحكومة المؤقتة أن تترك الميدان لبن بلة و بومدين على أن ترد عليهما بنفس الاساليب و الطرق .

سعد دحلب

فبراير 1986

المقدمة :

الكفاح من أجل استقلال تام للجزائر

كانت كل الوسائل التي بحوزتنا غير كافية لمواجهة القوة الفرنسية فالصراع كان غير متكافئ بين الخصمين (التمكن الكلي لفرنسا من الجزائر) الى حد جعل الكثير من الناس يبحثون إلى يومنا هذا عن الأسباب و العوامل التي - و رغم كل الصعوبات - ضمنت نجاح الجبهة و آلت الى استقلال الجزائر .

والذين كثرت تساؤلاتهم هم أصدقاؤنا أنفسهم الذين بعد أن عرفوا فينا كل الخصال و القيم إبان حرب التحرير، لم يفهموا عدم تمكننا من الإتفاق في ساعة النصر . و الرد على هذا السؤال يستوجب ابحاثاً كثيرة و كبيرة ، و على أية حال قلماً أكثر اختصاصا و خبرة في هذا الميدان، من كاتب هذه الصفحات .

بيد أنه يبدو لي أننا نستطيع محاولة إبراز العوامل الرئيسية التي كونت قوة جبهة التحرير الوطني، و سوف نتطرق فيما بعد إلى أسباب أزمة هذه الأخيرة في صائفة 1962 .

فالعوامل نوعان : يعود البعض منها إلى تاريخ الجزائر في حد ذاته، و وحدة الشعب و ثقافته العربية الإسلامية و إلى سياق الأحداث الدولية . حيث يرجع فضل الحكومة المؤقتة (و من قبلها لجنة التنسيق و التنفيذ (ل ت ت) و التي ما هي إلا استمرار لها)، إلى كونها عرفت كيف تستغل كل هذه العوامل المتضافرة و تسخرها لخدمة الصالح العام للثورة التحريرية .

ويعود البعض الآخر إلى دبلوماسية الحكومة المؤقتة ذاتها، و عملها الخاص.

ان العامل الأول في قوة جبهة التحرير الوطني، يتمثل في كون المقاومة الجزائرية للإحتلال الفرنسي، لم تهدأ - أبدا - منذ أول طلقة من مدافع العدو في سيدي فرج من 14 جوان 1830 الى غاية يوم وقف اطلاق النار في 19 مارس 1962 .

وعندما كنا نتحدث عن 132 سنة من الوجود الفرنسي في الجزائر كنا نساعد - من حيث لانقصد - فرنسا التي ظلت تدعي أن الجزائر فرنسية لأنها كانت فيها منذ 132 سنة . و في واقع الأمر و الحقيقة أن الحرب، و المقاومة لم تهدأ أبدا على امتداد تاريخ الاحتلال الفرنسي للوطن.

فمن 1830 إلى 1847 - كانت الحرب التي قادها الأمير عبد القادر عبر كل التراب الوطني، في أوج ذروتها، و فضاعتها، و كل ما ينجر عنها، حيث لم يعرف خلالها الجيش الفرنسي طعم الراحة و الطمأنينة إلا عند استسلام الأمير في 1847 أي ثلاث سنوات بعد الاستيلاء على زمالته في تاجوين سنة 1844 .

ومن 1847 إلى 1871، كانت شبه الحرب المتمثلة في الانتفاضات و الثورات الجهوية العارمة و العمليات العسكرية المفاجئة . فكانت ثورات في منطقة القبائل أثناء سنوات 1853 - 1854، و انتفاضة بني سناسن في نواحي و هران في 1859، و ثورة أولاد سيدي الشيخ و بوعمامة في 1864 . و ثورة المقراني بمنطقة القبائل 1871 .

فمنذ 1871 لم تهدأ قط الثورات و الانتفاضات في الجزائر . وقد كان القمع الدامي الذي عرف بعد كل من الحرب العالمية الأولى والثانية دائم التلازم مع

هذه المقاومة المستمرة للاحتلال الفرنسي . وكان آخر هذا القمع تاريخا وأكثره شهرة، هو القمع الذي وقع في سطيف وخراطة وڤالمة، وخلف ما يزيد عن 45 ألف ضحية . فالحملات التأديبية في معسكر(شامبلان سابقا) وتدمايت (اصون فيير سابقا) في 1948 . والمسح الشامل لدوار سيدي علي بوناب سنة 1949 مازالت راسخة في ذاكرة كل أجيال الخمسينات .

ولك من جنود الفيلق الاجنبي، والطابور المغربي الذين تجاوزوا في قساوتهم أشد درجات الوحشية المعتادة عند العسكرية الاستعمارية . والاعتقالات الجماعية لاعضاء المنظمة السرية في 1950، والسجون الجزائرية والفرنسية، ومحتشدات ومعتقلات جنين بورزق، ومشرية و(بوسوي) وتلاغ وعين وسارة وبني مسوس ... إلخ تشهد كلها على القمع المستمر للمقاومات الجزائرية العريقة .

فلم يسد السلام أبدا في يوم من الأيام إلا بقوة السلاح . ولم يكن الفاتح من نوفمبر 1954 إلا القرار الأخير الذي أعطى الضربة القاضية للاحتلال الفرنسي، وأسدل بذلك الستار على الليل الطويل والمرير الذي دام 132 سنة .

والعامل الثاني : هو أنه وللمرة الأولى في تاريخ المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي كانت الانتفاضة ستشمل كافة أرجاء التراب الوطني .

فللمرة الأولى - أيضا - لم تقتصر المقاومة على تلك المنطقة أو غيرها مهما عظمت مكانتها وشأنها، وكبرت واتسعت مساحتها كالقبائل أو أولاد سيدي الشيخ، بني شقران أو الاوراس أو حتى الأمير عبد القادر أو الباي أحمد القسنطيني، حيث وعلى الرغم من التضامن المعنوي والتعاطف الذي كانت تثيره هذه الثورات في أوساط الجماهير الجزائرية، فإن هذه الأخيرة قد بقيت منعزلة ولم تقدم أدنى مساعدات لها بسبب عدم الاعداد والتنظيم .

وكانت القوات الجزائرية التي كانت تثور دوريا تفعل ذلك وتعمل بكيفية مشتتة دون أن تضمن أو تحصن خطوطها الخلفية، مما جعلها تنتهي دائما إلي تحطم أمام صدمات جيش متفوق عليها في العدة والعتاد، ومركزا على قوته لقمع الثائرين دون أي تخوف من باقي جهات البلاد . أما في هذه المرة فإنها جبهة وطنية جبهة التحرير الوطني التي اشعلت فتيل الحرب التحريرية، وحيث ذابت كل الاتجاهات الوطنية التي كانت تقود كفاحا سياسيا تحت شعارات مختلفة لأجل هدف مشترك واضح ومحدد : الاستقلال .

لم يعد الموقف الآن يتمثل في الاختلاف حول إنتهاج هذه الطريقة أو غيرها من أجل تحقيق هذه المطالب أو تلك . فمن جهة إنه الاحتلال الفرنسي الذي لا يريد أن يترك فريسته . ومن الجهة الأخرى إنه الشعب الجزائري الذي يستعيد كرامته لأجل استرجاع سيادته والتحكم في مصيره ومصير وطنه .

ولم يعد المشكل مطالبة الاستعمار بترك شيء من امتيازاته إن أراد ذلك . فقد حاول طوال 132 سنة محو الشخصية الجزائرية ذاتها، ولم يتراجع أمام أي الوسائل (من اشدها وحشية إلى أكثرها خداعا وخبثا) ولكنه اخفق كما اخفقت سياسة الإصلاحيين الذين حاولوا محاربته باستعمال قوانينه الخاصة ولم يعد يستطيع أي شخص أن يثق فيه دون أن يبدو بمظهر من يتعمد خيانة القضية الوطنية .

وكل المحاولات القانونية التي جربت بدون جدوى لمدة 30 عاما، لم تنته غالبا (وبل بالعكس) إلا بحمامات من الدماء . فإنّ الأمر اليوم يتعلق بالقضاء عليه مهما كان الثمن . ولأجل هذا كانت الوحدة القوة الأولى، وكان التنظيم سيجعل هذه القوة مستعصية على القهر، وستتحطم على صخرتها الصلبة، القوة الفرنسية المتجبرة .

العامل الثالث، وربما الأهم: هو الدور الذي لعبه الإسلام .

صحيح أن الأحزاب السياسية كونت مناضليها ولصالح الحملات الانتخابية، عندما قرر الوطنيون - هم أيضا - لعب ورقة الشرعية فقاموا بتربية الشعب . انتشرت الفكرة الوطنية على امتداد عشرات السنين، وزرعت في جل أنحاء الوطن، وغالبا ما كان ذلك مقابل تضحيات جسام، حيث كان الاستعمار يقمع كل ما يوحي أو يمت بصلة الى شخصيتنا الوطنية .

وعشية الفاتح من نوفمبر 1954 كانت الفكرة الوطنية قد استمالت جل العقول والضمائر الجزائرية . بيدأنه كان كل شخص يرى المشاكل بالنظرة الخاصة للحركة أو المنظمة التي كان ينتمي إليها، ولم يكن يكفي الإنضمام في صفوف جبهة التحرير الوطني لتغيير المشاعر والمعتقدات بين عشية وضحاها .

إن الاسلام، لكونه الأرضية المشتركة لجل الجزائريين هوالذي لحم هؤلاء، ومكن الجبهة من الظهور في شكل كيان واحد أحد . وغير قابل للتجزئة، وإنه الإسلام الذي وضع حدا لمحاولات محو شخصية الشعب الجزائري .

فنتيجة للإحتقار والإهانة من المستعمر لجأ الجزائريون الي دينهم الذي كان يربي فيهم الصبر لتحمل الشقاء الراهن، والأمل في تحسين الأوضاع في المستقبل . لقد كانوا معتزين بماضيهم وتاريخهم وحضارتهم العربية الإسلامية من جهة ومن جهة أخرى كان الإسلام يعلمنا بمبادئه السمحة التي يعرفها الجميع أن المسلمين اخوة، وان التضامن مع الاخوة في الدين فريضة،أن الجهد مجازى عليه من الله، وأن فقدان الأ مل بالنسبة للمسلم هو سبة أو طعن في حق الإسلام ذاته .

وأن الثورة ضد الظلم والطغيان حق وواجب . مما جعل الجزائريين يعيشون في حالة انتظار بشغف لاشارة اندلاع الثورة .

وكما يعلمنا الإسلام أيضا أن النصر يتوقف علينا حيث ورد في القرآن الكريم « *إن تنصروا الله ينصركم* » كما يعلمنا أن الكفاح من أجل الوطن هو كفاح من أجل العقيدة، أي بمعنى الكفاح من أجل الإسلام . في جميع الأحوال يكون المجاهد « المقاوم » مستفيدا إذا كان صادقا في عقيدته الإسلامية وفي كفاحه : فسواء خرج من المعركة منتصرا، وبالتالي عاش في كنف الكرامة والحرية أو سقط في ميدان الشرف . وحينئذ يكون قد حاز احدى الحسنيين بالسعادة الأبدية في جنة الخلد .

لقد شكل الإسلام، دوما سدا منيعا تحطمت أمامه كل المحاولات الاستعمارية لاستعباد الشعب الجزائري، واستغلاله أبشع استغلال . ولكون الإسلام يشكل الخاصية - مع تعددها - الوحيدة التي تميزنا عن المحتل الاجنبي، فقد وجد نفسه بحكم الأشياء ينمى ويقوى من طرف الوطنيين والاصلاحيين الذين كانوا يستمدون منه قوتهم وآمالهم مثل المترددين والمتعاونين في ذلك، حيث إن الرهان الحقيقي كان الشعب ذاته الذي كانت تتجاذبه كل الأطراف، وكان كل طرف يريده لذاته . فالشعب الشديد التعلق بدينه الإسلام، لم يكن ليثق إلا في أولئك الذين يحترمون دينه، ويعبرون بأحسن صورة عن تقاليده الاسلامية وتطلعاته العميقة .

وحتى أولئك الذين كانوا يتشبهون بالمحتلين المتحضرين، (والذين كان يرفضهم هذا الجنس من السادة) كانوا يفعلون كل شيء لأجل الظهور بمظهر الإسلام، والتمسك بالتراث والتقاليد الجزائرية للحفاظ على كرامتهم إزاء ذويهم وازاء العامة، وبعبارة واحدة، فان الإسلام كان ضمان البقاء لشعبنا .

فحتى قبل أن يبرهن الإرانيون على أن الآيات القرآنية أقوى وأشد حسما من وصفات وكالة المخابرات الامريكية، ووكالة المخابرات الإرانية (صافاك) اثبت الجزائريون للعالم أن الأسلحة الاكثر تطورا لا تجدي نفعا أما اسلام صحيح الفهم، وعلى أنه يجب علينا ألا نخلط في هذا السياق بصفة خاصة بين حرب دينية وثورة ترتكز على الإسلام و تستمد قوتها منه وتعني : الدفاع عن الحق، العدالة والكرامة ضد الطغيان واستغلال الانسان .

فلم يكن الجزائريون الثائرون يقاتلون « الكفار » الأروبيين، كما يجري في الاعتقاد السائد عندما نتحدث عن الاسلام، ولكنهم كانوا يقاتلون باسم الوطن والاسلام، المحتلين والمستعبدين الاروبيين . فلم تكن ما نسميه بالحرب المقدسة « ضد الكفار » وإنما كانت حربا للتحرير وبالنسبة للجزائريين فقد كان الأمر يتعلق أيضا بتحرير الدين الإسلامي في ذاته لكونه جزءا من الوطن المغتصب، ولكون الاستعمار ذاته قد أراد استغلاله لصالحه من قبل أئمته ودعاته .

ولقد أدت القيم العالمية للاسلام بمجرد اندلاع الكفاح المسلح إلى اكتسابنا لدعم الشعوب العربية والإسلامية ، نفس الشعيرة الإسلامية توحد مختلف فئات سكان البلد الواحد، وتقرب الشعوب التي تكوّن الأمة العربية و« الأمة الاسلامية » .

ففي مواجهة الاستعمار العدو المشترك لتراثهم المشترك المتمثل في الإسلام، تكون الشعوب الإسلامية متضامنة ومتكافلة بطبيعتها . فالمسلمون الذين ساندونا كانوا يشعرون حقا وصدقا أنه بالإضافة إلى الدفاع عن الحرية والعدل، فقد كانوا يدافعون عن دينهم الإسلامي المهان من طرف المستعمر الغاشم .

انه نفس الشعور الذي يفسر اليوم التضامن الإيراني مع الفلسطينيين ضد الصهيونية المغتصبة والمضطهدة .

العامل الرابع يعود الى السياق التاريخي : فخلال كل القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إنه عهد حركة الاستعمار، حيث اتفقت الأمم الصناعية على اقتسام ثروات البلدان المغلوبة على أمرها، واستغلال الشعوب الضعيفة ماديا وعسكريا ، فكانت القوة تتغلب على الحق وغالبا في نوع من الخفاء .

فوجد الشعب الجزائري ابان مختلف الحركات الثورية نفسه معزولا بدون حماية كافية : حيث إن الشعوب الشقيقة المجاورة لنا كانت هي أيضا تحت وطأة نفس الاحتال الفرنسي ؛ وكان المسلمون وبقية الشعوب العربية الاخرى الممزقة والمنهكة القوى، يتألمون تحت وطأة مختلف أشكال الهيمنة والاستغلال .

ولم يكن الاتحاد السوفياتي - انذاك - القوة العظمى، والمنتصر على النازية ولم تكن الديمقراطيات الشعبية قد ولدت بعد، وكانت حكوماتها دائمة المساندة للامبريالية الاروبية . وكانت الصين الشعبية مجزأة وممزقة لا تزال تبحث عن طريقة لحماية نفسها وتنظيم صفوفها والتخلص من الاستعمار الأجنبي . في سنة 1954 كانت الأوضاع قد تغيرت . فقد كان كل من تونس والمغرب يتمتع بالسيادة على ترابه الوطني وسياسته وعلى وشك اتمام استقلاله . فكانا بمثابة الرئتين اللتين ستسمحان للجزائر بالتنفس . كما صادف في نفس الوقت أن كان العالم العربي مستقلا في معظمه ومحل مغازلة وتملق من القوى الكبرى، وتتزلف حكوماتها، وكانت مصر جمال عبد الناصر، في أوج نهضتها . كان البترول يدخل الساحة الدولية . وأصبح العرب قوة كان لا بد للعالم أن يحسب لها حسابها في المعادلات والمعاملات الدولية . وكانت هذه القوة العربية تمدنا بدعمها .

كانت الامبراطوريات العظمى قد انهارت تحت طائلة النازية والفاشية اليابانية، ولم يكن الحلفاء الذين قد حرروا مايسمى "متروبول" أي « عواصم » هذه الامبراطوريات باسم الحرية و حق الشعوب في تقرير مصيرها و العدل و السلام، لم يكونوا ليعيدوا إلى انجلترا و فرنسا و ايطاليا، و هولاندا و بلجيكا ممتلكاتها الاستعمارية، و لم يكونوا في الوقت ذاته ليعيدوا تشكيلها بلباقة ثم يخصصونها بكل بساطة لأنفسهم.

لا شك أنهم كانوا سيجنون فائدة كبيرة من ذلك، ولكن كان يتعين عليهم قبل كل شيء انتقاد مظاهر الحريات ثم ايجاد أشكال جديدة للسيطرة والاستغلال، وقد خلف عصر التحرر عصر الاحتلال. ومع أنه كان علينا أولا الإتكال على أنفسنا. إلا أننا لم نكن وحدنا. ولم يعد في استطاعة الاحتلال الفرنسي أن يكتم أصواتنا في الخفاء، وتحت أجنحة الظلام مهما كانت القوى التي كان سيستعملها.. لقد كان محكوم عليه بالفشل مسبقا. حيث سبق له أن خسر الجولة في كل من سوريا ولبنان : فكانت بداية النهاية، ثم انهزم في الهند الصينية، وأخيرا في كل من تونس والمغرب في 1956.

فعندما دخلنا الساحة كان قد أضاع رشده : افريقيا التي ما كادت أن تفتح « نصف عين » حتى سارع اعتقادا منه بأنه تصرف ذكي - الى ايجاد حل لها. فقد أراد أن يكرس كل جهوده وأمكاناته للاحتفاظ بالجزائر، ولم يدخر في ذلك أي جهد مهما كان نوعه لإبقائها تحت قبضته الحديدية وسيطرته إلى الأبد !!

فلم يعد من الممكن التفريق بين الاستعمار، وفرنسا. وقد قاومت هذه الأخيرة بعناد كادت على إثره أن تغرق في مستنقع لا مخرج لها منه. غير أنها - في آخر المطاف - لم تجد بدا من الرضوخ الى الأمر الواقع، وأعادت انسحابها بطيء في امتعتها وخرجت تجر ذيول الهزيمة والمهانة خلفها إلى غير رجعة.

ان التنبيه على عصر التحرر من ربقة الاستعمار أي بمعنى السياق الملائم، على انه احد عوامل نجاحنا ليس بالأمر السهل قبوله من طرف العديد من مناضلينا ، حيث انهم يتذكرون الدعاية الفرنسية القائلة بأن فرنسا تدافع عن « الغرب » وعن الحضارة الغربية في الجزائر الخ ... وان عامل المساندة الغربية لفرنسا يعني ان عصر هذا التحرر لا زال قائما . فلنتفق معا ! ان القول بانه كان عصر التحررمن ربقة الاستعمار لا يعني أن الغرب أو فرنسا كانت تريد التحرر، فهذا راجع الى الاضطرابات التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية والتي ما هي الأ ثمرة للتطور التاريخي .

فهذا التحرر كان مفروضا بلا قيد ولا شرط على فرنسا : واما فيما يخص الغرب، فأنه دائم المساندة لفرنسا وهذا لا يغير التاريخ في شيء، بل بالعكس هو التاريخ بعينه . ومن البديهي ان الجزائر كانت ستبقى الى يومنا هذا فرنسية، لو أننا لم نتحرك ولم نحمل السلاح ولم نقبل بالتضحيات الجسام .

لقد كانت المساعدة الخارجية عاملا بالغ الاهمية . فقد حظينا بالاضافة الى مساندة البلدان العربية والمسلمة والتي نرجعها في الدرجة الأولى الى التضامن الاسلامي الفطري، بدعم كل البلدان الاشتراكية بصفتنا حركة تحرر نكافح من اجل حريتنا واستقلالنا، ودعم الاتحاد السوفياتي وان لم يظهر جليا قياسا إلى قوته وامكاناته، يبقي أساسيا، وذلك لاننا كنا نحظى بدعم البلدان العربية، ولاسيما أن دعم الاتحاد السوفياتي لمصر كان في تلك الفترة كليا ، فالكل يتذكر العدوان الثلاثي (انقلترا - فرنسا - اسرائيل) سنة 1956 ضد مصر .لو ان الاتحاد السوفياتي لم يوقف هذا العدوان باتفاق تام مع الولايات المتحدة بالطبع، ربما لم يكن الانقليز والفرنسيين قد ادركوا بعد أن العملاقين لم يعودا يرغبان في السماع عن امبراطورياتهما، وان « انطوني أيدن » و « جي مولي »

ربما قد اعتبرا أمنياتهما واحلامهما حقائق - وفي الحقيقة ما كان عساهما ان يخسراه في المحاولة ؟ - لو لم يكن العدوان الثلاثي قد اوقف فكيف كانت ستتطور الاحداث ؟ من المؤكد اننا كنا سنواصل كفاحنا ، فلم يكن المصريون هم الذين يكافحون من اجلنا في الجزائر ؛ ولكن، لو تقدم المعتدون بعد مصر الى ليبيا ، ولما لا تونس، و لماذا لا اعادة تأسيس الأمبراطوريات ! ! إنه وانطلاقا من مثل هذه الاحداث التي قد نساها البعض بسرعة، يجب علينا ان ننظر مليا الى المساعدة الخارجية .

عامل آخر من العوامل التي ضمنت لجاحنا كذلك هو الخاصية الديمقراطية لنضالنا . كنا نكافح من اجل الديمقراطية والحرية، ولهذا كان يساندنا الفرنسيون في فرنسا . ولاجل انتصار الديمقراطية كافحت الى جانبنا شبكة جونسن Jeanson . وكان الفرنسيون الذين يدعموننا يأملون في إنتصارنا وذلك لكي يتقدموا بفكرة الحرية والعدل والسلام في العالم . فهذه الخاصية الديمقراطية هي التي مكنتنا من استقطاب حلفاء لنا من كامل انحاء العالم شرقا وغربا . لقد تقبلنا المساعدة السياسية من قبل العديد من الديمقراطيين دون اي اعتبار لأجناسهم أو عقائدهم الدينية . مما يظهر المعنى الحقيقي الذي نعطيه الى العامل الاسلامي في كفاحنا .

وجود العديد من الجزائريين في مختلف بقاع العالم سهل علينا المهمة ، فهؤلاء الجزائريون وبأصولهم بالذات كانوا دوما مكسبا لفكرة الاستقلال . فمنهم من ينحدر من أولئك الذين كانوا يفرون دوريا من البلاد من جراء الردع المتعاقب مع مختلف الانتفاضات الثورية، وهاجروا عن طوعية، الى البلدان الشقيقة، وكانوا أصلا مناهضين للإحتلال الفرنسي .

فكنا نجد منهم في طرابلس ودمشق والمدينة المنورة والبعض منهم في مصر ولبنان . وكان الآخرون يهاجرون بحثا عن عمل أفضل ويستقرون في المغرب وتونس أو فرنسا وذلك لعدم العثور على عمل في الجزائر، حيث كانت اسواق الشغل محتكرة كلها من طرف المعمرين وخادميهم . وكان العدد الأكبر ممثلا في عمالنا بفرنسا ، حيث كانت العلاقات المتعددة للجزائريين مع ذويهم وذهابهم وايابهم المتواصل الى الجزائر تسهل الاتصال و المعلومات بين الداخل والخارج . فقد كانوا بطبيعة الحال أمتن رباط بين (جبهة التحرير الوطني) والبلدان المضيفة، واصبحوا أحسن الممثلين والمعرفين بقضيتنا عند هذه الأخيرة ولذلك كانت مساعدة حكومتي المغرب وتونس على الأخص، وكل الحكومات العربية الأخرى على العموم مدعمة بقوة من طرف الرأي العام في كل هذه البلدان التي كانت شعوبها مجندة بكاملها إلى جانبنا .

بامكاننا ان نضاعف من عدد الأسباب التي ضمنت انتصارنا . ولكن كل المساعدات الخارجية وكل العوامل الموضوعية ماهي الأ مساهمات، ولم يكن لها ان تجدي نفعا لولا جهدنا الخاص وعملنا في الداخل وتحركاتنا الدبلوماسية في الخارج . انه الجهد الرئيسي لجبهة التحرير الوطني، هي في حد ذاتها وتحت سلطتها و المنظمة التى اجادت تكوينها، التضحيات التي رضي بها الشعب الجزائري وكلها التي أقرت مصداقيتها وصفتها التمثيلية . ولم يأت العمل الديبلوماسي في الخارج بثماره الأ لأنه كان متكاملا مع العمل العسكري والسياسي في الداخل .

لم نترك أي هوادة للاستعمار وجيش الاحتلال في داخل البلاد ، حيث أدى منذ البداية التجند الكلي من أجل تحقيق الهدف الواحد، البيّن والمحدد ، والذي كان يسمو فوق كل ماعداه ألا وهو النفوذ الكلي للجبهة على مجموع الجزائريين

أينما وجدوا الأمر الذي أدى الى تجنب كل سوء تفاهم، وكل نقاش عقيم، وكل انحراف عن المسيرة، حيث كان في استطاعتنا وبكل عفوية النقاش في أي موضوع كان . غير أن الأهم يبقى، فخط المسيرة قد سطر نهائيا ولا يمكن أبدا « إعادة النظر فيه » وتقسيم الاعمال كان محددا . كانت الحرب من نصيب المقاتلين وعمت حرب العصابات وكان المجاهدون يقومون بأعمالهم الحربية حيثما استطاعوا ذلك في كل ارجاء التراب الوطني في المدن والأرياف وكانت حرية البادرة كاملة لكل رؤساء الولايات . فقد كانوا سياسيين وعسكريين، ومادامت الغاية معروفة : الاستقلال بواسطة الكفاح المسلح ؛ فقد كانت لكل مسؤول الحرية التامة في التصرف حتى يتسنى له العمل بأحسن صفة، وهمه الوحيد في ذلك هو الحرص الدائم على إبقاء التنظيم الذي ينتمي اليه، مهما كان مستوى مسؤوليته . لقد كان تنظيم جبهة التحرير الوطني، وجيش التحرير الوطني التابع له والذي كان يغطي كافة التراب الوطني يفرض على فرنسا أن يكون لها جيش عرمرم، لكي تكون متواجدة في كل مكان، ودوما في حالة استنفار قصوى . وبالتالي كانت الصعوبة كبيرة في الإعتناء بهذا الجيش والمحافظة عليه و تسييره . ولم يعد في وسع فرنسا الإتكال على المعاونين ولو حتى في الأماكن التي ما زالوا يتواجدون بها ، وخصوصا بعد إضراب الثمانية أيام . فقد استوجب الأمر عليها ان تحلل، وتنظم، وتعيد النظر في تقارير هؤلاء المعاونين، ومراقبتهم، واقامة تنظيم كامل لمراقبة المجندين الإضافيين الذين، رغم درايتها بالفرار اليومي لعدد كبير منهم، لازالت تجندهم حيث انها لم تكن تستطيع التخلي عنهم دون الظهور بمظهر التخلي على البلاد في حد ذاتها .

لقد كان جيشنا بالحدود الجيد التدريب والقوي العدة يضايق العدو ويحتم عليه تجميد العديد من الفرق الممتازة . ومن جهة اخرى إقامة ومراقبة الحواجز

المكهربة على طول الحدود الجزائرية المغربية والجزائرية التونسية وخطي شال وموريس الشهيرين - والتقسيم التربيعي للبلاد، وتعيين الاطارات التي تشرف على الجماهير سواء في المدن والأرياف أو في المحتشدات، والمئات من المعتقلات. كان كل هذا يستوجب على الفرنسيين نفقات باهظة، وعددا متزايد من الاطارات (مر بالجزائر 555 ضابط سام) . وقد كان كل من البرلمان الفرنسي والصحافة الفرنسية يصيح ويدق ناقوس الخطر حيث ان حرب الجزائر تكلف فرنسا يوميا ثلاث مليارات من الفرنكات القديمة حسب التقدير الحاصل في 1962.

في الخارج، واجهنا الديبلوماسية الفرنسية في كل مكان . وزيادة عن البلدان الصديقة والشقيقة، لم نستثن أي حليف لفرنسا . حيث استقر ممثلونا في مجموع عواصم العالم الثالث : دلهي الجديدة، كراتشي، وجاكرط في اسيا ؛ آكرا، باماكو، وكوناكري في إفريقيا، وكذلك في جميع العواصم العربية . وافتتحنا مكاتب لنا في كل البلدان الشرقية والغربية . وكان لدينا نشاط سياسي و دبلوماسي مكثف وكبير سواء كان ذلك في لندن، بون، مادريد، روما، صطوكلم ونيويورك أو في موسكو، بلغراد وبيكين . اضف الي ذلك انه كان لدينا وفد دائم في طوكيو، والعديد من المكاتب في امريكا الجنوبية .

اما في فرنسا فقد كان لدينا « فيدرالية جبهة التحرير في فرنسا »، والتي هي وريثة فيدرالية « حركة الانتصار للحريات الديمقراطية » وكانت هذه الفيدرالية تضم مئات الآلاف من المناضلين الجزائريين علاوة على الشبكات الفرنسية التي كانت تساند قضيتنا . وكانت كل المصالح التي نظمتها (جبهة ت و) في كل من الجزائر تونس والمغرب، منظمة وبنفس الشكل

في فرنسا . وبالاضافة الى هذا فقد كانت هناك شبكات فرنسية مكلفة بالعابرين خفية وإيوائهم، وبتحويل الأموال والأسلحة، والاستعلامات، والاعلام والدعاية الخ ...

لم يحدث أبدا أن فاجأنا بلد عربي أو افريقي بتدخلنا في شؤونه الداخلية . ولم نتسبب - أيضا - في اي اضطراب في البلدان الصديقة . وباستثناء باريس لا توجد أية عاصمة قد سجلت علينا أية مخالفة .

لم تقتصر علاقتنا الممتازة في جميع البلدان التى افتتحنا لنا مكاتب فيها، على حكوماتها فقط ، بل تعددت إلى المنظمات والسياسيين من مختلف الاتجاهات، والعديد من الصحفيين . حيث كانت غايتنا هي أن نشرح بوضوح وندافع عن قضيتنا أمام أولئك الذين كانوا معارضين لنا .

فكنا نعلم أولئك الذين كانوا يتعاطفون معنا عن حالتنا ، وكل سفاراتنا المعتمدة في البلدان التي كانت تستضيفنا ونقيم الندوات والمحاضرات للتحدث عن بلادنا، تاريخنا وكفاحنا، نشرح مناهجنا ونندد بتصرفات خصمنا، وندافع عن أنفسنا ضد الادعاءات الفرنسية، ونأتي بتفنيدات لها . ونشارك في الملتقيات وفي كل النقاشات التي تخص الاستعمار، الحرية، السلم والعلاقات الدولية الخ ... ونقوم بجولات دورية عبر كل البلدان التي كنا نتواجد بها . حيث يختلف وضعنا بطبيعة الحال حسبما نكون في عاصمة تعترف حكومتها بحكومتنا أو في عاصمة تتقبلها مبدئيا فقط . وبغض النظر عن المساعدات التى كانت تمدنا بها الحكومات التي تعترف " بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية " . او الوعود العلنية عنها كانت هناك ايام تضامن مع الجزائر والتي كانت شعوب هذه البلدان « التي تعترف بنا » تنظمها مرة أو مرتين في السنة لجمع الأموال والتبرعات لصالح لاجئينا، فقد كان نشاطنا السياسي

والدبلوماسي على نفس النحو في كل مكان حللنا به . وقد جعلتنا معرفتنا الجيدة للأنظمة الخاصة للحكم في كل بلد أو أمة، نحرص على تحاشي القيام أو الشروع في أي عمل قد يصدم مضيفينا أو يثيرهم ضدنا .

لقد سهرنا دوما على التعايش في وفاق مع كل الشعوب الأجنبية، والتي كنا نتحرك بين أحضانها لمباشرة أعمالنا . حيث أن الحصول على ود وتعاطف أكبر عدد ممكن من الشعوب والأفراد الذين كنا مجبرين على التقرب منهم كان شيئا لازما، وأظن ان الزمن قد اعطانا الحق الكامل في اتباعنا لهذا الاسلوب في التصرف لبلوغ الهدف .

فعلى سبيل المثال - لم يخطر أبدا ببالنا أن نحول طائرة عن وجهتها ، رغم أن الحكومة الفرنسية قد أعطتنا عن ذلك مثالا باختطافها للطائرة التي كانت تقل وفدنا (في سماء البحر الأبيض المتوسط) في اكتوبر 1956 . فمن شأن اتباعنا لهذا النموذج السيءإيقاعنا في فخ . بيد أنه على العكس من ذلك فقد كان لنا أصدقاء في جميع شركات الطيران عبر العالم . وكنا نعبر كل المطارات العالمية بدون أي خطر - في ماعدا المطارات الفرنسية - زد على هذا فقد كان لنا العديد من الأصدقاء والحلفاء بين الفرنسيين في حد ذاتهم - فكنا نتلقى الإرشادات و الأخبار. وفي مجمل القول نُحمى من طرفهم . وبفضل العديد من مضيفي الطائرات والمضيفات، تمكنا في العديد من المرات من نقل الاموال وحتى الأسلحة الخفيفة، وكان بريدنا يعمل بصفة آمنة وأسرع بكثير من مصالح البريد والمواصلات ذاتها !

كنا محايدين، ومحترمين لقوانين البلدان التي كانت تستضيفنا . وقد أكسبنا هذا الموقف المحايد طوال سنوات الحرب، تقدير وصداقة الشعوب والحكومات الصديقة والحليفة . وكنا نتبع ونطبق سياسة عدم الانحياز بحذافرها

. فقد كان عدونا الوحيد هو الاستعمار الفرنسي الذي لم نهاجمه إلا في عقر ديارنا . حيث لم يكن له أي حق في الوجود . ورغم سعينا ببعض المحاولات المحتشمة لضربه في دياره . فقد كنا نحرص دوما على صداقة شعب فرنسا . فبفضل الشبكات الفرنسية المساندة ل (جبهة التحرير الوطني) ومراعاة لذلك، لم نحاول إطلاقا أن نسيء بكيفية جدية إلى فرنسا بأوسع معنى الكلمة، ويجدر التذكير بهذا هنا .

كانت العمليات التي قمنا بها في فرنسا كحريق مستودعات الوقود " لموربيان " في ليلة 14 و 15 أوت 1958 بمثابة تحذير ودق ناقوس خطر ليس الأ ! وقد تفطن الرأي العام فجأة الى خطورة المسألة، وكان الحفاظ على الأمن والأمان يكلف فرنسا الكثير ويزعزع كل نظامها، لو أن الأوضاع أخذت أبعادا أوسع، فمن المحقق أن عملنا في فرنسا قد ساعد في إيقاظ ضمير الرأي العام الفرنسي .

كان مقر حكومتنا في القاهرة، حيث كان النظام الناصري (حكم عبد الناصر) يشن حملة عشواء على النظام الملكي في العراق، ونوري السعيد قبل الثورة العراقية، ثم بعد ذلك ضد نظام الجنرال عبد الكريم قاسم . وكانت الإذاعة المصرية تنادي بالإطاحة بالملك حسين الأردني، دون أن نستثني في ذلك الملك سعود أيضا . ولم يكن هذا ليسبب لنا اي مشكل، فقد كنا نحظى بحفاوة الإستقبال من كل الأطراف . لقد استطاعت (الحكومة م ج ج) وبمواقفها الحصول على إجماع حكومات البلدان العربية حول قضية الجزائر . ومع مرور الزمن وعبر القضية الجزائرية أصبحت (الحكومة م ج ج) تمثل همزة وصل بين البلدان الشقيقة ذاتها .

كان علينا احيانا ان نقاوم كي لا ننحاز الى بعض الأنظمة على حساب الأخرى، وقد كانت لي أنا بالذات حينما كنت مكلف بالإعلام علاقة برجال المخابرات المصرية والذين أبوا إلا أن يرونا ننحاز ضد بورقيبة الذي لم يكن في تلك الفترة يتوانى أبدا في مهاجمة عبد الناصر، وتجدر الإشارة هناإلى أن هذا الأخير لم يطلب منا أبدا أن نتحول عن مواقفنا . وقد دافعنا بعناية قصوى عن هذه الإستقلالية أثناء كل فترة كفاحنا، وحافظنا عليها حتى الإعلان عن استقلال الجزائر . ويمكن ان يشهد لنا بذلك كل من الرئيس بورقيبة والملك الحسن الثاني وأولئك الذين كانوا في الحكم بمصر وفي المقام الأول أنور السادات الذي كان دعما قويا للجزائر الثائرة، وكذلك الرئيس تيتو والرئيس سينغور . وقد تطرق كل هؤلاء بكيفية او بأخرى للقضية الجزائرية مع الجنرال ديغول عشية مفاوضات إيفيان، وأمدونا كلهم بالنصائح والإرشادات وشرح وجهات نظرهم . ومع ذلك لم يتدخل أي منهم وفي أي وقت كان في مفاوضاتنا مع فرنسا .

كنا مستقلين وكان لكل الذين احترموا استقلاليتنا عظيم الشرف في ذلك . فقد شكل موقفنا المحايد والمستقل قوتنا الكبرى واحد ضمانات انتصارنا . فحيادنا ضمن لنا استقلاليتنا وهذه الأخيرة ضمنت لنا انتصارنا النهائي . فمهما كانت خصومتنا الداخلية واختلافاتنا كنا متحدين ومتفقين على أهدافنا الأساسية ونعمل بكل انسجام . حيث أن اعضاء (الحكومة م ج ج) كانوا وطنيين حقيقيين، ناضلوا منذ صغر سنهم .

حقق جيش التحرير الوطني المعجزات، وقام الشعب بكل قواه وجوارحه وإليه يرجع الفضل في انتصارنا . ولكن الأمر احتاج الى قيادة وادارة والتي لايشان استحقاقها هذا في شيء لكونها قد صادفت بعض المعارضات في داخلها . بل وعلى العكس من ذلك، شرف واستحقاق (الحكومة م ج ج) النابعة من المجلس

الوطني للثورة الجزائرية (المجلس و ث ج) حيث كانت المناقشات والانتقادات حرة، يرجع الى أنه قد كانت فيها انقسامات جزئية، وانما لم تكن عواقبها وخيمة، وبعض الأخطاء التي كان يتسبب فيها البعض ، كما يرجع أيضا الى أنها قد قاومت حتى النهاية، ورغم كل العقبات والحواجز .

لم نداري أبدا أي من مسؤولي جبهة التحرير الوطني على كل المستويات ومهما كانت الطموحات المشروعة للبعض أو غيرهم . ورجال الحكومة المؤقتة، وعلى رأسهم كريم، بوصوف وبن طوبال الذين كانوا في وقت ما « الزعماء الثلاث» لجبهة التحرير الوطني والذين، لم نكن نداريهم أبدا في انتقاداتنا لهم . هذا ولم يكن لم يكن أبدا أي من مسؤولي (جبهة ت و) يفضل مصالحه الخاصة أو رغباته الشخصية على الصالح العام .

فقد كنا نسلك كلنا نفس السبيل تحدونا نفس الغاية : الاستقلال .

فكانت بعثاتنا الدبلوماسية تجوب بدون ملل أو كلل العالم بأسره، ولم تهمل استغلال اي ورقة رابحة . فقد شاركنا في كل المؤتمرات الدولية . و اشتركنا منذ سنة 1955 في مؤتمرات (باندونج) وكنا أعضاء في المؤتمر الأفرو-آسياوي والحركة من اجل السلام . وشاركنا في أول مؤتمر لدول عدم الانحياز ببلغراد في سبتمبر 1961 وذلك على قدم المساواة مع كل البلدان المشاركة .

كنا في عداد اللجان نتمتع بنفس الصفة التي يتمتع بها باقي المندوبين . وكنا عضوا كامل الحقوق في بلدان الدار البيضاء التي كانت تشتمل على المغرب، غانا، غينيا، مالي، مصر، والجزائر . كما كنا في منظمة الأمم المتحدة، ضمن المجموعة الافرو-آسياوية ونناقش كل القضايا المتعلقة بالعالم الثالث التي كانت تطرح على مستوى هذه المنظمة . هذا حتى قبل أن تتقبل منظمة الأمم

المتحدة مبدأ استقلالنا . كانت بعثتنا الممثلة بصفة دائمة بمحمد يزيد وعبد القادر شندرلي تتعزز بالعديد من المسؤولين ولمدة شهرين أو ثلاثة في فرص إنعقاد الجلسات السنوية للمنظمة . وكانت لنا نقابتنا الخاصة المتمثلة في الاتحاد العام للعمال الجزائريين والتي كانت على صلة بجميع النقابات العالمية والمراكز الكبرى لفدرالية النقابات العالمية (FS M) والكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة (CISL) . كانت لدينا فرقنا الرياضية وكنا نشارك في العديد من التظاهرات الرياضية الدولية . وكانت فرقنا المسرحية تعمل على تعريف العالم بثقافتنا، عاداتنا وتقاليدنا ...

باختصار، لقد فرضنا بنشاطنا على كل المستويات، أنفسنا على الساحة الدولية وفرضنا تواجدنا على الصعيد الدولي دون انتظار النوايا الحسنة للمستعمر الفرنسي . وقد كان هذا الأخير مجبرا في النهاية على الإذعان بعد مجهوده الحربي الذي لم يدخره يوما . فكانت كل المفاوضات تتمثل في الإبقاء على بعض مصالحه عندنا، أما الاستقلال فقد أصبح أمرا غير ذي محل للجدال والأخذ والرد منذ أمد بعيد .

الجزء الأول

تنظيم الكفاح من اجل الاستقلال

الفصل الأول

مؤتمر الصومام (20 أغسطس 1956)

كما يعرف الكل أن أول مؤتمر لجبهة التحرير الوطني عقد في 20 أغسطس 1956 بإيفري بوادي الصومام . باستثناء الاعلان عن الفاتح من نوفمبر 1954 (ملحق 1) كانت جبهة التحرير الوطني في الحقيقة متروكة لمبادرات مختلف رؤساء الولايات والمسؤولين السياسيين في المدن . في الخارج كان المندوبون عمليا أحرارا في سياستهم . وبالنظر الى الظروف الصعبة التي كانت تجري فيها الحرب التحريرية فقد كان مؤتمر الصومام وبرغم غياب ممثلي الولاية الأولى وممثلي الخارج، تمثيلا بما فيه الكفاية (الجزائر العاصمة، الولايات 2 و 3 و 4) . وقد انبثق عنه برنامج سياسي (الملحق 2) معدا بكيفية تعطي صورة متناسقة،منسجمة لجبهة التحرير الوطني، وتم فيه التحديد التام للأهداف السياسية والعسكرية المذكورة في اعلان الفاتح من نوفمبر 1954، والتخطيط الواضح لعلاقات جيش التحرير الوطني مع التنظيم السياسي وعمله في أوساط الشعب . وعين المؤتمر القيادات العليا للثورة بالإضافة الى المسؤوليات المنوطة بكل تنظيم . وبهذه الكيفية تم إنشاء (المجلس الوطني للثورة الجزائرية) و (لجنة التنسيق والتنفيذ).يضم (المجلس و ث ج) 34 عضوا

منهم 17 موسمون و 17 مستخلفون.و كان رؤساء الولايات أعضاء فيه قانونيا كما كان (المجلس و ث ج) يشبه الى حد ما البرلمان أو بصفة أكثر دقة اللجنة المركزية لـ (جبهة . ت . و) حيث كان هو الذي يعد سياسة (جبهة ت و) وكان الوحيد المؤهل بصفة خاصة لاقرار الحرب أو السلم، الشيء الذي يعني بوضوح ان الوحيد الذي يمكنه البت في وقف لاطلاق النار . وكانت (ل ت ت) أكثر من مكتب سياسي حيث انها كانت ديوان حرب حقيقي ومتمكن من كل السلطات السياسيــة، والعسكرية في الفترات الفاصلة بين جلسات (المجلس و ث ج) فلاول مرة تجد سلطة (جبهة ت و) نفسها منسقة ومركزة في هيئة محددة بوضوح . ولم يعد هناك ما قد يثير أي تشابك أو تشتت في السلطات ، فالثورة الجزائرية لها الآن طليعة على رأسها، يعرفها الكل، ومتمثلة في (لجنة ت ت) .

لقد انتقد الكثير من الناس خطر أو عدم جدوى تأكيد مؤتمر الصومام في لائحته على مبدأي الأولوية للداخل على الخارج، والسياسي على العسكري . بل وذهب بعض المسؤولين الى حَمْدِ الصدف التي مكنت من اعتقال بن بلة، خيضر، آيت أحمد، محمد بوضياف والاشرف والتي وفرت هكذا على (جبهة ت و) أزمة حادة بين الداخل والخارج، وبين السياسي والعسكري، هناك منطق يجعل ذهننا يشرد حول المعنى الذي كان يعطيه هؤلاء لثورتنا . أولا ، هل انتهى وجود الخارج بمجرد اعتقال بن بلة ورفقائه ؟ - ثم إذا كنا نفهم من كلمة الخارج المسؤولين الذين كانوا يوجدون بالخارج - وهذا ما كان يقصده المؤتمرون بالصومام - فلا توجد حسب ما أعرفه أية نصوص أو قوانين تمنع مسؤولا يعمل في الخارج من الرجوع الى الداخل والعودة الى صفوفه . ومن جهة أخرى لا يمكن وجود نزاع بين ماهو سياسي وما هو عسكري لأنه فيما يخص

السلطة العسكرية لا يوجد الأ قائد الولاية والذي باعتباره قائد ولاية يكون رجلا - سياسيا عسكريا - في الحقيقة بتأكيدنا على هذه المبادىء لم نقم إلا بإعادة تأكيد الحقيقة الملموسة . وهي أن في الداخل نقاوم، نقاتل، نعلم بمجريات الأمور، نعرف اذا كان في امكاننا التقدم او التراجع، اذا كان في امكاننا الصمود أو لا، اذا كان الشعب يتبعنا، يوافق أم لا ... فمهما كانت القرارات في اتجاه أو في آخر، للحرب أو السلم، فالقرار لا يمكنه أن يطبق أو يرفض إلا في الداخل ومن طرف الداخل . وفيما يخص المبدأ السياسي، فانه الموضوع الحقيقي بعينه، فمشكلتنا كانت سياسية وعلى ضوء الاهداف السياسية كان دوما يواصل أو يوقف العمل العسكري؛ مما يثبت مرة أخرى حقيقة في أن رئيس الولاية كان سياسيا عسكريا، ومن هنا فلم يكن أبدا لهذا النزاع الوهمي ان وجد . وبدعمه له والتذكير به لا يقوم بن بلة الأباظهار مدى ارتباكه الدائم تجاه الثورة . وكذلك مع (لجنة ت ت) وفيما بعدها (الحكومة م ج ج) كانت الكلمة الاخيرة في الخارج ترجع الى السياسة (معاهدة ايفيان) وفي الداخل : كانت الولايات هي التي تعمل، فالجزائر هي التي أوقفت اطلاق النار وليست تونس أو الرباط أو القاهرة . فهناك تأكيدات من تحصيل الحاصل يجب اعادة التذكير بها . وهذه إحداها بالطبع .

ماهو المعيار بالنسبة للمجلس الوطني للثورة الجزائرية ولجنة التنسيق والتنفيذ ؟

بالنسبة لـ (المجلس و ث ج) من الواضح ان المؤتمرين قد ارادوا ترسيخ الوحدة بصفة نهائية في داخل (ج ت و) . حيث ذابت كل النزاعات ، فكل هذه المنظمات : الحركة لانتصار الحريات الديمقراطية و الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وجمعية العلماء، والطلبة، والاتحاد العام للعمال الجزائريين ممثلة

في داخل (ج ت و) واما عن الحركة الوطنية الجزائرية التي لم تنخرط في (ج ت و) فلم يفلح عملها المجزئ في كسب العامة . وهكذا بفضل المجهود العسكري الكبير تم تحصيل برنامج كانت (الحركة ا ح د) قد حددته مسبقا بنضالها لاجل عقد مؤتمر وطني جزائري . حيث اصبح من الحتمي اقصاء كل عوامل التفرقة واحتواء الجميع تحت نفس السلطة . وما دام الهدف واحدا والخطر نفسه على كل شخص والعمل مشترك والوسائل نفسها للجميع، فلم تبق غير التيمة الشخصية والعمل للتمييز بين هؤلاء أو أولئك . وكان لمؤتمر الصومام، ولاول مرة في تاريخنا، الفضل في ايجاد ادارة وطنية حقيقية نابعة من مختلف الفئات الاجتماعية لشعبنا : لااغنياء ولافقراء، لايساريين ولا يمينيين، فإدارة (ج ت و) كانت تضم جزائريين من كل المشارب متلاحمين في نفس الكتلة، من أجل الهدف الواحد : استقلال الجزائر . ولم يكن غير شيطان الحكم وحده الذي عزل ذلك الذي كان عليه أن يكون الأول فيها : مصالي الحاج. نفس الشيطان الذي كان ولمدة ست سنوات يوسوس لبن بلة الذي لم يعرف طعم الراحة او النوم إلأعندما تخلت له جبهة التحرير الوطني - بعد أن أطلقت في وجه العدو آخر رصاصة - عن هذا البناء الذي شيدته بشق الأنفس وتهاون بن بلة في حقه بالمحافظة عليه

واما عن اختيار اعضاء (لجنة ت ت) فأظن ان المؤتمرين قد قادهم في ذلك انشغالهم بالفعالية والواقعية والاستعداد التام . فقد كان بن مهيدي و بلقاسم كريم أعضاءا في (ل ث و ع) (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) و بالتالي يمكنهم وبصفة مقبولة ضمان روح الفاتح من نوفمبر 1954. ولم يدخل عبان رمضان من جهته في أي من نزاعات النزعات . وباعتباره كان عضوا في المنظمة السرية والتي قضى من أجلها خمس سنوات في السجن . ومعروف عند باقي المؤتمرين الذين كانوا في معظمهم أعضاء في المنظمة السرية ، فقد كان هكذا مهيأ وفوق مستوى كل الشبهات .

ولقد كان بامكانه كسب ثقة جميع المناضلين الذين أضلهم وخيب آمالهم انشقاق (الحركة لانتصار الحريات الديمقراطية).بن خدة وانا لم نحضر المؤتمر واظن انه قد تم تعييننا في (لجنة ت ت) باقتراح من عبان ، فقد كان هو الذي يعرفنا أحسن معرفة ، حيث تابعنا التعاليم الأولية في نفس الثانوية الاستعمارية بالبليدة وأرتجنا على ايقاع نفس النشيد الوطني لحزب الشعب الجزائري الذي كنا ننشده سويا أثناء الاستراحة . وكانت لنا تقريبا نفس الطريقة في التفكير ومنذ صغر سننا انضممنا الى صفوف الوطنيين الذين كانوا حين ذاك في بداية الطريق . و رغم اننا قد أحلنا الى شكلنا الأبسط من جراء الحملة المشنة ضدنا من طرف مناضلين اختاروا حينها الإنسياق بدون نقاش وراء مصالي الحاج رئيس (الحركة ا ح د) فقد اندفعنا بدون تردد في خدمة الثورة منذ اندلاعها . و كان عبان شاهد عيان، و عضو فعال في حد ذاته، يرى جيدا اننا كنا نخوض المعركة بنفس العزم والايمان الذي كان يحدونا من قبل، دون أية عقدة، مستخفين بذكرى الاشاعات المشنة ضدنا على مدى أشهر كاملة، لم نكف ابدا مع ذلك عن الكفاح . و قد كان لدينا اليقين بان الحقيقة ستنتهي حتما الى الظهور من جديد مع مرور الزمن وفي لهيب الكفاح، وهو الأمر الذي لم يطل ظهوره طويلا كما بينته الأحداث فيما بعد .

لكن لماذا كناية سعيد للإشارة الى سعد دحلب خلافا لباقي اعضاء (لجنة التنسيق والتنفيذ) الذين يعرفون باسمائهم الحقيقية ؟ والجواب هو التالي : لقد عمت بلبلة كبيرة في صفوف حركتنا بعد انشقاق (الحركة لانتصار الحريات الديمقراطية) ولبست مختلف أنواع التهم والاشاعات للمسؤولين وخصوصا أعضاء اللجنة المركزية من طرف خصومهم . وبما أنني قد لاحظت من خلال خبرتي مع الشرطة أن هذه الأخيرة كانت تركز في تقاريرها عنا على القيل والقال خصوصا . فقد عملت كل مافي وسعي في تعاملي المدني كي أكد هذه الفكرة . علاوة على أني كنت مقاطعا في كل الناحية من طرف رفقائي القدامى في الكفاح . هكذا انخدعت الإدارة بكل سهولة وكان ذلك بالنسبة لي تغطية مثلى

و قررت أن أتحرك تحت هويتي الحقيقية، و لأجل فعالية العمل فقد حاولت إقصاء - ولو لفترة معينة - خطر اعتقالي ثانية و هذه المرة بدلائل ضدي . في الصومام اقترح عبان الذي كان يعرف كل خطتي إعطائي كناية سعيد، وكان الأمر على مثله بالنسبة لمسؤولين آخرين لم نرد توريطهم رسميا في البداية كعبد المالك تمام وعيسات ايدير، والكثير غيرهم . وبالاضافة الى عبان فقد كان باقي المؤتمرين يعرفوننا بما فيه الكفاية . فلم يكن أحد ليجهل بن خدة الذي كان آخر أمين عام (الحركة ا ح د) أي بمعنى المسؤول عن كل أولئك الذين كانوا ينسبون انفسهم الى (حزب ش ج) الذي أصبح (الحركة ا ح د) وكذلك المنظمة السرية . المنظمة التي اوجدتها ادارة (الحركة ا ح د) والتي كانت تابعة لها .

واما فيما يخصني فمن المعروف عنى أنني كنت دائما مناضلا في (حزب ش ج - الحركة ا ح د) ولقد تذكر كريم كما ذكرني فيما بعد في الجزائر العاصمة، بأنني قمت بأمر من الحزب في سنة 1951 بإلقاء محاضرة ليلية في الهواء الطلق، بنواحي تيزي وزو، ولحساب (ح ا ح د) الذي كان كريم نفسه مسؤولاً عنها آن ذاك، وهو في حالة السرية والتخفي بطبيعة الحال ، فقد اعترف لي « بالشجاعة » كما صرح لي به . وهكذا فقد قمت بمهمة أولى في الشمال القسنطيني حاملا بطاقة هويتي الحقيقية، ومع أنه من المفروض انني كنت في إفراج مؤقت حيث اطلق سراحي من السجن في شهر مارس 1955 في نفس الوقت مع كل المسؤولين الآخرين (الحركة ا ح د)،فبمكالمة هاتفية بسيطة إلى الشلالة، إلتحقت بن خدة وعبان في مدينة الجزائر، وقد شرحا لي فيما يقل عن النصف ساعة أنه كان يستلزم عليَّ الذهاب إلى الأوراس في الولاية الأولى، عبر الولاية الثانية للشمال القسنطيني،وانه كان من الحتمي الاتصال بمصطفى بن بولعيد الذي لم تصلنا أية أخبار عنه منذ شهور والذي كانت تروج عنه الكثير من الاشاعات . وان يوسف زيغود رئيس الولاية الثانية سيتدبر الأمر كي يوصلني اليه ، فكان علي أن أذهب الى قسنطينة في اليوم الثاني نفسه ، حيث لم يكن هناك مجال لتضييع الوقت . مر زمن طويل دون أن التقي ببن خدة . فلم

أكد أراه منذ خروجنا من سجن بربروس ولا عبان رمضان كذلك . فلا اتذكر أنني قد تبادلت الكثير من « السلام عليك » مع هذا أو ذاك، بل دخلنا مباشرة في الحديث عن المهمة، وعن الوسائل الكفيلة بأنجاحها كما لو أننا كنا قد بحثنا الموضوع منذ ساعات خلت . أخبرني بن خدة المعلم الكبير في الاتصالات عن عنوان عباس تركي، تاجر أحذية بالجزائر والذي كان قد أخذ لي موعدا مسبقا معه . فلم يكن لدي غير الوقت المحدد كي أدون - ذهنيا فقط، دون أي شيء مكتوب - ان الأمر كان يتعلق أساسا باعادة الاتصال مع الولاية الأولى وتعزيز روابط الولاية الثانية والاعداد لمؤتمر على المستوى الوطني - المؤتمر الذي كان سينعقد فيما بعد بوادي الصومام، والذي لم تكن لدينا أي فكرة عنه في ذلك الوقت، اي في فبراير 1956 .

بفضل عباس تركي الذي اعد لي السفر تماما بما في ذلك الاستقبال في قسنطينة التي سأزورها لأول مرة في حياتي فانطلقت في الغد الباكر مع طلوع الشمس في سيارة عمل لمديري الجديد، حاملا حقيبة، ونماذج مختلفة من الاحذية، ودفتر طلبات ومرقى لتوي إلى ممثل تجاري . كنت أعرف جيدا مصطفى بن بولعيد الذي كان عضوا في اللجنة المركزية عشية الفاتح من نوفمبر 1954 ، والذي طالما تحدثت معه عن مشكلة « مصالي » وعن اللجنة المركزية، قبل وبعد تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمال (ل ث و ح)

كانت الثقة التامة متبادلة بيننا ، غير أنني لم أكن أعرف أحدا في الولاية II كما لم أكن أعرف أيا من أولئك الذين كنت سألقاهم وأقابلهم في قسنطينة، كذلك . وفي سكيكدة التي كان يجب علي أن أمر بها قبل أن التقي بيوسف زيغود . لم يكن عندي الكفاية من كل الادعية التي حفظتها في صغري كي أحافظ على هدوئي وأظهر بمظهر طبيعي غير مكترث في أعين سائقي الذي لم يكن يعرف شيئا عن الغرض من سفري . كنت مسافرا تجاريا حديث التوظيف من طرف عباس تركي . دامت مهمتي حوالي العشرين يوما . فبعد عدة أيام لم

يكن علي فيها أن أكون شديد الذكاء كي الاحظ أنني كنت تحت المراقبة وموضوعا للإختبار على كل المستويات، بادرني يوسف زيغود متحدثا عن العديد من المسائل : عبان، بن خدة، الجزائر العاصمة . المندوبين في الخارج . انخراط فرحات عباس، انا نفسي، مصالي . ما كنت أعرفه حول كل هذا وما كان رأيي فيه . وفي آخر الامر أحسست جيدا أنه قد انتهى إلى الثقة بي فأعلمني أنه قد بعث بوفد لدى مصطفى بن بولعيد منذ شهرين وأنه لم يتلق أي خير عنه . ونصحني بالتخلي عن مواصلة مهمتي نحو الولاية الاولى على أن يتحمل كامل المسؤولية عن ذلك وانتهى قائلا لي في كل هدوء ان بن بولعيد قد توفي ومن ثمة فان اتمام المهمة الى الولاية الأولى صار غير ذي موضوع .

وهكذا اصبحت مهمتي لديه منجزة . وفي نفس الوقت، وصل من قسنطينة في مهمة لدى زيغود يوسف ابراهيم مزهودي الذي تعرفت عليه في هذه المناسبة . وقد خيرنا زيغود يوسف - بعد أن تمت مهامنا - بين البقاء في الولاية الثانية أو العودة من حيث أتينا . صرح ابراهيم مزهودي أنه كان يفضل البقاء في الجبل لأن الشرطة قد تكون لاحظت غيابه، وأنه قد يقبض عليه اذا ماعاد الى قسنطينة . واما أنا فقد شكرته مستسمحا اياه في ضرورة تقديم تقرير عن مهمتي لعبان وبن خدة، فأشارت لي ابتسامته الواسعة المشوبة بالحزن وحركة رأسه البطيئة أنه يوافقني تماما .

وقد كلف « صوت العرب » الذي كان آنذاك جنديا بسيطا والذي كان سيصبح مع انتهاء الحرب عقيدا قائدا للولاية الثانية، بإعادتي الى المدينة . كنت على يقين بانني قد عشت بعض الأيام الجميلة بالقرب من مجاهدين حقيقيين وأنني قد جاورت قائدا بأتم معنى الكلمة .بعودتي الى الجزائر قدمت

تقريرا كاملا وتاما الى عبان وبن خدة، وقد كنت مفعما بالحماسة إلى حد أن هذا التقرير الحي الذي كتبته عشية عودتي ذاتها، قد كان موضوع تحقيق تحت عنوان « أعود من الجبل » والذي ظهر في شكل مقالين متتابعين في صحيفة « المقاومة الجزائرية » التي كانت تصدر بالمغرب في سنة 1956 . وحسب ما أعلم فقد كان هذا أول تحقيق يقوم به جزائري حول المقاومة في الجبل . وبالإضافة إلى تنظيم، وقوة وعزم جيش التحرير الوطني فقد تحدثت كدليل على المعنويات العالية والثقة في النفس التي كان يتحلى بها مجاهدونا و عن مقابلة في كرة القدم شاهدتها في الولاية الثانية بدوار بني صبيح على ما اتذكر . وفي اليوم التالي مباشرة اتجهت نحو الشلالة ، حيث كنت أروي على أولئك الذين ألقاهم بعد غياب طال ما يقارب الشهر أنني قد كنت في دواري الأصلي، بني حامد، وانني كنت سعيدا للغاية برعاية أغنامي .

فيما بعد وعندما كنت عضوا في (لجنة التنسيق والتنفيذ) قمت بمهمة خاطفة الى وهران حاملا بطاقة هويتي الحقيقية . كان بن خدة المعهود بالرزانة والهدوء شديد القلق والإضطراب في عشية إحدى أيام سبتمبر أو اكتوبر 1956 ، حيث أنه كان قد كلف في الصبيحة ذاتها المرحوم مصطفى فروخي (1) بمهمة الى المغرب . وكان على هذا الأخير أن يتوقف في وهران . وكان الحال - لا اتذكر لماذا - يقتضي على بن خدة استدعائه حتميا فكان ذلك أمرا معاكسا . فسألني عن سبيل « المصادفة المطلقة » عن طريقة تمكننا من اللحاق بفروخي . لم يكن بإمكانه الاتصال بالمنظمة أو تكليف أحدها قبل انطلاق آخر قطار . واذا ما اخطأنا القطار الأخير، يجب علينا حينئذ التفكير في سيارة، فالقضية كانت معقدة والأمر لا يخفى . والخطر كان في أن نكشف في الآونة ذاتها عن أمر

---

1)مات مصطفى فروخي في حادث طائرة فوق موسكو في طريقه إلى بيكين اين عين سنة 1961 كممثل للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

فروخي،وسويح الهواري الذي كان سيذهب اليه فروخي في المساء .

قلت لبن خدة " أعرف شخصا موثوقا به " فسألني " من ؟" فأجبته قائلا " أنا !"، ولكنني لستُ أمزح، أنت تأخذ كل الأمور " مزاحا " . أنا جاد وسأركب القطار حالا ، اعطني المعلومات سويح وسآتي لك بفروخي « مغلول اليدين »، ولكنك لا تعرف ما تقوله ياسعد ! هل نسيت (لجنة ت ت) ؟ قلت ماذا ، مابها (ل ت ت) ؟ - قال، اذا ما قبض عليك، إنها النهاية ياصديقي فتكشف عن (لجنة ت ت) وستسقط أرضا كل ماتحقق - قلت، أصغ إلي ياصديقي، يمكنني اللحاق بفروخي هذا أكيد . وهذا هو الأهم . اما الباقي، فقد يقبض علي، وهذا غير مؤكد، ويمكنني أن أكشف أمر (لجنة ت ت)، وهذا شيء غير مؤكد كذلك . إذن هاهو، نحن نلعب منذ زمن بعيد، اليس هذا صحيح ؟ واللعبة ما زالت قائمة ! فاذهب ونم مطمئنا . لن أقول اي كلمة، ولاأعرف عناوينكم ولن يمكنني مهما كانت الظروف ان اعكر صفو نومكم . واذا لم ترني غدا في نفس الساعة فحالة طوارىء دقت ، والاجتماعات في 33 انتهت . سأحاول أن أصمد حتى تتمكنوا من الاجتماع في مكان آمن آخر وآخر رغباتي : اذا لم اعد ، انني أتنازل لك أمام الله وعباده عن كل حقوقي في جريدة « المجاهد » : كل المضايقات، الارتجاف، الخوف، القلق، الأرق والباقي ..» .

وانطلقت في الحين .

في وهران اضطررت إلي المشي اكثر من العادة ومن شدة الألم في ساقي اليمنى كنت وابنما توقفت أخرجتها من نعلي كي ترتاح . كنت في اليوم التالي وقبل ان اذهب الى محطة القطار ، في وقت ما ، أمام متجر "كبير" فدخلت الى المتجر لبعض الدقائق وبمروري أمام عرض للبضائع لمحت لبّاسات أحذية مصنوعة من الصفيح الأبيض ، فخطرت ببالي شراء واحدة أولا كي أعطى معنى لدخولي

المتجر وثانيا لأنني كنت أحتاجها فعلا . وكادت هذه الفكرة البسيطة أن تحدث الكارثة التي كنا نخشى وقوعها ! فبخروجي من المتجر وما أشتريته في يدي محاولا السير دون عرج، لمحت شرطيا من أمن الدولة كان واقفا لوحده أمام المتجر ويتابعني بنظره . اقترب مني بهدوء سائلا إياي : « ماهذا الذي بيدك مشيرا الى لباسة الأحذية » فاجبته غير مبال . « أنت ترى جيدا هذه لباسة أحذية » . - لماذا اشتريتها - قلت لماذا ؟ وواصل بمظهر مرتاب وشرير الى حدما « كي تصنع منها سكينا !» . لم أتمكن حينها من حبس ابتسامة رغم الخوف الذي بدأ يسري في جسمي ! فقمت بمجهود نفسي كي أظهر في حالة من التجرد واللامبالاة « أنت جد محظوظ ياصديقي، يمكنك المزاح . أما أنا، ففي غاية الضيق وحالتي يرثى لها، ولو رغبت في الحصول على سكين فقد شاهدت في المتجر ماثمنه نفس ثمن هذا الشيء » .

في فبراير 1956 . وبينما كان چي مولي GUY MOLLET يقترح علينا ثلاثيته الشهيرة (وقف اطلاق النار، الانتخابات، المفاوضات) ، كنا نحن ومنذ ذلك العهد نحضر لمؤتمر الصومام . كنت قد أحرزت على ثقتهم . ولم تكن شروط الثقة والشجاعة وكل المؤهلات الاخرى في الحقيقة لتشريفنا أو مجازاتنا .

لم تكن العضوية في (ل ت ت) عملا بدون مشقة ، فالمؤتمرون كانوا يفكرون في أنفسهم، في جيش التحرير الوطني، في أمان الكل، في الثورة . كانوا يريدون لمصيرنا أن يكون بقدر الإمكان بين أيادي أمينة . كان بإمكان الكثير من الرجال الاكفاء، في داخل البلاد اللحاق ب (لجنة ت ت) ولكننا كنا جاهزين . واذا ما كنا في مهمة في الخارج فلم نكن أبدا لِنُخْتَارَ قبل بوضياف، بن بلة، خيضر والآخرين .

وبما أن قدر وعزيمة المؤتمرين في الصومام قد أقروا ذلك، فقد عملنا كل مافي وسعنا، وكانت بالتالي لجنة التنسيق والتنفيذ مكونة من خمسة اعضاء،هم :

عبان رمضان

بن يوسف بن خدة

العربي بن مهيدي

كريم بلقاسم

سعيد (سعد دحلب)

الفصل الثاني

اللجنة الأولى للتنسيق و التنفيذ (ل. ت. ت)

كان يجمعنا نحن الخمسة وفاق تام، فلم يكن بيننا أي نزاع تافه . وهذا بالرغم من عملنا في ظروف صعبة للغاية . وقد كان يحدث أن يغضب أحدنا، ولكن هذا الغضب لم يكن يترك أي أثر . كان عبان أشدنا غضبا، وكان بن مهيدي في بعض الأحيان شديد الحساسية إزاء مايمس غيرته . أما كريم فقد كان أكثر تقيدا باللياقة والآداب ، في حين أن بن خدة وأنا، فقد التزمنا بأن ننسي الناس بأننا كبار مسؤولي (حركة الانتصار للحريات الديمقراطية)،أظن أننا كنا كلنا نعني المصلحة العليا للثورة الجزائرية، وقد حاولنا أن نرقى دوما إلى ذلك . كنا على دراية بالمسؤوليات الكبيرة التي كانت ملقاة على كواهلنا . لم يحدث أبدا أن وقع أي خصام بيننا، فقد كان احترام بعضنا لبعض يكتسي طابع القداسة . إن هذه العادة أي مبدأ الحفاظ على وحدة القيادة كانت تحدونا دائما في عملنا، وهذا مامكننا، بن خدة وأنا من الاستمرار الى النهاية في تجندنا الكلي لخدمة الثورة الجزائرية، بالرغم من العديد من المصائب التي لحقت بنا فيما بعد .

لقد كنا نشكل قيادة جماعية، وكانت كل الأمور تناقش ويبت فيها بالصفة الاكثر ديمقراطية، غير أننا لم نكن أبدا شديدي الحرص على هذا المبدأ : حيث كان كل واحد منا يتمتع بحرية كبيرة في التصرف، وخاصة في دائرة عمله . كان عبان أسرعنا، فكان يحرر ملاحظاته وتوجيهاته بسرعة، وكان يقرر ويبت في الأمور بأسرع من ذلك . لم يكن يعرف التردد، و لم يكن يتحرج لأية عواقب، وكثيرا ما كان يضعنا أمام الأمر الواقع . وهكذا كان يتقدمنا عمليا . ولم يكن أي شيء يغضب كريم وبن مهيدي أكثر من رؤيته « بتظاهر بالزعامة » ويشهد الله علي بأنني كثيرا ما أصلحت الأمور، موضحا أن عبان لم يقم إلا بتحقيق أو تنفيذ فكرة أو قرار كنا قد تحدثنا عنه من قبل أو كنا سنتخذه فيما بعد . كان كريم عزيز النفس للغاية ويتصرف دائما بكل لباقة وانضباط . أما بن مهيدي، وعلى العكس من الصورة التي أعطيت عنه في فيلم ياسف سعدي حول « معركة الجزائر » حيث يظهر مستسلما صامتا قليل الثقة بنفسه كمثل متصوف ... فقد كان ذا فيض زاخر بالأفكار . وبالنظر إلى المناقشات الحادة والمتوترة التي كان يثيرها وينشطها عندما كان إطارا دائما في (حركة إ ح د) وإلى السرعة التي كان يتحلى بها في تقديمه لعروضه ، فقد كان زملاؤه يلقبونه « بالمحرقة الملتهبة» .

بابتسامة لا تكاد تبرح ثغره كان بن مهيدي أيضا يتحلى بالعزة والوقار فكان لا يهاب الكلمات المعبرة . ينقل الجنرال ماسيو MASSU عنه، والذي يكون قد استجوبه بطبيعة الحال بعد إلقاء القبض عليه في 1957/2/23 ، بانه قد أكد له أن إضراب الثمانية أيام ، كان سيجعل من الجزائر « ديان بيافو جديدة » (1) .« DIEN BIEN PHU »

1) هو مكان في شمال الفيتنام حيث حوصرت القوات الفرنسية وقضي عليها نهائيا في سنة 1954 .

ان هذا الاسلوب لبن مهيدي حقا، ولكن الجنرال "ماسو" قد أخطأ فهم المعنى الذي كان يعطيه بن مهيدي « لديان بيانفو جديدة » حيث أنه يعنى ديان بيانفو سياسيا . فالأمر لم يكن يتعلق - أبدا - باضراب عصياني كما يزعمه الجنرال ماسو .

لقد كانت الأوامر صارمة، ومحددة في هذا الشأن : كان على سكان العاصمة أن يمكثوا في بيوتهم وأن يحرصوا على عدم الرد على أية مناوشة أو إثارة . لم يكن بن مهيدي مخطئا فيما يتعلق بديان بيانفو ، فإنه إضراب الثمانية أيام وعواقبه، والاعمال التي قام بها المظليون من الجيش للقضاء على (جبهة ت و) وتوطيد الاحتلال الفرنسي هما اللذان عزفا "اللحن الجنائزي" على الجزائر الفرنسية بأن ساعتها الأخيرة حانت .

لقد حاولنا جيدا تقسيم المهام فيما بيننا، غير أنه لم يكن ممكنا أن توجد خمس لجان بينة ومحددة تكون كل واحدة منها تابعة لعضو من (لجنة ت ت) فقد كانت لـ (لجنة ت ت) نظرة شاملة على كل العمل .

كان على بن مهيدي المقيم بالقصبة والذي كانت حراسته مؤمنة من قبل شبكة ياسف سعدي، أن يلتقي بهذا الأخير مرارا . ومن ثمة كان عليه أن يراقب ويناقش عمله باسم (لجنة ت ت).وأما أنا فقد كنت مكلفا بالصحافة والاعلام . ولكن الجزء الأكبر من العمل كان مؤمنا من طرف بن خدة : العلاقات، الاتصالات، الملاجىء، التنظيم السياسي، المحادثات مع هؤلاء وأولئك، المالية، نقل الأسلحة والمتفجرات . القرارات اليومية في إطار المشاورات،والقرارات التي تتخذها مبدئيا (لجنة ت ت) كانت عمليا تتخذ من طرفه هو وعبان . كان بن خدة معروفا بشجاعته . لم أره أبدا من قبل بنفس الهدوء والرزانة اللذين كان عليهما في تلك الفترة الحرجة . « الأب الهادىء » الذي اختار أن يسمي نفسه « البير موليني ALBERT Molina » على اسم فرنسي يهودي من الجزائر العاصمة . وذلك لأنه وكما قال لي يمكن لهجته أن تكون ليهودي وليس

لفرنسي، وبالتالي لا يمكن أن تفضح أمره وهو يتجول باستمرار وبدون كلل في مدينة الجزائر. ويغير السيارات وسائقيها أربع مرات في اليوم.

كان يضع قبعة من اللبد فوق رأسه، كما يفعل كل أوروبي يحترم نفسه، وكان وجهه مزين بشنب كبير متدلى لا يظهر أي قلق أو اضطراب كان. ومع ذلك، فقد حدث في أحد الايام أنه قرر أن يحلق ذقنه عند حلاق فرنسي على مقربة من مقر ولاية الجزائر، حيث كان قد ضرب موعدا لأحد سائقيه وكعادة كل الحلاقين كان هذا يتكلم دون توقف، وكان بن خدة يتمتم بما يفيد الموافقة، وفي لحظة من اللحظات كاد أن يختنق من شدة الضحك، أو الرعب في الوقت ذاته الذي كان السكين يباشر حلقه، توقف الحلاق لحظة وأتخذه كشاهد مستفسرا في تعجب: « هل هذا حق الانذال! أليس كذلك! بينما يختبئ القادة الانذال لـ (جبهة ت و) ويبعثون بالصغار والمغررين بهم للقيام بالاعتداءات والمآمرات الإجرامية. يجب علينا أن نفتك بهم جميعا. أليس..؟ الانذال! ».

وفي هذه الحالة تمتم بن خدة موافقا مرتين عوض مرة.

لم تكن لكريم صلاحيات محددة. كان له نفوذ كبير ويناقش في كل المسائل. لم يكن يخفي أي شيء عن (لجنة ت ت) فكان يكفي كل واحد منا ان يقدم عرضا عن أعماله وعن كل المبادرات التي كان عليه أن يتخذها. لقد كانت قوتنا الكبرى تكمن في الثقة المتبادلة بيننا.

العملية الكبرى التى قمنا بها سويا، والتي كان من الممكن أن تجعلنا نتضاد بعضنا بعضا كانت اضراب الثمانية أيام في يناير 1957. فمع أننا كنا متفقين على مبدئه عشية انعقاد دورة منظمة الأمم المتحدة) إلا أنه كان من الصعب جدا علينا الإتفاق على مدته و تاريخ إنطلاقه، وعلى كل العواقب المحتملة التي

ستنجر عنه . وإذا لم تخني الذاكرة فالفكرة كانت لبن مهيدي . كان الواجب أن نبرهن للعالم عن اجماع الشعب الجزائري كله وراء (جبهة ت و) و تمثيلية هذه الأخيرة وتحطيم أسطورة « الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا » . لا أتذكر بالضبط من اقترح ثمانية ايام ؟ فقد طالت المناقشة حول هذا . وانتهينا إلى تقبل مدة الثمانية ايام ، حيث أن بن مهيدي كان يدافع وبكل حدة عن فكرة القيام بالاضراب لمدة شهر ؛ لم أره أبدا ينظر إلي بمثل هذا الازدراء وربما الشفقة - كان دائما يعاملني بكل ظرف وحفاوة - عندما غامرت باقتراح يوم أو يومين على الأكثر . زد على ذلك أن أحدا لم يجبني فكتمت أنفاسي دون نقاش .

كان التنظيم المدني لـ (جبهة ت و) قد عانى الويلات وأحيانا قد تحطم تماما في بعض الأحياء والقرى ، فلأجل هذا كان الانتصار الذي ظن المظليون من الجيش أنهم حققوه في لاضراب الثمانية ايام قصير المدى ،فثلاثة أشهر بعد انتصاره في الجزائر في يناير وفبراير 1957 ظل الجنرال ماسو MASSU يشتكي من المدنيين ويبحث عن أفضل طريقة لتنظيم صفوفه ،فقد كتب في رسالة إلى والي الجزائر في 11 يونيو 1957، موجهة إلى قسم دائرة الجزائر :

« في الوقت الذي يستأنف فيه النشاط الارهابي في الجزائر يبدولي أنه ليس من اللازم أن أؤكد أن الارادة المشتركة في العمل وبلوغ الغاية يمكنها وحدها أن تضع حدا لتطوره ، فنظرا للارادة القوية والعزيمة الفلاذية التي يتصف بها خصمنا، يتعين علينا الأ نواجهها بنظام هشّ ومناهج وأساليب مختلفة ؛ فلهذا يشرفني أن أطلب منكم قرارا ولائيا يلزم مختلف المصالح الأمنية المدنية على تنسيق وتوحيد العمل مع السلطة العسكرية المسؤولة عن حفظ الأمن »

ولتدعيم موقعها والبرهنة للعالم على أن الشعب الجزائري في عمومه يطالب باستقلاله في الوقت الذي كانت مناقشة القضية الجزائرية ستطرح في منظمة

الأمم المتحدة . قررت جبهة التحرير الوطني القيام بإضراب شامل لمدة ثمانية أيام يبتدى يوم 1957/1/28 .

لقد أذيع تاريخ الثامن والعشرين من يناير، عبر « صوت العرب » من القاهرة وقد انتشر كفتيل البارود عبر كامل أنحاء التراب الوطني، وفي فرنسا ذاتها بين أوساط الهجرة الجزائرية، التي كان عليها أيضا أن تتقيد بالاضراب .

كان من المستحيل أن نتدارك هذا الأمر دون أن نجازف بالاخلال بالنظام فاخترنا بطبيعة الحال اعتماد هذا التاريخ . كنا نفضل أن نترك آخر الشهر يمر حتى نتيح - على الأقل - للموظفين والمستأجرين أن يتقاضوا رواتبهم . فقد اضطررنا إلى تجاوز إرادتنا . وقد حاولنا - بعد ذلك - تعليل هذا بتركيزنا على روح التضحية الارادية لهؤلاء براوتبهم، الخ ... الشيء الذي كان بكل بساطة غير معقول .

وفي هذه الظروف وبإتفاق تام بطبيعة الحال مع حكومته، « الحكومة الاشتراكية لجي مولي » منح الوزير المقيم لاكوصت Lacoste في 1957/1/7 للجنرال ماسو قائد الفرقة العاشرة للمظليين تفويضا مطلقا من أجل الحفاظ على الأمن في مدينة الجزائر وعمالتها . « وإستعادة السيطرة » على السكان المسلمين .

هكذا وكرد على المعركة السياسية التي خاضتها جبهة التحرير الوطني في منظمة الأمم المتحدة ، إلتجأت الحكومة الفرنسية إلى معركة عسكرية، بما أنها قد وضعت الفرقة العاشرة للمظليين وأفواج القطاع في مواجهة تنظيم (جبهة ت و) في العاصمة". كما ينوه به الجنرال ماسو ذاته . الكل يعرف اليوم كيف قام المظليون الفرنسيون باقرار الأمن في تلك الفترة، ولكن لايوجد أحد يستطيع التحدث بدون مبالغة أحسن من الجنرال ماسو نفسه ، عن الكيفية و الأساليب

التي استخدمها لأجل « افشال خطة (جبهة ـ ت و) وتذكير العالم بأن فرنسا هي مهد الحرية والمساواة والأخوة » كما قال كختام لندائه الأول لسكان الجزائر العاصمة :

« منذ ليلة 7 إلى 8 يناير، سأشرع في مهامي الجديدة آمرا ابتداءا من الساعة الثالثة صباحا ، القيام بعملية مراقبة شاملة للجزء الشمالي الغربي من القصبة : تفتيش واسع النطاق تشارك فيه كل الوسائل المتوفرة، مع الإستعانة بالمساعدات الاجتماعيات لإعانة مصالح الأمن في المساكن التي توجد بها نساء مسلمات .

« ليس لدينا إلا القليل من المعلومات، ولكن أساليبنا تتضمن محاصرة تامة وعمل الفرق المختصة . و أحست الشرطة من جديد بانها معنية بالأمر ومن ثمة فبداية إجراء اتصال معها يفرض نفسه .

« استخدمت في هذه العملية الكشافات والمصابيح اليدوية، السلالم المنقولة وعتاد آخر متنوع .

« لم تنته العملية إلا في اليوم (8) حوالي منتصف النهار بعد أن تمكنت من إلقاء القبض على ثلاثمئة مشتبه فيهم من بينهم خمسة قتلة، لـ(جبهة ت و) تبحث عنهم الشرطة . وقد تم حجز حوالي 30 بندقية ومسدس ، كما تمت مباغتة اجتماع حوالي 40 شابا جاؤوا من نواحي متعددة من الجزائر .

« وللحيلولة دون هروب « النمل » الارهابي واصطياده . أقوم بعزل الاحياء العربية (محاطة بأسلاك شائكة، ومحروسة بدوريات) وبتطبيق مخطط جديد للمرور ، فالأغلبية الكبرى من الشوارع والأنهج ستكون ذات اتجاه واحد . وتوضع سيارات لاسلكية في كل مفترقات الطرق، كما يتعلق الأمر بإجراء إحصاء للمسلمين العاملين بالأحياء الأروبية، وفي الميناء وإعطائهم رخص مرور

دائمة « لكنها قابلة للفسخ » حتى يتسنى لهم الإلتحاق بأماكن عملهم »

« غير أن الغاية الملموسة الأولى والكبرى التي حددتها لي الحكومة كانت افشال الاضراب العصياني الذي كانت (جبهة ت و)قد حرصت على ازماع القيام به في 1957/1/28 »

« سأعمل أيضا على مجابهة هذا الاضراب، في مختلف مراحله : الاعداد، الانطلاق، التنفيذ، العواقب .

« فيما يخص الإعداد :في 21 جانفي بكونه يوم اثنين، فانني اعتزم القيام ابتداء من يوم الجمعة بأكبر عدد ممكن من الاعتقالات . الغاية المثلى كانت - طبعا - اعتقال كل أولئك الذين كانوا سيباشرون إصدار أوامر الإضراب، ثم ينشرونها . لم تكن هذه الغاية طوباوية بمثل ما يمكن ظنه .

« صحيح أن القادة الكبار لجبهة التحرير الوطني، وأن اعضاء (لجنة ت ت) كانوا بعيدين عن طائلة السلطات . ومع ذلك ففي صفوف التابعين كان كثير منهم لا يختبئ ، باعتبار أن قوات الأمن الفرنسية تكاد تكون عاجزة أمام الارهابيين، وأكثر من ذلك عديمة الجدوى أمام « السياسيين » .

« إذن فآخرالعطلة الأسبوعية السابقة ليوم 28 يناير قد سخرت لإلقاء القبض عن أولئك الذين (حسب المعلومات التي مازالت ناقصة في حوزتنا) يقومون بادوار متفاوتة الأهمية قبل الاضراب وأثناءه تقوم الفيالق الأربعة-فيالق من المظليين-مرفوقين بكشوف العناوين حسب الاحياء والطرق وارقام البنايات التي وزعت عليهم ، وحسب أماكن تمركزهم في داخل مدينة الجزائر - في آن واحد وليلا - بشن عدد من العمليات الخطيرة بعدد الأبواب التي يجب فتحها ، لأجل نقل 900 إلى 1200 شخص المبلغ عنهم على متن الشاحنات . لم يكن يكفي

إلقاء القبض عليهم، بل يجب وضعهم في « غياهب السجن » ، فكان المكان المختار لاعتقال المشتبه فيهم ساحة محاطة ببنايات صغيرة تابعة للمدرسة العسكرية للاشارة بن عكنون في نواحي مدينة الجزائر .

« وهكذا فقد أحسن توظيف نهاية الأسبوع حيث تم حشد المئات من المشتبه فيهم ببن عكنون، مع بروز فجر 22 يناير 1957 . ويجب التنويه هنا بأن العملية المسماة « عملية شنبان champagne » قدتمت بطريقة لا ينجر عنها إلا الحد الأدنى عن العواقب الوخيمة .

« كانت ولاية الجزائر العاصمة، وبالتالي مصالح الشرطة قد أشركت في أمر الاعداد ، بل وتم حتى تعيين محافظ الشرطة السيد « سيكالدي رينو » على رأس المعتقل الذي تمت اقامته عشوائيا . لم يكن هذا بالعمل المريح له، حيث وجد نفسه متعرضا - في آن واحد - للاحتجاجات المطالبة بالحرية وشكاوي عدد كبير من الاشخاص، المنتزعين من بين عائلاتهم والموضوعين بكل هشوة وفظاظة، في ظروف بالغة السوء . كانت تدفعهم وخصوصا على غير مرأى من المظليين إلى المطالبة بعزة النفس .»

يجب الملاحظة أن « العواقب الوخيمة » التي كان الجنرال ماسو يريد تقليلها لا تتعلق بالأضرار التي ستلحق بالمسلمين، ولكن الأمر كان بالنسبة له هو تفادي النزاعات مع باقي الادارات والشرطة التي كانت تحسدهم على كفاءتهم وامتيازاتهم .

« لقد أشركت - أيضا - السكان الأوروبيين في عملي » كما يقول الجنرال موضحا .

وبالتوازي مع هذا القمع الأعمى والغير محدود . كان يذيع البلاغات وفي نفس الوقت - كما يكتب - « كنت وبواسطة الطائرات المروحية أرمي المناشير فوق الأسطح بالقصبة تحث المسلمين على الالتحاق بالعمل »

كان الاضراب سيوقف إذن ! لا، كما يعترف به ماسو MASSU: « لم يكن للاعتقالات أي تأثير واضح على انطلاق الاضراب في ذاته : كانت الأوامر قد اعطيت . فلم تغير البضع مئات من الاعتقالات في ضواحي الجزائر في ذلك شيئا » (معركة الجزائر الحقيقية ص 91) .

في 28 يناير 1957 كانت الجزائر مدينة ميتة .

بمساعدة كل مصالح الشرطة هاج المظليون كالوحوش المسعورة عبر المدينة فكانوا يقتحمون بيوت المسلمين بابا بابا، ويخرجون منها بكل شراسة كل الذين كانوا فيها، مكدسين إياهم بعضا فوق بعض في الشاحنات العسكرية وتحت وابل من الضربات بأعقاب البنادق والعصي والأرجل . وكانوا يوجهون حمولاتهم المختلطة في أي اتجاه نحو أي مصلحة أي مشغل أو مكان عمل . وفي ذلك الصمت الرهيب الذي كان يعم المدينة أصبحت حمى المظليين جحيما لا يطاق . ويكتب الجنرال ماسو - أيضا - قائلا : « كان الفتح الإجباري للمحلات والاسواق إحدى الاعمال الاكثر جلبا للأنظار في تلك الصبيحة . كانت المهمة سهلة في بعض الحالات حيث وبعثور المظليين عليه لم يكن يجد التاجر المرغم على الإضراب بدا من رفع الستار الحديدي لمحله . أمام (جبهة ت و) يمكن أن يقدم العذر عن فعل ذلك بأنه كان مجبرا .

« وإذا ما كان التاجر قد أحسن الإختباء . أو أضاع لسوء الصدف مفاتيح الستار الحديدي، فلم تكن الأمور تتعطل : حيث لا يمكن لأي ستار حديدي الصمود أمام جر الشاحنات العسكرية (G.M.C) ».

في الأربعاء، أكبر قرى المتيجة، وعلى مقربة من الجزائر قرر الكولونال أرقو Argoud قائد القطاع الفرعي - حسب ما قيل لي - ومنذ الساعات الأولى من نهار يوم 28 يناير بالذات اتخاذ اجراءات مثيرة للغاية ضد التجار المضربين، فمرفوقا ببعض ضباطه ومتبوعا بمصفحة من فرقته « القناصة الثالثة الإفريقية » اتجه صوب الساحة الكبرى للمدينة . كانت كل الستائر الحديدية مسدلة فوقف ثم نادى بصوت عال معطيا الأوامر بفتح هذه الستائر، ولما لم يرفع أي ستار قال - إذن - وباختصار « تلك هي مشيئتكم فغضب السماء سينصب عليكم » خاتما هكذا تحذيره، وباشارة منه قامت المصفحة التي كانت تنتظره بالقاء قنبلة صوب الستار الحديدي الذي كان يقابلها ، فكان هناك دوي مهول ووابل من الحطام، ثم أضاف أرقو بكل افتخار « لقد شئتم ذلك » .

ثلاثة أشهر بعد أن « حُطمت جبهة التحرير الوطني » بثمن الآلاف من المغتالين والمفقودين وتحت سطوة التعذيب المطبق على شكل نظام دائم ؛ لانحتاج قط لاي مزيد من التعليق ! ومع ذلك فلنضف دليلا قاطعا آخر على غرور القمع الاجرامي للمظليين من الجيش الفرنسي .

فثلاث سنوات بعد إضراب الثمانية ايام وانتصار المظليين، بينت لهم المظاهرات الشعبية الضخمة سنة 1960 عبر أكبر شوارع العاصمة أنهم قد خسروا حقا المعركة، ليس في العاصمة وحدها فحسب، بل وفي الجزائر كلها . لم يكن لمشاركة المظليين الفرنسيين في تحطيم أسس الجزائر الفرنسية ذاتها، نظير ، غير ذلك التي قامت بها المنظمة المسلحة السرية بعد وقف اطلاق النار، والتي كان

على رأسها آخرون من مشاهير جنرالات فرنسا أمثال صالون SALAN ، وجوهو jouhaud، وغيرهم .

بيد أنه في يناير 1957، وعلى مدى الأشهر التالية كانت خسائر (جبهة ت و) فادحة . وكان من الحتمي عليها استئناف القتال .

كان أكبر خطأ للسلطات الفرنسية والذي يبين في الوقت نفسه مدى جهلهم للمسألة الجزائرية، واحتقارهم الكبير للشعب الجزائري و « للعرب » عموما في أنها قد ظنت أن العرب لم يتبعوا (جبهة ت و) الأ مجبرين على ذلك « اذا ما كان الحال غير ذلك فسيظهرون بأكثر شراسة من إرهابيين (جبهة ت و) . وكانت تظن أن العرب انذاك سيخافون الجيش الفرنسي أكثر من (ج ت و) وبالتالي سينضمون للفرنسيين . إنهم تعساء ! لقد أغمضوا اعينهم قرابة ما يزيد عن القرن، فكل الانتفاضات السابقة لكل المطالبات المعلنة الألاف المرات من طرف الاحزاب السياسية الجزائرية، كل النداءات بحقوق الناس بالعدالة والحرية، كل التقلبات التي كان العالم كله يعرفها من حولهم، و حتى الهند الصينية ذاتها لم تعلمهم شيئا « العرب ! ثلاث مرات لا شيء » كان يكفي أن « يلقنوا درسا بالقوة » .

لاجل هذا ظنت الحكومات الفرنسية كلها ، وبدون أي استثناء من الاشتراكي جيمولي Guy Mollet الى الجنرال دوڤول صاحب الرؤية البعيدة، بأنها تستطيع أن تحتفظ بالجزائر والجزائريين بالقوة .

وبالرغم من هذه التجربة الصعبة، كان تماسكنا تاما ، وبقيت (لجنة ت ت) صلبة كالصخر . لقد بدأنا في التفكير بمغادرة العاصمة واللجوء إلى الجبل، بازدياد قبضة المظليين احكاما علينا يوما بعد يوم، وعلى هذا أخبر بن مهيدي بأن اقامته في القصبة أصبحت مشكوكا فيها وانه يخاطر بالقبض عليه في كل

حين، فقرر أن يخرج من القصبة وأتى ليقيم ليومين أو ثلاثة في شقة صغيرة بالمدينـة الأوروبيـة لا يعرفـهـا منا غير بن خدة حيث كان يتصل أحيانا بالهاشمي حمود .

كان هاشمي حمود ، المعروف أيضا باسم جلول،مناضلا من برج منايل، القي القبض عليه في سنة 1945 وعذب تعذيبا وحشيا واطلق سراحه في سنة 1946 فكان رئيسا لولاية القبائل، ويشرف على كريم وأو عمران اللذين كانا آنذاك منضمين - خفية - في حزب الشعب الجزائري - حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.وقد كان أيضا مسؤولا على سطيف ووادي الصومام، وعضوا في اللجنة المركزية لـ (الحركة ا ح د) ومنذ 1951 عضوا فيها حين انشقاقها ، فقد كان مركزيا من المركزيين كما سمونا فيما بعد .

كان حمود بطل عمال الاتصال لبن خدة، ومعه أيضا كنت أرتاد معملا للتحميص الذي يقع بالقبة حيث كنا نحن الثلاثة هو ونسيبة حبلال وأنا، نقوم بسحب المجاهد على آلة « الرونيو Ronéo » والحال أنه، قد قبض على حمود في غصون 20 - 21 فبراير 1957 . وأمام إفحامه بحجة الوثائق أو مواجهته مع مناضلين آخرين، وتعذيبه تعذيبا فظيعا من قبل المظليين كما يعترف به الجنرال ماسو نفسـه، فقد اضطر الى الاعتراف بأنه كان يعرف بن خدة، وهنا نقتصر على الاحتمالات لأن حمود قد توفي تحت التعذيب ولا نعرف أبدا ما اعترف به، غير أننا نعرف على العكس من ذلك بأنه لم يكشف عن مقر اجتماعات (لجنة ت ت) الذي كان يعرفه جيدا ، لأن هذا المقر لم يكشف عنه الا بعد وفاته رحمه الله، وقد هجرناه منذ مدة .

مضطرا إلى اعطاء مكان التقائه ببن خدة فقد ظن بأنه يمكن أن ينقذ نفسه باعطائه عنوان شقة نهج « كلود دي بوسي » في الجزائر، الشقة التي كانت شاغرة، والتي لم يكن ممكنا أن يتواجد بها بن خدة، لأنه مكان استثنائي للقاء

بينه وبن خدة .

إن أولئك الذين رأوا حمود عند المظليين لم يتعرفوا عليه لولا بعض الاشارات والتحذيرات التي أعطاهم اياها هو نفسه ، فلم يضيع حينها أي شيء من شجاعته وروعيه .

حين اقتحم المظليون الشقة وجدوا أنفسهم وجها لوجه مع بن مهيدي وكانوا متأكدين بانهم قد قبضوا على بن خدة الذي كانوا يبحثون عنه بهمة لا تعرف الكلل . ولقد علمنا بان بن مهيدي الذي أدرك نفسه هالكا لا محالة لم يبحث ولو لحظة واحدة على التخاذل بأن يستعمل التذبذب ، فقد قام بتقديم نفسه معرفا إياهم باسمه في اللحظة ذاتها التي واجههم فيها، فكانت مفاجأة وفرحة المظليين أمام غنيمة مثل هذه، فضلا عن ذلك واقعة من السماء، بشكل افقدهم صوابهم، و هذا ما أنقذ بن خدة، الذي في غصون ذلك كان قد علم بإلقاء القبض على حمود، وكان قد تردد ثلاث مرات متتالية على تلك الشقة لأجل انقاذ بن مهيدي، حوالي ربع ساعة بعد اقتحام المظليين لها . في المرة الأولى ظن بن خدة بان بن مهيدي قد خرج ليستنشق الهواء أو ليشتري صحيفة أو أي شيء آخر ، فعاد تالية بعد ربع ساعة، دق على الباب ونادى فما من جواب ! وبعد أن يئس من عدم استطاعته تحذيره بالخطر « وعنيد » مثلما لا يستطيع أحد غيره أن يكون عاد للمرة الثالثة ، ونادى ثم أدخل له من فجوة الباب ورقة كتب فيها اسمه وكلمة سر لايمكنها أن تخدع بن مهيدي . وحذره منذرا اياه - وللأسف بدون جدوى - بمغادرة المكان في الحال .

لو أن المظليين كانوا قد وضعوا شخصا هناك، لو أنهم لم يفقدوا صوابهم

لكانوا قد قبضوا على بن خدة بنفس السهولة التي قبضوا بها على بن مهيدي، وكانت فرحتهم أكبر وأعظم .

لقد كانت لبن مهيدي وقفة مشرفة كنا ننتظرها منه، فقد شهد سجانوه ماسو Massu وبيجار Bigeard بأنه قد استطاع ببرودة دمه وذكائه وإيمانه أن ينقذ لجنة التنسيق والتنفيذ، ولوقت أطول ياسف سعدي، وتنظيم (جبهة .ت .و) الذي كان تحت اشرافه، بحديثه عن تنظيم وهمي كامل للمظليين ، متضلع في علم النفس، فأقنعهم بانه لم يكن للجنة التنسيق والتنفيذ تقريبا أي نشاط في العاصمة . وأن كريم كان في تونس، وأن عبان وبن خدة كانا في الجبل وأنه هو كان قد أتى من وهران منذ مدة قصيرة . وبالطبع لم يقل أية كلمة عني متحدثا عن سعيد الرجل الخامس في (لجنة ت ت) قال ما تبادر الى ذهنه :إما أن سعيد كان مناضلا قد فقد منذ زمن أوأنه شخص موجود بالخارج . وعلى أية حال فالرجل ذو الالف حيلة وفكرة لم يخن شهرته وبخياله فقط استطاع أن يشل ولمدة أيام " آلية المظليين " بالرغم من أنها كانت جيدة الترويض (1) .

ومن جهة أخرى لم يكن في وسع المظليين هم أيضا أن يخونوا شهرتهم، أمام هذا الخصم السجين والمسلح فقط بإرادته وذكائه .

لم يكن يتخيل أن جبن قادة المظليين لا يعرف الفروق، وأنه لكونه - فقط - إطارا جزائريا ذا قيمة يستحق الموت ! فلم يعرفوا الرد بغير الاغتيال .

لقد صرح" الكولونال بيجار" بوقاحة أنه قد أقام له التشريفات العسكرية، ولم يعاتبه أي مسؤول فرنسي على هذا الإعدام، فهذا الجندي الفخور، قد نسي بأن سجناء الحرب لا يعدمون، وعلى العكس من ذلك فقد تباهى بيجار بهذا الجبن

1) ينقل الجنرال ماسو أن بن مهيدي قال لهم أن سعيد هو عيسات ايدير، فهل فكر بن مهيدي بان عيسات كان مسجونا بفترة طويلة قبل تعيينه في (لجنة ت ت) من مؤتمر الصومام .

الذي لم يكن جديدا عنده والذي كان له الأثر الكبير في ترقيته : الاستاذ علي بومنجل، فقئت عيناه بحديد « أحمر » ثم سحب الى سطح بناية كبيرة ومن أعلاها تم دفعه ليرتطم بالأرض، جريمته : هي أنه لم يستطع الإعتراف بخط سير لم يكن له أن يعرفه، متبوعا ببضعة ايام من قبل بأخيه السيد أحمد بومنجل الذي أتى إلى الجزائر لمقابلة (لجنة ت ت) .

صالحي مهندس قد عرف هو الآخر نهاية شنعاء، جريمته : العمل مع بومنجل في شركة شال، وكونه إطارا ذا قيمة لجزائر المستقبل .

لم تكن هذه الاغتيالات لخصوم مجردين من السلاح إلاّ عينة من " المآثر " التي كان المظليون الفرنسيون أبطالها أمام السكان المدنيين المسلمين، إبان ما كانوا يطلقون عليه بفخر اسم معركة الجزائر .

توفي بن مهيدي وخسر " معركة وليس الحرب " .

والجنرال ماسو رفيق التحرير الذي كان عليه أن يعرف جيدا هذه المقولة الشهيرة للجنرال دوقول، ما كان له أن ينساها أبدا ! فإلى يومنا هذا لا زال يفتخر بانتصاره في « معركة الجزائر » ويجيب بن مهيدي فيما بعد الموت بأنه لم تكن هناك « ديان بيانفو » . نعم لم تكن هناك « ديا بيانفو » ولكن كان هناك الفرار المضطرب والمفزع للمعمرين على الرغم من جنودهم « الأمجاد » ؛ ماسو MASSU وأتباعه،فكان هناك موت الجزائر الفرنسية .

إلتحقت لجنة التنسيق والتنفيذ بالجبل في أواخر شهر فبراير 1957 وإتفقنا على موعد لنا عند العقيد الصادق قائد الولاية الرابعة .

لقد انقذت (ل ت ت) في آخر لحظة بفضل الشجاعة والاخلاص وروح التضحية التي كانت تشكل السلاح الوحيد لمناضلينا في المدينة لمواجهة المظليين المدججين بالأسلحة .

نقل عبان وكريم من طرف "كلودين شولي" حتى البليدة، من حيث كان عليهما أن يلتحقا بمركز القيادة للعقيد صادق في الشريعة . نصف ساعة من قبل اقتحم المظليون شقة بيار شولي بديار "المحصول" على مشارف الجزائر في ساعة الإنطار ، واحتجزوا شولي كالعادة بدون أية مجاملة، ودفعوا به خارج البيت.التفت شولي بعزة نحو زوجته التي كانت بطبيعة الحال واقفة بجانبه وقال لها إلى اللقاء مطمئنا اياها بعدم ضرورة القلق عليه، ثم دنا يقبلها وبصوت عال أوصاها « لاتنسي مواعيدك » كانت كلودين شولي حاملا وقد فهم المظليون من هذا أن الأمر يتعلق بعلاجها . نصف ساعة بعد اعتقال زوجها تقود عبان في سيارتها « ذات الحصانين » . لم يكن يضاهي شجاعة وبرودة دم "بيار شولي، وكلودين" غير نزاهتهما وقناعاتهما السياسية . في اليوم الثاني ذهبت مع رشيد أو عمارة في سيارته الصغيرة « رينو 4 أحصن » و تركني في البليدة وعاد إلى الجزائر العاصمة و في اليوم التالي أتى بابن خدة الذي كان من غادر مدينة الجزائر،و عند عودته من البليدة أوقف في بني مراد في حاجز وضع بضع دقائق بعد مروره مع بن خدة . ومرة أخرى نجا هذا الأخير بأعجوبة من أيدي المظليين، ولكن رشيد مع الأسف كان قد فقد ، فبعد أخذه إلى الجزائرتم تعذيبه بوحشية تقشعر منها الجلود ، فقد نقل إلينا أنه فقئت عيناه وسلخ جلد رأسه، فمات تحت التعذيب! ياترى ماهي الاعترافات التي حاول جلادوه أن يحصلوا عليها منه ؟ أصبحت لجنة التنسيق والتنفيذ بعيدة عن طائلتهم، ولكن أساليبهم الآن أصبحت ثابتة:يجب على الضحية ذات القيمة أن تموت تحت التعذيب. وكأن هذه الوحوش قد أرادت أن تختبر مقاومة (جبهة ت و) في مدى تحمل مناضليها.

كان رشيد أو عمارة مناضلا قديما في حزب الشعب الجزائري وتخلى منذ زمن طويـل عن كـل نشاط سياسي بعد أن أصبح تاجرا ميسورا وفتح مطعما راقيا « لوشابون فان Le chapon fin » بشارع قسنطينة (عبان رمضان حاليا) مشاركا مناضلا قديما آخر في الحركة الوطنية هو محمد هني المدعى (داخي) وهذا الأخير لم ينقطع لحظة عن النضال كان مطعمهما كسابقه « لوكيلوكس » في شارع موڤادور يستعمل ناديا للسياسيين، أين كان للمناضلين الأمان التام لمناقشة مشاكلهم في وسط زبائن معظمهم أروبيون، ولم يكن أي شرطي يشك في أن الوطنيين الجزائريين هؤلاء المحرضين المعادين لفرنسا يمكنهم التردد على هذه الاحياء الراقية بفكرها والبرجوازية نسبيا .

لقد سخر رشيد أوعمارة نفسه وماله منذ إندلاع الكفاح المسلح في خدمة (جبهة . ت . و) فكانت (لجنة ت ت) تجتمع في منزله الكائن في 133 نهج تيليملي بالجزائر العاصمة كما كنا نتناول وجباتنا في عين المكان، كان رشيد يتكلف بكل شيء، وكان ابناؤه مختار و الأصغر منهم يساعدانه ذهابا و إيابا إلى المنزل في القيام بالمهام . كان يلقياننا في بعض الأحيان ولكنهما لم يكونا يعرفاننا فقد كان سلوكنا عاديا كأصدقاء قدامى لرشيد . كنا نأتي إلى بيته لأخذ قسط من الراحة، والحديث عن الأحداث الخطيرة التي كانت تمنع عنا المقاهي ودور السينما، والأماكن العمومية الأخرى .

كان رشيد أوعمارة رجلا شجاعا ذا سحنة بيضاء يشبه إلى حد ما أروبيي الجزائر من صنف الأقدام السوداء كما كان طيبا وجريئا الى درجة الجسارة . عشت معه ذكريات لا تنسى، تجعله حيا الى يومنا هذا في ذاكرتي ، فكثيرا ما تظاهر بالفرنسي الساخط أمام العسكريين من الشرطة وغيرهم الذين كانوا يوقفون سيارتنا ، فكان هؤلاء أحيانا يشيرون لنا بالمرور هازين اكتافهم « هاهو

شخص يجيز لنفسه كل شيء » كما كانوا يظنون، ولكن الوقت لم يكن يسعهم للاهتمام به . أما أنا كما قلت له « فلعلهم ظنوا أنني مخبر حقير، فطلعتي لاتخطىء ! أو أنني شرطي من الدرجة الثانية » . كنا نتحايل كثيرا أثناء قيامنا بمختلف المهام كمن يلعب في رواية، فقد كان يصحبني في معظم الأوقات، لم نكن نعتبر أنفسنا أنا وأياه عضوا في (لجنة ت ت) ورجل إتصالات أو سائق أو أي منفذ آخر.. بل كنا مناضلين ملزمين بنفس المهمة، أظن أننا كنا متفقين ضمنيا لنضلل خوفنا لأننا كنا خائفين . وأحسن وسيلة للتغلب على هذا الخوف هو أن لا نترك لأنفسنا الوقت للإحساس به

وفي لجنة التنسيق والتنفيذ عندما كنا في العاصمة لم يكن لدينا الوقت للخوف، فقد كنا دائما في حالة طوارئ وإستنفار .

إلتقينا بعد ثلاثة أيام من افتراقنا بالجزائر العاصمة، في مركز القيادة (الولائية) للعقيد صادق كما كان متفقا عليه . وذلك بفضل التنظيم الرائع لمصالح الإتصالات . هنا فوق أعالي جبال الشريعة قررنا اللجوء إلى الخارج فانقسمنا إلى فوجين : توجه كريم وبن خدة إلى الشرق عبر الولاية الثالثة والثانية، وتوجهت أنا وعبان إلى الغرب عبر الولاية الرابعة والخامسة اللتين كانتا تشكلان منطقة الغرب الوهراني .

كنت اكني بسي ابراهيم، وكان عبان يكني بسي أحمد . لقد استغرقت رحلتنا شهرين ونصف للوصول الى المغرب، وفي آخر مرحلة مشينا لمدة تسع ساعات متواصلة دون أن نسمح لأنفسنا بأية لحظة من الراحة، فقد كان أدلاؤنا - المجاهدون المحنكون - هم الذين يتولون القيادة .

كان يتعين علينا عبور الحدود والوصول إلى أبركان في جنوب وجدة قبل بزوغ الفجر، ومسلحين بالبنادق (US ـ 17) وفي وسط المجاهدين كنا نحس انفسنا

القاسية لحياة في الجبل، لم أكن أحس أبدا بالخوف أو القلق اللذين كانا علي أن أهزمهما كل يوم في مدينةالجزائر ، فالمجاهد يخاطر بحياته، وهو متيقن – إن صح القول – على مصيره ولكنه يواجه العدو بنفس الأسلحة، أما المناضل في المدينة فهو أعزل وينشط في المجهول ، والمجهول يساوي الرعب .

أحرارا وبالتالي سعداء لمدة شهرين ونصف ، فبالرغم من الحرمان والظروف

فعندما يقبض على المناضل المدني لا يمكنه أن يواجه العدو إلا بتحمله الصامت ومعاناته، وليس هذا بالشيء المريح قط ، ففي غالب الاحيان يموت تحت التعذيب، وفي أحسن الظروف يتم إعدامه بدون إطالة .

ولأجل هذا فالمسبل و جامع المال و رجل الاتصال و العون و المراقب وعلى العموم المناضل في المدينة والريف، مهما كانت وظيفته ودرجته يستحق نفس التقدير والإحترام تماما كالمجاهد الذي يحمل السلاح في الجبل ، ويدين الوطن له بنفس العرفان.

في 21 ماي 1957 وصلنا إلي المغرب وفي نفس التاريخ وصل كريم وبن خدة إلي تونس . باجتماعنا في تيطوان استخلصنا ما أمكن من العبر من اضراب الثمانية أيام، في الوقت المباشر كلفنا هذا الإضراب الكثير، كما عانى التنظيم السياسي لـ (جبهة ت و) الكثير، وأحيانا تم القضاء عليه تماما في بعض الأحياء والمدن . وقد لقي الألاف من الجزائريين ومن بينهم عدد كبير من أفضل مناضلينا موتا شنيعا ، فقد استعمل المظليون من الجيش كل أنواع التعذيب وأساليب الإستنطاق الفظيعة فشبكاتنا فككت و مصلحتنا الإعلامية التي كانت جد متواضعة زالت نهائيا، كما اختفت مصالح الاتصالات والاستعلامات .

وكشفت مخابىء الأسلحة وصودرت الأموال، ولم تعد (لجنة ت ت)

تستطيع أن تضع قدمها في العاصمة دون أن يلقى القبض عليها وحتما كان يتعين علينا أن نبتدأ من الصفر، ومع ذلك فما خسرناه من تنظيم ومناضلين في المدن، ربحناه قوة ومجندين جدد في جيش التحرير الوطني ، فقد التحق الألاف من الشباب الجزائري المتعلم والمكون سياسيا بالجبل، فرارا من الاضطهاد والقمع نبفضل إضراب الثمانية أيام تحصلت (جبهة ت و) على الإطارات اللازمة وفي كل الميادين لأجل تنظيم مصالحه ، مما جعله يصبح جيشا حقيقيا يتمتع بالكثير من المواصفات التي كانت تعوزه من قبل ، فهؤلاء الشباب الذين قدموا إلى الجبل من جميع المدن وجهات الوطن والنابعون من مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية لشعبنا كانوا - إذن - يعرفون الجزائر في مجملها، لا سيما أنه ابتداء من هذا التاريخ بدأ بإلتحاق النساء بالجبل . وقد تمكن هؤلاء الشباب من ضمان التموين بالأسلحة والذخيرة والمأونة ومختلف العتاد انطلاقا من الأرياف . لأن الإتصالات بين المدينة والريف أصبحت سهلة . هكذا ولكون الأرضية أصبحت مألوفة تقريبا عند مجموع جيش التحرير الوطني ، فسرعان ما استعيد تنظيم جبهة التحرير الوطني في المدن . ولكن إضراب الثمانية أيام هذا قد عزف "اللحن الجنائزي" على الجزائر الفرنسية بأن ساعتها الأخيرة قد حانت .

في الواقع وبالرغم من الضربات القاتلة التي كانت تعاني منها (ج ت و) فإمتثال الشعب بأوامرنا لم يفتأ يتضاعف يوما بعد يوم .

نعرف كل الأعمال الشنيعة التي قام بها المظليون في العاصمة ولكننا في الحقيقة لا نعرف إلا القليل، لأنه وحتى في الدناءة أراد "ماسو" أن يبقي وسام الفظاعة في العاصمة، لكونها - كما أسلفنا - هي واجهة الإمبراطورية الفرنسية ، فلم يكن الرأي العام يعرف أو يهتم إلا بالأحداث التي تقع بها . وهكذا - إذن - فلا يعرف إلا القليل بان إضراب الثمانية أيام قد شمل أنحاء

الجزائر كلها، وأن أسلوب المظليين كان هو نفسه الممارس لافشال هذا الإضراب في كافة انحاء التراب الوطني .

لقد ألقي شبان جزائريون كطعام للكلاب، مثلما وقع للشاب العمودي الذي كان محل التسلية، وهو يركض ويصارع الكلاب في ملعب بسكرة حتى إنهاكه التام وتناثره قطعا ، و جريمته الوحيدة هو أنه كان شابا رياضيا لا يشكو من أي نقص أمام أصدقائه الفرنسيين بالناحية ، كما أجرم - أيضا - لكونه إبن أخ لمين العمودي الصحفي الذي ندد قبل سنة 1954 بالظلم والجور الاستعماري في جريدته « الدفاع » .

وفي دوار معزول ببوغاري حيث ارتكبت مذبحة ذهب ضحيتها العشرات من الجزائريين .استشهد معلم مسالم يدعى بن يعقوب في أوضاع شنيعة لا لشيء إلا لأنه كان ذا حظوة واحترام لدى السكان ولأنه كان يعتبر مثقف الناحية . في بوردو (المهدية الآن) أرغم شبان جزائريون لمجرد ارتكابهم ذنب الظهور بمظهر المتحضرين على حفر خندق كبير عريض تم دفنهم فيه أحياء، وقد سحقتهم جرافة كبيرة تحت تصفيقات وابتهاج بعض" الكولون" المعمّرون الذين كانوا يتلذذون متمتعين بالمشهد و المحفل الفظيع مع الجنود.

مشاهد مثل هذه أصبحت عامة وستكون مواصلة سردها مؤلمة ومنغصة للغاية . وعلى كل حال ليس هذا هو موضوع الكتاب، وغاية ما هنالك من وراء هذا السرد هو أننا نريد فقط إظهار أن الجيش الفرنسي في الجزائر ليس له حقا أي شيء يتباهى به . وأن بعض الضباط البواسل المزيفين، أمثال ماسو وبيجار قد يكسبون الكثير إذا ما أنسوا أنفسهم .

كان التواجد الفرنسي، قبل الظروف الناجمة عن إضراب الثمانية أيام،

ضخما إلى حد أن الدعاية الرسمية كانت - ولمدة طويلة - تستطيع أن تزعم بأن الأمر لم يكن إنتفاضة جزائرية وثورة عارمة، وانما هي مجرد أعمال شغب تسببت فيها بعض الجماعات المسلحة التي لاتمت بأية صلة حقيقية للسكان .

وبفضل التداخل بين السكان المسلمين والأوروبيين، الحياة المشتركة والتعاون في كل الميادين، كانت الحياة في المدن، وخصوصا في الجزائر العاصمة حيث لم يكن ممكنا أن توجد إلا عمليات عدائية منعزلة تبدو تقريبا عادية . في الشارع، و المصالح العمومية والادارات في كل مكان، كان عناصر المجموعتين السكانيتين يعيشون ويعملون سويا . ولم يكن لب المشكلة يظهر لغير المطلعين ، فأغلبية السكان كانت قد تجد الأوضاع مريحة ولها الوقت الكافي لتقرير موقفها . وكان من السهل على الفرنسيين ذوي النوايا الحسنة والأجانب عموما، أن يخطئوا في فهم الوضعية ، فالهجوم الشامل لجيش التحرير الوطني على كل شمال قسنطينة في شهر أغسطس 1955 قد أظهر جيدا مدى أهمية واتساع الانتفاضة، ولكن إلى درجة أن فرنسا تمكنت مرة أخرى من الغش والخداع أمام وسائل إعلامنا الضعيفة بالقياس لأجهزة المستعمِر .

والحال أن مدينة الجزائر كانت عاصمة الأمبراطورية و زاد في أهميتها تمركز مئات الآلاف من الأوروبيين بها . وأن أغلبية المصالح الإدارية المالية والاقتصادية، القيادة العسكرية العليا، ومصالح الأمن كانت كلها موجودة فيها وأنها كانت - حقا - مدينة فرنسية ، بحيث أن الحكومة الفرنسية كانت تشكل منها واجهة تُظهر بها على أحسن صفة للعالم كله، الفرنسيين والمسلمين معا، أن الجزائر كانت فرنسية، وأن جبهة التحرير الوطني كانت ستطفأ بنفس بسيط كالشمعة .

وبين عشية وضحاها، ومنذ الساعات الأولى للإضراب أصبحت الحياة لا

تطاق، فقد أعلنت حالة الحصار، وغزا الجزائر العاصمة فجأة الخوف والفوضى والعنف والهلع، والرعب،واندفع المظليون وقد اشبعوا بروح التسلط والحقد هائجين بلا تردد نحو الأهداف التي عينها لهم قادتهم .

لقد عثر هنا ماسو بيجار وأتباعهم على دواء خارق للتخلص وبأقل كلفة من العار الذي لحق بهم في "ديان بيانفو" ، فكانوا يرون في كل جزائري دون تفريق - سواء هو ببذلة، أو برنوس أو ثوب رث - انسانا جديدا متخفيا من الفيتنام، وكان كل باب مغلق أو ستار مسدل معقلا أو ملجأ يختبىء من ورائه جيهوي . كان من الحتمي هدم كل شيء ، فبعد إضراب الثمانية ايام لم يعد أي جزائري مهما كانت أوضاع خدمته السابقة « أية فاطمة » أي خادمة، أي سائق، أي حارس، معاون، كاتب، عون، مترجم، صديق، مستخدم في محل أو عامل زراعي إلخ ... لم يعد ممكنا على أي جزائري - أيا كان شكله - أن يحتفظ - المرة - بثقة الفرنسيين . لقد أصبح كل مسلم مشبوها فيه، ومعرضا للإهانة والتعذيب ، كالوحوش الضالة التي تبحث عن سفك الدماء والتقتيل، ماسو وذووه (وقد أرتووا بدماء الأبرياء، وهم يزأرون من شدة الفرح والغرور) لم يفهموا شيئا، حتى سادتهم في الجزائر وباريز .

لقد وضعوا في أكبر كمين لم ينصب قط من قبل لكل الوجود الفرنسي ، فقد عرف هذا الأخير - أي التواجد الفرنسي - نفس النهاية التي عرفها الضحايا الجزائريون . لقد أصبحت مدينة الجزائر منذ الآن - ولكم من وقت - مدينة محتلة من طرف جيش أجنبي، الجيش الفرنسي ، فقد تم الطلاق التام، والنهائي بين المجموعتين المتساكنتين الجزائرية والفرنسية . ولم يعد قط بعد ذلك ممكنا التحدث عن الجزائر الفرنسية .

أثناء قيام هذه المأساة كانت المسألة الجزائرية تتداول أمام الهيأة العامة

لمنظمة الأمم المتحدة، و قد صوت بالاجماع على قرار يعبر عن حل سلمي ديمقراطي وعادل سيُتخذ بالوسائل الملائمة، طبقا لميثاق الأمم المتحدة . لقد أعد الاضراب خصيصا من أجل هذه المداولة في منظمة الأمم المتحدة . بالطبع لم نكن ننتظر أن يأتي تحريرنا من منظمة الأمم المتحدة، ولكن العالم كله اعترف ضمنيا بأن الجزائر لم تكن مقاطعة فرنسية كما كانت تدافع عنه فرنسا وحلفاؤها ؛ وبأنها كانت بلدا متميزا يجب العثور له على حل مطابق لميثاق الأمم المتحدة الشيء الذي يعني الحق في تقرير مصيره ، فهذا كان نتيجة لإضراب 8 أيام الذي أجاد ممثلونا في منظمة الأمم المتحدة استغلاله والاستفادة منه .

كان الثمن باهضا جدا ولكن النتائج كانت ضرورية لتقرير مصير النزاع .

ربما يجد البعض أن شعورنا نحو هذا الجيش الفرنسي في الجزائر كان مبالغا فيه، عدو سابق لا يمكننا التحدث عنه بطبيعة الحال إلا بالسوء فنترك جنرال فرنسي يحبه،« الجنرال بولارديير » De Bollardière يقول لنا ما يتصوره فقد صرح في حديث له مع الصحيفة الأسبوعية الفرنسية « لونوفال أبصيرفاتور » Nouvel observateur في 1971/11/15 : « سأتحدث أولا عن هذا الجيش الذي كان كل حياتي . عندما سمح له في الجزائر بالقيام بما منع عنه في الهند الصينية، فقد فجر مكبوتاته في هيجانه، لقد ثأر من السلطة السياسية التي أدت به في الهند الصينية الى الهزيمة . بأي الوسائل ! ؟ القصف والتعذيب . إنه هنا الذي يجب النظر مليا إلى معنى التعذيب .

« ليس الأمر فقط أن تقوم بأعمال عنف لا تطاق بل خصوصا وبالدرجة

الأولى أن تقوم بالاحتقار والاذلال . وأن تعتبر أنه لايوجد أمامك إنسان : بل وحش، مخلوق غير أهل كي يكون جزءا من المجتمع في الحاضر أو المستقبل كما يعتبر شخصا يجب القضاء عليه وإلى الأبد، لأنه لا يمكن أبدا إقامة أي شيء، أو ربط أية علاقة معه »

لا يوضح أي شيء مدى الحماقة الإنسانية العمياء أحسن من كتاب ماسو ، فالجنرال ماسو كان لديه « انشغال بالحب » إلى حد أنه لم يكن ينسى أن ينصح مطلبيه بالعمل . « بكل السخاء المعهود » .

كان يريد التقريب بين المجموعتين أو الطائفتين، إلى حد أنه لم يتردد في اشراك السكان الأروبيين في اعتدائه على السكان المسلمين العزّل، فهذا شيء جدير للغاية بهذا المحارب البطل ؛ انساني حقا وشديد الحساسية ؛ فهذا الجنرال المقدام الذي يذيب قلوبنا عندما يبوح لنا في كتابه عن حرب الجزائر بأنه لم يكن يستطيع العزم على التفريق بين ابنته وديوكه الرومية، امرأته، وسائقه الأمين وخادمه وهو ذاته وكلابه « السلوقية » . لم يكن يضاهي حبه لهذه الكلاب إلا حنوه على « رجال قوميته » الأوفياء، أو فيما بعد تعلقه بالمسلمين التعساء الذين أراد أن يضعهم كلهم في مأمن من أي سوء كعلي بومنجل، صالحي، بن مهيدي وكثير غيرهم ... كلهم سجناء مدنيون أوقفوا عزلا وعذبوا وقتلوا بنذالة .

الفصل الثالث

اللجنة الثانية للتنسيق والتنفيذ (ل.ت.ت)

دعى كريم المدعم بقوة من طرف بوصوف إلى اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية (م . ج . ث . ج) . وكان الدافع لذلك عاديا . فقد كان الواجب تعيين خليفة لبن مهيدي، وكان بوصوف قائد الولاية الخامسة مؤهلا لذلك، ولكن الفرصة كانت موالية، وقد استغلها كل من كريم وبوصوف لوضع عبان في حدود مكانة تناسبه والتخلص من صديقيه دحلب وبن خدة اللذين كانا يتفقان دائما معه . ماالسبب في ذلك ؟ لم يقدم لا كريم ولا بوصوف حججهم لـ (م و ث ج)، ولم يطلب أي عضو من هذا الأخير ولو تفسيرا واحدا . ولابن خدة ولا أنا بالذات استفسرنا ولا طرحنا سؤالا . كنا في قرارة أنفسنا وضمائرنا نكاد نكون مسرورين بانسحابنا ، فمنذ خمس سنوات (من 53 إلى 57) أزمة (الحركة ا ح د) ونشاط (جبهة ت و) في الظروف الأكثر صعوبة، وخطورة وجدار عدم الفهم من طرف زملائنا ذاتهم، الذين نصطدم به يوميا بكلمة واحدة منذ 5 سنوات ونحن نعيش على أعصابنا ، و إرادتنا وحدها هي التي مكنتنا من الثبات، كنا قلقين على مصير الأحداث في الجزائر، ولم نكن نعرف جيدا ، كقادة مسؤولين كيف نتعامل مع هذه الأحداث : المعالجة، الاصلاح، التعزيز، ومواصلة حرب التحرير حتى الانتصار .

أخيرا ياله من حظ أن نرى آخرين يمسكون زمام القيادة ويزيحون عنا كل

المسؤوليات، ويجنبوننا الخطر الشائن بأن نرى أنفسنا نستسلم إراديا للإخفاق، فعوض أن نتنازع ونتنافس على المراكز الأولى حيث كنا نحس أنفسنا مسحوقين تحت مسؤولياتنا، وحيث لم نكن نعرف الراحة فعملنا سيكون سهلا نسبيا كما كانت الفرصة سانحة للتحلي بالانضباط والتفاني كمثل يقتدى به . كان ذلك واجبا علينا . وكان من الحتمي دحض كل الاشاعات التي روجت عنا إبان أزمة (الحركة ا ح د) والاثبات للجميع أن المصلحة الوطنية وحدها هي التي كانت تحدونا، وعبان وحده حاول التمرد، ولم نمده بأي دعم . وبعد ذلك لمدة طويلة وصفني على انفراد، ووصف كذلك بن خدة بكل الكلمات التي كان يعرفها وصب علينا جام غضبه وسخطه . ولقد أجبته بانه ومهما كانت الأوضاع، كان من الحتمي، ومهما كلف ذلك - أن نخفي اختلافاتنا على العامة . الأ يتحتم على المصريين أن يصبحوا حكامنا، أن تعرف فرنسا وبالتفصيل كل انقساماتنا . إن الكفاح في الجزائر وليس في القاهرة وأن الأهم ليس أن نكون في القيادة، فانفجر غضبه لذلك

عبان عزيزنا - كان كتلة واحدة - لم يكن يعرف الاعتدال، أما بن خدة وأنا فقد وضعنا أنفسنا وبدون تردد تحت تصرف (لجنة ت ت) الجديدة .

باقتراح من كريم رفع عدد الاعضاء في ثاني (لجنة ت ت) إلى 14 عضوا عوض 5وهم :

كريم بلقاسم

عبان رمضان

عبد الحفيظ بوصوف

لخضر بن طوبال

محمود الشريف

أوعمران عمار

د/ لمين دباغين

فرحات عباس

والمعتقلون الخمسة في فرنسا و هم :

احمد بن بلة

محمد خيضر

حسين آيت أحمد

محمد بوضياف

رابح بيطاط.

كان - إذن - هناك 5 اعضاء معتقلون في فرنسا، وبالتالي لا يمكنهم العمل - كانت عضويتهم بالأحرى تشريفية وتمثل ضمانا مفيدا - وخمسة آخرون هم قادة قدامى للولايات : كريم - بوصوف - بن طوبال - محمود الشريف و أو عمران .

كانت الخمس ولايات ممثلة هكذا في لجنة التنسيق والتنفيذ : كريم، بن طوبال، أوعمران ومحمود الشريف فكانوا هم الأربعة مجاهدون قدامى منذ تفكك المنظمة السرية . وكان كريم زيادة على ذلك عضوا في اللجنة الثورية للوحدة والعمل، التي قررت ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 . وكان عبان و عباس فرحات و د/لمين، مهري سياسيين ... وهكذا كانت التشكيلة جد جذابة .

لم يبحث عن تغيير أي شيء في السياسة المسطرة في مؤتمر الصومام، ربما فقط ولترضية النفس ، لم تذكر قط أولوية الداخل على الخارج، وبالتالي، لا السياسي على العسكري .

كان ثوارنا البواسل عسكريين ويظنون أن السياسة قد تعنى « سياسيي لجنة

(التنسيق والتنفيذ) الأربعة » الذين وجبت عليهم قيادتنا . وكانت - أيضا - من جهة أخرى اعادة الروابط الحسنة مع المعتقلين الخمسة بفرنسا .

دخل بن خدة في زمرة د/ لمين واقترح عليه القيام بجولة في الدول العربية وقد تم تعيينه على رأس بعثة من جملة ما تتضمن : توفيق المدني، امين عام قديم لجمعية العلماء الجزائريين، وعالم جليل مشبع بالتاريخ الاسلامي ومحنك في التخاطب مع شيوخ العالم العربي ، فقد تمكن هكذا من معرفة الشرق الأوسط، وأن يثري نفسه بتجربة جديدة ضرورية لاتمام مهمتنا .

قلت لبن خدة : كن حذرا ولاتعط أبدا اسمك للصحافة، وإن كنت مرغما على إلقاء تصريح أو بيان علني فاعهد به دائما إلى الشيخ توفيق المدني، وإلا فانك تخاطر باقصائنا مرة أخرى من مراكزنا وبالتالي « انها البطالة »، لأنه في النهاية لماذا لا نعترف بخطئنا : إقصاؤنا الأول يرجع إلى عدم أخذ حيطتنا في السماح بذكر أسمائنا، ولم نكن نستطيع الحيلولة دون ذلك، لأن زملاءنا قد دفعوا بنا هم أنفسهم الى الامام ثم تراجعوا بسرعة فبمزاحي هذا كنت ألمح لآخر ايامنا "المجيدة"

لم يكن للصحافة الإستعمارية غير اسم بن خدة على أعمدتها، في الوقت الذي كانت فيه الشرطة والمظليون يقومون بالمطاردة لـ (لجنة ت ت) . وأما انا فكنت قد تجاوزت الحدود مرتين على التوالي، لاتفصل بينهما إلا ببضعة أسابيع فقط ، بين شهرين:أوغسطس و سبتمبر 1957 ، فقد ظهرت في المقام الأول لـ (لجنة ت ت) وكان هذا أكثر مما يستطيع تحمله الانسان النزيه من مستهدفي (جبهة ت ت) .

في المرة الأولى روجت اشاعات مفادها أننا في مفاوضات سرية مع مبعوثين

من الحكومة الفرنسية . وقد كلفتني (لجنة ت ت) بتوضيح الأمور وباصدار مقال في جريدتنا « المجاهد » والتوقيع عليه، حتى يفهم الجميع أن (لجنة ت ت) هي التي ترد على هذه الاشاعات، التي كان من الواجب وضع حد لها . وقد اعددت مقالا عاديا ، والشيء الوحيدالذي كان جديدا فيه هو أنه كان يحمل إسمي ·

في المرة الثانية، إنهاالمحاضرة الصحفية الأولى لـ (لجنة ت ت) في القاهرة .من المؤكد أن هذه المحاضرة قد كان السبب الذي تم من أجله عزلنا فيما بعد عوض الاسباب السياسية التي كنت زيادة على ذلك الوحيد الذي اتصورها .

كان كريم يريد إقامة المحاضرة هو بنفسه، فقد كان أكثر تمثيلا لحاملي السلاح بالجبال وكان عبان يجده « غير مؤهل » وكلاهما لم يكن يقدران بن خدة، ولم يعلل اعتراضهما غير أنه من البديهي أنهما لايريدان رؤية مستفيد من خصومتهما يبرز في مكانهما ، والحال أن بن خدة كان أمينا قديما لـ (ح ا ج د) وقد وقعت ضجة كبيرة حول اسمه في الصحافة الاستعمارية ابان آخر مراحل الاحداث لـ (لجنة .ت .ت) في الجزائر العاصمة فمكانه - إذن - كان من الممكن أن يظهر عن طريق محاضرة بهذه الأهمية كرئيس لجبهة التحرير الوطني وكان من المؤكد على هذه الأخيرة في ذهن كريم أن تبقى مختلفة تماما عن الأحزاب الأخرى . وليس أن تظهر بَكل بساطة على أنها النتيجة للنزعة المركزية ، فتم اللجوء الى ذلك الذي لم تكن له أية طموحات، ولم يكن يهمه احتلال المراكز الأولى، ولم يكن يضايق أي شخص ولكن حسب « رأي » الأعضاء الثلاثة في (لجنة . ت . ت) يتناول الأمر على أحسن مايرام ·

لم أكن أستطيع رفض هذا الاختبار، فقد كان هذا "يعتبر تهربا من تحمل

المسؤولية" . القيام بكل هذه الرحلة من الجزائر إلى القاهرة «ثم أتخاذل » أمام مجموعة من الصحافيين، مجرد مدنيين سلاحهم الوحيد أقلامهم ، فماذا سيكون الأمر - إذن - لوكنت مرغما على مواجهة المظليين من الجيش، على الأقل كنت هنا متأكدا بأنني سأخرج حيا، فليكن ما يكون من أمر عزة النفس وليحكم كما شاء على امكانياتي السياسية والثقافية والباقي، وفضلا عن ذلك فقد كنا أناسا منظمين قبل كل شيء . وقد تم تجنيد كل المرموقين: فرحات عباس ، د/ لمين ، د/ فرنسيس ، مهري ومحمد يزيد الذي سيصبح المتخصص الكبير في المحاضرات الدولية . واعددنا البيان التمهيدي، وقد وضع كل واحد منا ما عنده فقد حررنا نصا بارعا لا يعوزه اي ترسيم ولا اي شعار، ولكن في مثل هذا النوع من اللقاءات الاهم يكمن في الاجابة عن الاسئلة ولم يكن باستطاعة أي واحد من اصدقائي الحلول محلي ، فاضطررت الى تدبير الأمر لوحدي، وقد كانت دهشتي كبيرة عندما بدأ الصحافيون مصغين باهتمام لما كنت أقوله . على كل حال لم يعاتبني أي شخص وأظن أن البعض منهم قد هنأني . بشهر بعد هذا حدث أول انقلاب داخل (ج . ت . و) وكنا نتعلم أيضا كيف نحكم أنفسنا، كما سيعوّدنا على ذلك اخواننا العرب والافارقة، وكما كان على بن بلة وبومدين أن يذكرانا به فيما بعد .

لمراجعة هذا المقال الصادر في 1957/8/5 (ملحق 3) أي 5 سنوات قبل اتفاقيات ايفيان، سيتم التحقق بأن نظرتنا للمفاوضات مع الحكومة الفرنسية لن تتغير أبدا منذ الايام الأولى لثورتنا .

أصبحت أنا مساعد عباس فرحات الذي أخذ قسم الاعلام والدعاية، الذي كنت أنا نفسي مسؤولا عنه في (لجنة ت ت) السابقة . كانت هذه الفترة بالنسبة لي هادئة نسبيا ، فقد كنت مسؤولا عن فريق من الشبان الجزائريين

المتفجر بالحماس والارادة الصلبة، زاد من حبهم لخدمة الوطن وتفانيهم في اتقان العمل لكون معظمهم حديث التخرج من الجامعات، وانهم لم تتح لهم الفرصة للنضال بعد .

استحب ذكر اسمائهم هنا ، وربما ذلك واجبا علي لأنه وكما يعرف الكل غالبا ما عاني أولئك الذين كانوا يعملون في الخفاء أكثر كثيرا من أولئك الذين ملأت اسماؤهم الصفحات الأولى للجرائد : الاستاذ رباني الذي أصبح نقيب محامي محكمة الجزائر العاصمة، السيد حاج حمو الذي كان وزيرا للاعلام في أول حكومة لبن بلة، المرحوم بن قطاط الذي توفي وهو والي على باتنة، السيد قصوري الذي كان مسؤولا على العلاقات الخارجية لجبهة التحرير الوطني (من 67 الى 78) الاستاذ غافة ابراهيم، إطار في وزارة الشؤون الخارجية، وكان سفيرا في الكويت وطوكيو، الدكتور عبد القادر بن قاسي، كان سفيرا في دمشق بعد أن كان ولعدة سنوات ضمن مندوبينا في منظمة الأمم المتحدة، الدكتور تركي رابح الذي أصبح اليوم استاذا في جامعة مدينة الجزائر، ومصطفى الاكحل الذي صار إطارا في الشركة الوطنية لصناعة الحديد . لقد كانوا أعوانا في كل آن . نسيت ثلاثة أو أربعة مساعدين لا يقل استحقاقهم عن هؤلاء في أي شيء .

كنا نعمل في جو ممتع وكان ايماننا بالمستقبل يشكل ثروتنا وقوتنا،والاخوة والثقة محفزاتنا .

ترك لنا عباس كل الحرية في التصرف، وقد كان هو في مقر (لجنة ت ت) ولم يكن يتدخل أبدا في شؤوننا . لم تكن الصعوبات تنقصنا، حيث كان علينا أن نبث كل مساء في « صوت العرب » من القاهرة نصين بالفرنسية أحدهما موجه للفرنسيين والأخر للجزائريين، ونصا باللغة العربية، فكان العالم كله

يصفى : لمعارك جيش التحرير الوطني، وبيانات من كل نوع، كانت المعلومات التي يجب استغلالها عموما تأتينا متأخرة - في غالب الأحيان - أو بطريقة منقطعة وغير كاملة .

ولم يكن إلهامنا، المحتوى والتحرير أقل صعوبة من ذلك، وقد كانت مساعدة الصحافة الفرنسية، الصديقة أو العدوة لنا كبيرة، فقد كانت لنا أحسن مصدر للمعلومات، كنا نسمى فيما بيننا « العالم » نشرتنا الداخلية .

وقد أصبحنا باحثين كبار في هذا المجال - وخضنا الكثير من « المعارك » عبر صوت العرب ، وكثيرا ما أرغمت في البيانات الحربية على التخفيض من حدة وحماسة المقاتلين .ولولا يقظتي لقضت فرقتنا حتميا ونهائيا على الجيش الفرنسي !

وكان علي مع ذلك أن أسهر حتى ألهب المعارك ، الشيء الذي لم يكن يعجب الكل . وكدت أن أقع في مشكلة كبيرة مع قائد من عندنا كان هو مكلفا بالحرب في « القاهرة » في حين كنت أنا مكلفا بالدعاية فقط . ولكوني قد أقصيت من (لجنة ت ت) فلعلي كنت أظهر في أعين هذا المكافح - الحديث الالتحاق ليس فقط مع جبهة التحرير الوطني ولكن مع الحركة الوطنية ذاتها - استخف حتى الآن بكل حسن نية، بالقصص الوطنية والاستعمارية والأخرى، ولعل كنت أيضا أبدو ضعيفا وخطرا على الدفاع الوطني .

لم يكن - إذن - تعليل على اقصائنا من (لجنة ت ت)، ولكن كريم لم يكن ليمتنع في الكواليس عن ترويج كل أنواع الحماقات المأخوذة مما اشيع عنا في (1953 - 1954) ابان أزمة (الحركة . ا . ح . د) دائما . وعلى هذا التعليل كنت أنا وكريم بعد سنوات ينتابنا الضحك فقلت لكريم حينها : حدثني بربك

كيف تتهمنا بأننا إصلاحيون ولسنا ثوريين، لأجل اقصائنا ووضع عباس فرحات مكاننا . فرئيس الإصلاحيين يسقطنا بثوريين مثل توفيق المدني « الشيخ المسكين » الذي لم يخطر بباله أبدا ولو لمرة واحدة في حياته أنه سيجد نفسه يوما ما، على متن سفينتنا الحربية .

فكان كريم رحمه الله يقهقه بملء فيه، الشيء الذي يثبت القدر القليل من الأهمية التي ينبغي اعطاؤها«للخلافات الحادة « للقادة» مادام نفس العدو يجمعهم، ونفس الغاية توحدهم .

غير أنه يجب لفت الإنتباه إلى أن الحال ليس كمثله عندما ينزاح الخطر وتكون الغاية الاسمى قد بلغت .

والدليل على ذلك هو أنه وبعد سنة فقط، نصب بن خدة وزيرا للشؤون الاجتماعية إلى جانب كريم وبوصوف وبن طوبال وهو الذي عين أيضا للقيام بأول مهمة الـ (المجلس . و . ث . ج) الى الصين الشعبية وفيما يخصني عينت في اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية بأكمله في طرابلس لأشكل مع قائدي أركان الشرق والغرب محمدي السعيد وبومدين ، ثاني حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية .

وقد ظن مؤلف فرنسي كون لنفسه إسما، على حسب ما يبدو ثروة هائلة بكتابته لمؤلفات ضخمة عن حرب الجزائر أنه من الحذق بمكان، أن نقول في هذا السياق، أنه قد ضمنوا لي مركز الامين العام في وزارة الشؤون الخارجية جزاء على الخدمات الطيبة والقيمة التي قدمتها، والتي تركها كنقطة استفهام اشارة الى تصور اجابة ما ، فمن المؤكد ان هذا المخبر الصحفي القديم الذي عمل في المصالح النفسانية للجيش الفرنسي ابان حرب الجزائر قد استوعب تماما أساليب هذه المصالح .

ولكن السيد « ايف كوريير YVES COURRIERE » - استطيع ذكر إسمه الآن دون خطر الاساءة إليه ؛ فهذا يعود إلى زمن بعيد جدا - لم يكن يعرف عن (جـ .ت .و) وقادتها غير ما قد تمكن بعض الجزائريين من قوله له تحت تأثير الفم أو خشية الأمن أو مختلف المصالح الفرنسية . و لاجل غربلة كل هذا كان اضافة القليل من احترام الحقيقة شيئا مرغوبا فيه، ولكن هذا حكاية أخرى .

وفي النهاية وفيما يخص « الشوط الأخير » إن صح التعبير وكان من اللازم حسم الأمور نهائيا مع فرنسا، فقد عين بن خدة كرئيس للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ونصب نفس الوقت كوزير للمالية، هذه المصلحة التي كانت تشترط الثقة التامة، ونصبت أنا وزيرا للشؤون الخارجية . ومع المتسببين الثلاثة في عزلنا في 1957 « الباءات الثلاث » كونا فريقا متماسكا،كتلة واحدة حول المشكلة الجوهرية للحرب والسلم، فانها حكومة بن خدة التي ابرمت وقف اطلاق النار ووقعت اتفاقيات ايفيان .

ولعل حالة بن بلة الذي كسر وحدة (ج ت و) هو الأمر الشاذ الذي يؤكد القاعدة، ولكن - من حسن الحظ - فالعدو لم يعد موجودا هنا .

الجزء الثاني

تكوين حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية

(ح . م . ج . ج)

الفصل الأول

أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية

(19 سبتمبر 1958 - جويلية 1959) .

كانت (جبهة . ت . و) وكما يعرفه الكل مسيّرة شهر سبتمبر 1958 من طرف (لجنة ت ت) وكانت هذه الأخيرة منبثقة من ال (المجلس و ث ج) الذي تم تأسيسه بقرار من أول مؤتمر (جبهة ت و) والذي عقد في 1956/8/20 والمعروف باسم مؤتمر الصومام .

فبعد 4 سنوات من الحرب والامتحان الصعب والطويل الذي عرفته مسيرة قضيتنا والتفكير العميق قررت لجنة التنسيق والتنفيذ أن تنحل وتشكل حكومة جزائرية . وفي 1958/9/19 تم الإعلان - في آن واحد - في كل من تونس والقاهرة وعدة عواصم أخرى عن تشكيل حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية وكانت تشكيلتها كالتالي :

عباس فرحات *رئيسا*

كريم بلقاسم *نائب رئيس و وزير القوات المسلحة .*

احمد بن بلة *نائب الرئيس (1)*

1) وزراء الدولةالخمسة كانوا معتقلين بفرنسا و هم : بن بلة ، بوضياف ، آيت أحمد ، بيطاط و خيضر .

لخضر بن طوبال	*وزير الداخلية*
عبد الحفيظ بوصوف	*وزير العلاقات و الاتصالات*
د/ لمين ديباغين	*وزير الشؤون الخارجية .*
محمود الشريف	*وزير التسلح*
عبد الحميد مهري	*وزير الشؤون « الشمال افريقية »*
بن يوسف بن خدة	*وزير الشؤون الاجتماعية*
احمد توفيق المدني	*وزير الشؤون الثقافية*
د/ أحمد فرانيس	*وزير المالية*
محمد يزيد	*وزير الاعلام*
محمد بوضياف	*وزير الدولة*
حسين آيت أحمد	*وزير الدولة*
محمد خيضر	*وزير الدولة*
رابح بيطاط	*وزير الدولة*
لمين خان	*كاتب دولة (الولاية الثانية)*
عمر أو صديق	*كاتب دولة (الولاية الرابعة)*
مصطفى اسطنبولي	*كاتب دولة (ممثل لناحية وهران)*

تم تحويل كل (لجنة ت ت) إلى (الحكومة م ج ج) ، هذه الأخيرة دعمت بعصرين لم يكونا ينتميان إلى (لجنة . ت . ت) بن خدة الذي عاد هكذا إلى القيادة بعد سنة من اقصائه من (لجنة ت ت) ومحمد يزيد الذي كان ممثلا (جبهة ت و) في منظمة الأمم المتحدة .

وكان كتاب الدولة الثلاثة في ذلك العهد في الجبل ، الشيء الذي أعطى لـ (الحكومة م ح ج) تمثيلية أكثر شمولية من تلك التي كانت تخص (لجنة ت ت) .

كان كريم يظن بطبيعة الحال أنه سيترأس هذه الحكومة ، ولكن بوصوف وبن طوبال اعترضا على ذلك . وقيل لنا أن الاعضاء الخمسة في ثاني (لجنة ت ت) المعتقلين قد استعملوا « حق النقض » ضد تعيين د/ لمين دباغين ، فاتفقنا على فرحات عباس الذي كان تمثيليا ، ولم يكن ينافس أي شخص وكنا نرى أيضا بأنه يستطيع ادارة المفاوضات التي كنا دائما نأمل فيها .

يجب الملاحظة هنا بأن أول (الحكومة م ح ج) لم تعين من طرف (المجلس و ث ج) وأن (لجنة ت ت) قد تحولت بمطلق الحق إلى (الحكومة م ج ج) . لا أتذكر أن أي عضو في (المجلس و ث ج) قد طلب ولو استفسارا واحدا على هذا القرار ، الذي مع كل ذلك استقبل بكل حفاوة وصفق له كل أعضاء (المجلس و ث ج) . و لكن هنا حقيقة أن هذا التنظيم الأعلى قد و ضع أمام الأمر الواقع .

اتذكر أنني قد أطلعت على هذا النبأ في الصحافة الالمانية و الفرنسية حين كنت في مهمة لدى قادة فدرالية فرنسا لـ (جبهة ت و) المقيمة في ألمانيا الفدرالية مع أنني كنت عضوا في المجلس ، فما العمل للتعليق على كل هذا النبأ لأولائك الذين كانوا يظنون أن كل الأمور كانت منظمة و منسقة و مناقشة و موزونة ... الخ . لم يشكل هذا بالنسبة لي أي مشكل ، فقد كنا نثق في سياسة قادتنا و هذا يكفي، فالغاية و حدها هي التي كانت تهم . و كل الإعتبارات الأخرى كانت كلاما فارغا و بالتالي غير مهمة و متصاة .

صحيح أن هذا السلوك كانت تفرضه علينا الحرب، و لكن هذه العادة بقيت عندنا . أليس هذا هو السبب الذي من اجله ترى مواطنينا يخضعون دائما للأمر الواقع الذي يفرضه قادتنا ؟

فالمبادرات الشخصية لقادتنا لم نناقشها أبدا، و لا سيما أوامرهم ، و حتى و ان كنا مسؤولين عن سياسة البلد، و بالتالي محاسبين أمام الوطن .

فنكتفي بالموافقة على التدبير الالزامي، و حتى التصفيق له مهما كانت أراؤنا فيه ، إلا إذا كانت هذه العادة سليقة عند العرب، لأننا نرى كل الشعوب العربية تكتفي بموافقة الحكام !

ولكوننا من مؤيدي الجهد الاقل، فنحن سعداء بالاتكال على رؤسائنا "أولي الأمر" و انتظار كل شيء منهم، دون أن نحاول أبدا تحسين قدرنا بأيدينا ، فنحن ننظر كمواطنين صالحين الارادة الحسنة للسلطات العمومية مثلما ننتظر الرحمة من الله كمسلمين صالحين .

ولكوننا اوفياء لسياستنا الاستقلالية فلم نعلم الحكومات الشقيقة و الصديقة الأ عند قيام (الحكومة م ح ج) كانت هذه مجازفة بعدم الحصول على اعترافها بها و لكن الخطر كان أقل من أن نرى أنفسنا تابعين لاحداها أو العديد منها . لقد اعترفت مباشرة بالحكومة المؤقتة كل من تونس و المغرب و سوريا و لبنان و كذلك الجمهورية العربية المتحدة غداة الاعلان عنها، و هذا رغم استيائها . و هكذا قد اعترفت من الوهلة الأولى 26 دولة بـ (الحكومة م ج ج)

وجه الرئيس عباس تصريحا مؤثرا للشعب قال فيه :

« منذ أربع سنوات و شعبنا يقاتل و هو يواجه أحد أعتى الجيوش العالمية، و مايزيد عن 600 الف ضحية جزائرية كشواهد على الطريق الطويل و المجيد لحريتنا . و يعاني شعبنا كل يوم التعذيب و المذابح، و قد سلمته فرنسا لحكم الاستعماريين و الكولونالات حسب نزواتهم و أهوائهم، و رغم هذه الآلام و آلاف القتلى فقد بقي صامدا لا يتزعزع إيمانه و يقينه في اقتراب يوم تحريره »

كان قيام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية و الاعلان عنها بعثا للسيادة الجزائرية ، فكان حدثا تاريخيا له نفس التأثير في الجزائر و فرنسا و العالم بأسره، مثل أول نوفمبر 1954 .

لقد كان هذا رد (جبهة ت و) على سياسة "دوڤول" التي ظهرت جد خطيرة علينا خصوصا و أنه قد أفردها بكل جهده بوضع كافة طاقاته حيز التنفيذ، كما كان أيضا ردا على الانقلاب العسكري الذي قام به متطرفو الجزائر (المعمِرون المتعصبون ULTRAS) في 13 مايو 1958 ، الذين أرادوا قلب الأوضاع بجعل الجزائريين « يتآخون » معهم، و قد كان هذا يمثل صدمة نفسية شديدة لهم زاد في حدتها كونها غير مرتقبة .

فبعد أربع سنوات من حرب ضروس دلّ تأسيس حكومة جزائرية على أن (جبهة ت و) تسير قدما، و انها بعيدة على أن تنكسر أو تقهر .

ولتأكد و اقع الوطنية الجزائرية فقد فرضت نشأة حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية على العالم كله و جود الدولة الجزائرية . و قد تجاوزت الاحداث نهائيا سياسة دوڤول التي كانت تريد استرجاع الادماج لحسابها الخاص، بتأكيدها أن الجزائريين كانوا فرنسيين كاملي الحقوق و بعزمها على تطبيق المواطنة مع مضاعفتها للتدخلات و التفسيرات لدى الحكومات العربية و الصديقة، و من و جه الخصوص في الرباط، تونس، القاهرة، موسكو، و بكين .

لقد تغيرت بين عشية و ضحاها علاقات جبهة التحرير الوطني بالحكومات الشقيقة و الصديقة ، فاصبحت (الحكومة م ح ج) تعامل مع الحكومات التي اعترفت بها معاملة الند للند، و لم تعد فرنسا تستطيع التحدث عن المتمردين في مخاطبتها لهذه الحكومة فوجودنا و حضورنا كانا مفروضين عمليا ، و قانونيا على الساحة الدولية، و كان الشعب الجزائري يملك حكومة تمثله،وإذا

مـا أرادت التـفـاوض فـقـد كـان لفـرنسا المخاطب المؤهل الذي كان يحظى بثقة و دعم الشعب الجزائري و اعتراف عدد كبير من الدول الاعضاء في الأمم المتحدة التي تقيم علاقات سياسية مع فرنسا ذاتها . و قد كان تشكيل (الحكومة م ج ج) و بعثاتها الدبلوماسية التي كانت تتمتع بنفس الحقوق مع كل البعثات الدبلوماسية العالمية لدى الحكومات الصديقة، بمثابة صورة مسبقة عن الجزائر المستقلة، التي لم يعد أحد يشك فيها.

لقد بدأت مرحلة جديدة لا يمكنها أن تكون إلا حاسمة .

ودون أن تكف عن جهدها الحربي، رغبت (الحكومة م ح ج) في استدراج الفرنسيين الى المفاوضات . و قد اختير الرئيس عباس لهذا الغرض . و كرد على العروض التي تركها عباس لاستنتاج دوقول من محتوى المحادثات العديدة التي أجراها مع المبعوثين الذين كانوا يدعون المجيء من طرفه ، فقد كان جواب دوقول بعد مشروع قسنطينة حيث قلصت كل الثورة الجزائرية إلى تحسينات للظروف المعيشية المادية للجزائريين اقتراح « سلم الشجعان » و « لوّحوا بالراية البيضاء، و تعالوا للقائنا »

فـقـد أظـهـر دوقول نفسه من العظمة و الكرم بأن أشار لنا أين نضع أسلحتـنا و أن يعدنا جميعا بالعفو . لقد فسر دوقول الليونة التي ظهرت بها (الحكومة م ح ج) « كطعم للحوار » على أنها دليل على ضعفها و رغبتها في انهاء الحرب بأي ثمن .

لقد كان دوقول يؤمن باستسلام قريب خصوصا و قد شجعته في ذلك بعض المؤامرات الصغيرة التي كانت تدبر في داخل الجبل بمبادرات من اعوانه ذاتهم .

لقد شرع الرئيس عباس مترئسا و فدا حكوميا هاما و من الأيام الأولى التي تلت تأسيس (الحكومة م ح ج) في القيام بزيارة لرؤساء البلدان العربية و الصديقة . و قد كان أول من استقبله بطبيعة الحال الرئيس جمال عبد الناصر حيث كان مقر (الحكومة م ح ج) في القاهرة، و قد تمت دعوة الرئيس عباس لمأدبة عشاء أقامها الرئيس ناصر بمناسبة زيارة رئيس الحكومة الأندنوسية . و قد التقى أيضا برؤساء و فود عديدة في زيارة إلى القاهرة بفضل و ساطة الرئيس ناصر . و بعد محادثاته مع هذا الأخير في شهر أكتوبر 1958 استقبله ملك المغرب في شهر نوفمبر من نفس السنة . ثم زار ليبيا حيث استقبله الملك ادريس، و قام بزيارة للملك سعود بالرياض في شهر مارس 1959 . و في نفس الشهر استقبله الرئيس بورقيبة في تونس و في شهر أفريل سافر إلى الهند ثم الباكستان، و بعد هذا كانت الزيارة إلى كل من العراق و الكويت و السودان و الأردن، و حيثما كان يذهب و فد (الحكومة م ح ج) مرفوقا برئيسه سواء أكان ذلك إلى بغداد، الكويت، عمان الرياض أو الخرطوم، فقد كان يستقبل بكل حفاوة و حرارة . و مثل رؤساء الدول في ذلك كمثل شعوبها الشقيقة .

فلم يعرف كل من الشيخ عبد الرحمن بلعقون في عمان و الشيخ محمد الغسيري في الكويت، احمد بودة في طرابلس و بن غازي، و الشيخ عباس في جدة، و الشيخ حامد روابحية في بغداد التعب و الكلل، ممثلين لـ (الحكومة م ح ج)، فقد كانوا يقومون بعمل مكثف للاعلام و بشرح قضيتنا و في كل مرة و باتفاق تام مع السلطات المحلية كانوا يخطرون الجماهير، و يضمنون النجاح التام لهذه الزيارات .

لقد استوعبت (الحكومة م ح ج) الدرس فتم التأكيد كما ينبغي على تدعيم الحرب و كان على النشاط الخارجي أن يكون مركزا على السلاح، و هكذا

كانت أول بعثة حكومية هامة للحكومة (م ج ج) تلك التي بعثت بها الى الصين الشعبية في ديسمبر 1958 .

الرحلة إلى الصين الشعبية :

في ديسمبر 1958 بعثت الـ (الحكومة م ح ج) بوفد حكومي إلي الصين و كان هذا الوفد مكونا من ثلاثة أعضاء هم : بن خدة و زير الشؤون الاجتماعية و محمود الشريف و زير التسلح، و كاتب هذه السطور الذي كان يحمل حينذاك اسم مدير الإعلام . كان بن خدة يترأس الوفد و في الحقيقة لم تعين الحكومة رئيس على الوفد، و كان محمود الشريف من حين لآخر يحتج على هذا .

وهو العقيد القديم للولاية الأولى، و عضو سابق في (لجنة ت ت) تم تعيينه في الوقت نفسه الذي كنا بن خدة و أنا بالذات مفصولين عن أول (لجنة ت ت) و قد كان يرى عاما فقط من قبل - أنه يستحق التقدم على بن خدة، و لكن رزانة و حكمة هذا الأخير، و صرامته غير المتعجرفة، و من جهة أخرى رشد و ذكاء محمود الشريف اللذان سرعان ما هدأ غضبه، عملت على جعلنا نتفق و نتفاهم تماما . و أما أنا فكنت لوحدي أشكل كل « حاشية » للرئيسين، و كان محمود الشريف يرى جيدا أنني كنت - و دون أن أنقص من قيمته - اعتبر أن بن خدة هو رئيس الوفد و أظن أننا نحن الثلاثة كنا على دراية كافية لتحاشي كل ما يدعو إلى السخرية . و قد عملنا كل ما في و سعنا لانجاح مهمتنا .

كان استقبالنا في المطار استقبالا رسميا يخص به عادة الرؤساء فقط . و قد اصغينا للنشيدين الوطنيين الجزائري و الصيني . كانت تلك هي أول مرة يعزف فيها النشيد الوطني الجزائري من قبل جيش، و كان الجيش الصيني أول من عزفه في العالم باسره .

كانت تلك اللحظة مؤثرة للغاية، و كانت أجمل هدية يمكن للصينيين أن يستقبلونا بها و قد بعثت من أعماقي نفسي التحية إلى مؤلفه مفدي زكرياء الشاعر الكبير و الوطني الجزائري و كذلك إلى « صوت العرب » التي بطلب مني ابان الاعداد للرحلة تكلفت بتلحين نشيدنا الوطني (1) .

قام بن خدة باستعراض فرق الجيش الشرفية التي كانت في الاستقبال و قد كان في استقبالنا - أيضا - " تشون لاي " نفسه .

صرح لنا الرئيس "ماو" أننا كنا أول جزائريين يراهم في حياته . و قد كنا فعلا أول و فد لجبهة التحرير الوطني يزور الصين .

بعد الاصغاء المتمعن لبياننا و تشكراتنا على الدعم و المساعدة التي كانت تمدنا بها الصين رد علينا الرئيس "ماو" بنبرة طبيعية لم تكن تفارقه أبدا « أننا نشكركم بدورنا على اعترافكم بحكومتنا ، لأن العديد من البلدان لا تعترف بنا ، كما نشكركم على مساعدتكم لأننا و بينما نواجه نحن الاسطول السابع هنا ، تحتجزون أنتم الاسطول السادس هناك، فنحن حلفاء و قد تقاسمنا العمل مع الاتحاد السوفياتي» - كان الرئيس "ماو" يدافع عن و جهة نظر الاتحاد السوفياتي ، التي تكلمنا في سياق الحديث عن عدم اعترافها بعد بـ (الحكومة م ح ج)-. في الواقع لم يعترف الاتحاد السوفياتي بـ (الحكومة م ح ج) إلا بعد و قف إطلاق النار - فهو يعمل في اطار الشرعية الدولية، بينما نحن نعمل في الاتجاه المعاكس . ثم استفسر عن المناطق المحررة في الجزائر و أيدنا بنصائحه فيما كان علينا أن نقوم به من أعمال فيها ... الخ

1) من المعلوم أن و اضع اللحن الحالي للنشيد الوطني الجزائري هو المرحوم الموسيقار المصري محمد فوزي، و ذلك بطلب من إذاعة « صوت العرب » بطبيعة الحال . « المترجم »

كانت رحلة مثمرة للغاية و قد استفدنا و تعلمنا الكثير من القادة الصينيين و على و جه الخصوص الوزير الأول "تشون لاي" . و لم أشعر أبدا من قبل أمام أي رجل بنفس تلك المشاعر عن الود الذي كان يكنها لي هذا الأخير . و لربما فقط من طرف ذلك الرجل الذي كان لا يقابله في القمة، الملك فيصل ؛ فقد كانا يبعثان في النفس الثقة إلى حد أن بعد الحديث إليهما، يحس المرء و كأنه قد بعث إلى الحياة من جديد، و يشعر بطمأنينة و قوة لم يعرفها قط من قبل .

كانت تلك هي الفترة التي عزل فيها "ليو شاوشي" الذي كان آنذاك رئيس للجمهورية، و التي قرر فيها الرئيس "ماو" تخصص كل اهتمامه بالحزب . و بالتالي فقد كانت أمام المسؤولين الصينيين مشاكل داخلية عويصة يجب حلها . و رغم هذا كان اهتمامهم بنا تاما غير منقوص . و مع ذلك فقد حضينا باهتمامهم الكامل و التام .

فلمدة عشرين يوما طاف بنا المسؤولون الصينيون، في كل مكان من أصغر مزرعة و أصغر معمل إلى سور الصين العظيم، مرورا بالقرى و البلديات الشعبية، كانت فترة « القفزة الكبرى » إلى الأمام، و الكل نساء و رجالا كانوا يرتدون نفس البدلة و الجميع بدون استثناء يعملون يدا في يد من اجل بناء، جسر الثلاثة عشر ضريحا .

كانت تعرض علينا صور يشاهد فيها "شون لاي" بنفسه يترأس مجموعة من المتطوعين و في يده قفة مليئة بالتراب، في المزارع كان الناس يحرثون و يقلبون الأرض بكل الوسائل المتوفرة ، و في نفس الوقت بالمحراث الالي و التقليدي، و المجرفة و الفأس، و كانت المضخات تعمل بدون توقف لسقي الأراضي . و يساعدها في ذلك سكان المزارع بدلائهم . لقد كانت تلك الفترة تصادف القيام بحملة كبيرة للنظافة، فكان الجميع ينظف أمام بيته، و في

الساحات العمومية و الطرقات، فكانت النظافة هي السيدة في كل مكان . ،كان الكل يشارك في الحرب المشنة ضد العصافير بقرع الأواني و الدلاء الخ ... مما كان يحدث ضجيجا صاخبا، و من جراء هذا الضجيج قيل لي - كانت العصافير لا تستطيع الحط في أي مكان فتسقط هامدة بعد بضع كيلومترات، و كانت حقا جثث هذه العصافير تغطى الأرض في العديد من الأماكن، فكان الصيني الذي طالما شاركته هذه الطيور في أكله يثري و جباته بهذه الطرائد الصغيرة .

كما كان لنا - أيضا - الشرف في أن حضرنا لتدريب - مناورة صغيرة - بعض الوحدات من الجيش الصيني و قد هنّأ محمود الشريف في تدخل قصير له، الجنود في هيأتهم و قدراتهم .

كانت تلك الفترة - أيضا - فترة الافران العليا الصغيرة، حيث كان على كل صيني أن ينتج يوميا ما لا يقل عن كلوغرامين من الحديد الصلب . و رغم أننا كنا في بعض الأحيان نحس أننا جد متعبين و مرهقين من جراء كل الزيارات التي كنا نقوم بها فقد كانت لنا - مع ذلك - أوقات للمزاح و الضحك .

ففي أحد أيام، و بتحدثنا عن الزراعة في مجلس ضيق، في غياب الكبار، أعلمني مترجمي، أنهم كانوا يجنون 500 قنطار في الهيكتار الواحد بفضل حكمة "ماو" فأجبته و قد أذهلني تماما هذا التصريح، و مخاطرا بإلحاق الضرر بطلبات المساعدة التي طلبناها ... أجبته - إذن - أن هذا مستحيلا ! و لكنه ألح على ما قاله فأصررت على أن أبرهن له أن هذا غير معقول و قلت له : « أصغ لي ! منذ أن حللنا هنا لم أحدثك إلا بالسوء عن المعمرين الفرنسيين، لكن الآن فلتعلم أنه لا يستطيع أحد خدمة الأرض مثلهم، و مع ذلك فلم يتمكنوا أبدا من انتاج اكثر من 30 قنطارا في الهكتار الواحد، فوق أراض ممتازة

في سنة زراعية استثنائية ! ! فاذا بن خدة يقطع انفاسه و يوجه لي نظرة حادة . و لحسن الحظ فقد كرّر مرة أخرى مترجمي الذي لم يكن يريد تغيير رأيه، أن هذا كان بفضل " حكمة ماو .. الخ ... فاغتنمت الفرصة متظاهرا بأنني كنت شارد الذهن و لم أفهم شيئا و قاطعته في أول كلامه في صيحة مبتهجة : « آ ! أسف لم تقل لي أن هذا بفضل حكمة ماو، و كان من الواجب عليك أن تقول لي، فبفضل حكمة ماو سنجني المزيد و الكثير في السنوات المقبلة » ففضت الحادثة برضانا التام، و لم تكن هناك أية مضايقات سياسية .

و مرة أخرى حوالي الساعة العاشرة مساء، تم عرض فيلم علينا تحت عنوان « الصين بعد 20 سنة » كنا نرى الصور الجميلة جدا، و الممثلة المنازل الضخمة و البساتين الرائعة و الزهور و الورود من كل الألوان . و الصينيات الانيقات المشعات في ملابسهن الرائعة - كان هذا حقا أجمل و أروع مما كنا نراه آنذاك ! رجال و نساء يرتدون نفس البدلة الزرقاء - لا أحد يتعب و لا أحد يشقى في كلمة و احدة أنها الجنة - الشيء يعني حقا، أن "ماو"، "وشون لاي" كانا على يقين و معرفة بآمال و أمنيات الشعب الصيني - و انهما كانا يعدانه لمستوى معيشة أحسن و أرفع من مستوى معيسة كل شعوب العالم الأخرى .

كان يصحبني في تلك الأمسية مترجم الى اللغة العربية، اغتنم تلك الفرصة ليمرن نفسه، فلم أفهم شيئا قط مما كان يهمسه في أذني، بينما كانت الصور تتعاقب و قد أحسست بعذاب حقيقي في الاستماع اليه - كان لصيقا بأذني - و لعدم استطاعتي تحمل ذلك، التفتت فجأة إلى بن خدة الذي كان يحظى دائما بمترجمه الممتاز إلى اللغة الفرنسية بجانبه و قلت :« أطلب من مترجمك أن يقول لمترجمي بأننا نفهم الصينية أحسن من العربية في السنما . ارجوك فانا لا أحتمل المزيد » فقهقه بن خدة، و تبادل المترجمان النظر في دهشة، فلم يكن في

الساحات العمومية و الطرقات، فكانت النظافة هي السيدة في كل مكان .،كان الكل يشارك في الحرب المشنة ضد العصافير بقرع الأواني و الدلاء الخ ... مما كان يحدث ضجيجا صاخبا، و من جراء هذا الضجيج قيل لي - كانت العصافير لا تستطيع الحط في أي مكان فتسقط هامدة بعد بضع كيلومترات، و كانت حقا جثث هذه العصافير تغطى الأرض في العديد من الأماكن، فكان الصيني الذي طالما شاركته هذه الطيور في أكله يثري و جباته بهذه الطرائد الصغيرة .

كما كان لنا - أيضا - الشرف في أن حضرنا لتدريب - مناورة صغيرة - بعض الوحدات من الجيش الصيني و قد هنّأ محمود الشريف في تدخل قصير له، الجنود في هيأتهم و قدراتهم .

كانت تلك الفترة - أيضا - فترة الافران العليا الصغيرة، حيث كان على كل صيني أن ينتج يوميا ما لا يقل عن كلوغرامين من الحديد الصلب . و رغم أننا كنا في بعض الأحيان نحس أننا جد متعبين و مرهقين من جراء كل الزيارات التي كنا نقوم بها فقد كانت لنا - مع ذلك - أوقاتٌ للمزاح و الضحك .

ففي أحد أيام، و بتحدثنا عن الزراعة في مجلس ضيق، في غياب الكبار، أعلمني مترجمي، أنهم كانوا يجنون 500 قنطار في الهيكتار الواحد بفضل حكمة "ماو" فأجبته و قد أذهلني تماما هذا التصريح، و مخاطرا بإلحاق الضرر بطلبات المساعدة التي طلبناها ... أجبته - إذن - أن هذا مستحيلا ! و لكنه ألح على ما قاله فأصررت على أن أبرهن له أن هذا غير معقول و قلت له : « أصغ لي ! منذ أن حللنا هنا لم أحدثك إلا بالسوء عن المعمرين الفرنسيين، لكن الآن فلتعلم أنه لا يستطيع أحد خدمة الأرض مثلهم، و مع ذلك فلم يتمكنوا أبدا من انتاج اكثر من 30 قنطارا في الهكتار الواحد، فوق أراض ممتازة

في سنة زراعية استثنائية ! ! فاذا بن خدة يقطع انفاسه و يوجه لي نظرة حادة .
و لحسن الحظ فقد كرّر مرة أخرى مترجمي الذي لم يكن يريد تغيير رأيه، أن هذا كان بفضل " حكمة ماو .. الخ ... فاغتنمت الفرصة متظاهرا بأنني كنت شارد الذهن و لم أفهم شيئا و قاطعته في أول كلامه في صيحة مبتهجة : « آ ! أسف لم تقل لي أن هذا بفضل حكمة ماو، و كان من الواجب عليك أن تقول لي، فبفضل حكمة ماو سنجني المزيد و الكثير في السنوات المقبلة » ففضت الحادثة برضانا التام، و لم تكن هناك أية مضايقات سياسية .

و مرة أخرى حوالي الساعة العاشرة مساء، تم عرض فيلم علينا تحت عنوان « الصين بعد 20 سنة » كنا نرى الصور الجميلة جدا، و الممثلة المنازل الضخمة و البساتين الرائعة و الزهور و الورود من كل الألوان . و الصينيات الانيقات المشعات في ملابسهن الرائعة - كان هذا حقا أجمل و أروع مما كنا نراه آنذاك ! رجال و نساء يرتدون نفس البدلة الزرقاء - لا أحد يتعب و لا أحد يشقى في كلمة و احدة أنها الجنة - الشيء يعني حقا، أن "ماو"، "وشون لاي" كانا على يقين و معرفة بآمال و أمنيات الشعب الصيني - و انهما كانا يعدانه لمستوى معيشة أحسن و أرفع من مستوى معيسة كل شعوب العالم الأخرى .

كان يصحبني في تلك الأمسية مترجم الى اللغة العربية، اغتنم تلك الفرصة ليمرن نفسه، فلم أفهم شيئا قط مما كان يهمسه في أذني، بينما كانت الصور تتعاقب و قد أحسست بعذاب حقيقي في الاستماع اليه - كان لصيقا بأذني - و لعدم استطاعتي تحمل ذلك، التفتت فجأة إلى بن خدة الذي كان يحظى دائما بمترجمه الممتاز إلى اللغة الفرنسية بجانبه و قلت :« أطلب من مترجمك أن يقول لمترجمي بأننا نفهم الصينية أحسن من العربية في السنما . ارجوك فانا لا أحتمل المزيد » فقهقه بن خدة، و تبادل المترجمان النظر في دهشة، فلم يكن في

الفيلم ما يثير الضحك ، فاضطررت لاجتناب أية عواقب أن أشرح سبب هذا الضحك المتواصل » . فلاحظت ضاحكا أن هذه الصور قد أجيدت إلى حد أن اللعاب كان يسيل في فمي عندما كنت أرى هذا الشواء يسقط من السماء، فقهقه مترجم بن خدة بدوره شارحا الاسباب لزميله .

وكاد بن خدة كذلك ان يختنق من الضحك مرة أخرى . كان هذا في مأدبة عشاء عند و زير الدفاع المارشال بن تاخاي . كان الحديث حادا و جادا، فلم نكن نهمل أية كلمة من حديث المارشال، حيث كان يروي لنا عن حرب كوريا، فقد كان هو قائد فرقة المتطوعين الصينيين، و قد أورد في كلامه : « كان عندي « مليون جندي » و في الأخير رفع كأسه مناديا بانتصارنا، و صداقة شعبينا و سقوط الأنبريالية، و ختم كلامه متنهدا : « للاسف لو كانت عندنا حدود مشتركة مع الجزائر ! لبعثنا لكم بالكثير من المتطوعين » و على اثر هذه الكلمة صحت باللغة العربية الدارجة و قلت لبن خدة : حمداً لله أن هذا لم يكن ..! فالفرنسيون يذهبون حتما يوما، و لكن من يستطيع اخراج الصينيين إذا ما إنغرسوا عندنا ! ؟

لقد فكرت مليا في هذا الفيلم « الصين بعد عشرين سنة » و خصوصا بعد مجيء الرئيس هو اجيوفان فيظهر بديهيا أن هذه المهلة لم تحترم . و الصين لم تعد جنة، و لكن الحياة تستعيد فيها مجراها الطبيعي و الانساني و لم تعد الأشياء الجميلة و الالوان تخص فيلم « الصين بعد 20 سنة » لوحده و لكنها تظهر من جديد و في كل مكان، و نفهم بصفة أكثر دقة النمط الذي يريد الرئيس " هوايوفان " و " دينج سياوبنج " إضفاءه على الصين . فالتفتح على العالم الخارجي يحول الصينيين، فهم يدركون بسرعة أن حكمة "ماو" مهما كانت روعتها لا تستطيع ضمان تطورهم، فهم يلتقطون المعرفة في كل مكان

و يبحثون على تعاون كل البلدان المتقدمة . " فذينج سيا و بنج" يعلمنا اليوم انه يجب تشغيل الفكر و البحث عن الحقيقة في الواقع، و أن تطوير الديمقراطية الشعبية، و تساوي الجميع أمام الحقيقة شيء حتمي ، فالناس ينادون الآن في الصين « العار لأولئك الذين يكتمون أنفاس النقد »

لقد عملت كثيرا أثناء هذه الزيارة و اتقنت لعب دوري، فلخدمة الوطن كنت مستعدا للتضحية بحياتي، و كثيرا ما كانت لي فرص لاثبت شجاعتي ... فلم أكن لأتراجع عن موقفي في الصين و لكن الشجاعة التي كان علي أن أتحلى بها كي أتوجه للشعب الصيني عبر إذاعة « بكين » قد كلفتني الكثير، فأصدقاؤنا الصينيون أرادوا نداء باللغة العربية، باللغة العربية الفصحى طبعا لكي يتمكنوا من ترجمتها، و قد فكرت ليلة كاملة في تحرير حديث صغير، يستغرق ربع ساعة . و رغم هذا فلم تتحمل أبدا - في ذاكرة انسان - لغتنا الوطنية اجحافا مثل هذا ولا تحملت نفسي نكالا و عذابا مثل ذلك ! غير أن الأمور قد تحسنت منذ هذه المغامرة، فقد شرعت في تعلم اللغة الأم باقتحام دراسة النحو ببسالة ذلك الحاجز المؤلم، و حمداً لله فإننا قد أصبحنا متناهمين و سأتحاشي مع ذلك في أن أظهر و اياها علنيا أمام الملإ لكوني لم أتمكن بعد من اتقانها، و لحسن الحظ فقط كانت لي الفرصة مع انتهاء هذه الزيارة كي أبرهن لنفسي أنني كنت حقا متفوقا عندما اكتب باللغة الفرنسية .

فهكذا عندما طلب مني " شون لاي " أن أساعده على تحرير بيان مشترك، و عندما جلست إلى جانبه، و جانب المدير الصيني للشؤون الافريقية و الشرق الأوسطية، و جدت نفسي أبكم، لا أقدر على اخراج و لو جملة و احدة، فقد شلّني تماما و اقع إحساسي فجأة بأنني قد أصبحت رجلا مهما !

ولا أتذكر بأية معجزة قد تمكنت من تماسك نفسي، و لكنني مع ذلك لن أنسى أبدا « شون لاي » .

رحلة إلي منغوليا الخارجية :

غير أننا لم نكن قد انتهينا بعد من مشكلة اللغات، فبعد ساعة فقط من اقلاعنا من بكين في طريق العودة حطت بنا الطائرة في « أولان ياطور » حيث كان و زير الشؤون الخارجية لمانغوليا، قد أعد لنا احتفال استقبال ضخم في المطار و حول المائدة المثقلة بشتى انواع الطيبات ألقى الوزير الخطاب العادي مرحبا بنا و معبرا لنا عن فرحته الكبيرة باستقبالنا و تأكيده لنا عن الدعم التام لمنغوليا لنا .

ثم قام رئيس و فدنا فتكلم بهدوء و تأنى كعادته و تعمّد المدّ - كما نصحنا به مدرس اللغة الانجليزية فيما مضى و نحن في القسم الرابع - أول من اندهش كان محمود الشريف معجبا ثم مطمئنا تماما . اقتنع أخيرا فلعله كان يفكر بأن بن خدة كان على حق عندما أدعى الأهلية لرئاسة الوفد، و بالرغم من مشهد الخمر على المائدة و الذي كان جليا أنه يزعجه كثيرا، فقد كان بن خدة و اضحا في كلامه و ضوح الماء الزلال، و قد صرح بأنه كان حقا « جد مسرور» بلقائه مع أصدقائنا المنغوليين، و دقق على عبارة « جد جد متشرف » (بالإنجليزية) و بأننا كنا حقا مرتاحين . كنت أظن أنه سيصرف فعل « توبي » (بالانجليزية) في الحاضر و المستقبل، ثم أضاف « لتحي الصداقة بين شعبينا » « تحيا الحرية في العالم » كان يريد أخيرا أن يختم كلامه بـ « يحيا السلام في العالم » و لكنه بسبب عدم و جود السلام في الحياة الدنيا، أو بسبب أنه كان يخشى أن يتمنى السلام لعالم كان حتما يحتوي أو يضم الأنبرياليين،

و زيادة على ذلك أمام عقيد من جيش التحرير الوطني، مكلف بتسليحنا .
لم تكن كلمة " سلام " (بالانجليزية) ستحضر في ذاكرته فاشار لي بنظرة فهمست فورا « السلام » باللغة الانجليزية « peace » فنظر لي محمود الشريف بنظرة تعجب و حيرة، بطبع هادئ كإنجليزي كانت لكنته الاكسفوردية تذكر به طبيعيا، ختم بن خدة خطابه بعبارة « يحيا السلام في العالم » و جلس طالبا مني و تحت التصفيقات الحارة أخذ النيابة و المواصلة، كان الأمر عاديا، فقد كنت مساعده الأيمن، و قبل كل شيء المسؤول عن الإعلام، و الدعاية كنت أعرف نفس بالضبط الكلمات الانجليزية مع رئيسي، فاستعدت خطابه معكوسا و لكن نبرتي كانت غير نبرته فلم أكن بنفس الهدوء و لم يتفطن هو لهذا، و قد ختمت مناديا، تسقط الأنبريالية و يسقط الاستعمار الجديد، و يسقط ... الخ ... و لو لا أن التصفيقات قد أوقفتني لكنت قد أسقطت كل شيء .
و عندما رفعت كأسي تحية « لانتصارنا المشترك » أصبح جليا أنني قد احرزت نجاحا كبيرا .

لاحظ الوزير المنغولي للشؤون الخارجية بأنه لم يذق أحد منا الخمر فقال لنا : « يارفاقي، أؤكد لكم بأنه ليس خمرا استعماريا، فهذا خمر من عندنا، تستطيعون الشراب بكل هناء » و قد أراح و فدنا هذا التقدير للإسلام في منغوليا ! لقد بذلنا جهدا أخيرا و جادا للتحدث بصفة جدية مع مضيفينا فقمنا بعرض شامل للتعريف بأنفسنا و شرحنا موقفنا و موقف فرنسا و الخطورات التي و صلت إليها قضيتنا، و عرضنا بصفة غير مباشرة مطالبنا و المساعدة التي كنا نأمل في الحصول عليها من حلفائنا و أصدقائنا .

و قد طمأننا الوزير المنغولي عن مستندة و دعم بلاده الكامل لقضيتنا .

وبعد مغادرة « اولان باطور » كنت أفكر مليا في أحسن طريقة نبادر بها أصدقاءنا السوفيات . حيث أن موسكو كانت محطتنا المقبلة . و لم أتمكن من

التحكم في داخلي بالاحساس بشيء من الأسى عندما اتذكر بأننا غادرنا مدينة كان موجودا بها الوزير السوفياتي الشهير للشؤون الخارجية "مولوطوف"، الذي كان في عداد أولئك الذين رأسوا نشأة منظمة الأمم المتحدة !

فلم نكن نعتقد أبدا، سواء الحكومة المنغولية أو نحن، في لقاء مع سفير غامض مغمور مثل هذا، منعزل في هذا المكان القصي، فرحا بكونه مازال على قيد الحياة، حيث إن الآلة " السطالينية " قد سحقت أناسا أكثر قوة منه و عليه، فلا يوجد هناك داع للابتهاج بالامجاد الزائلة في هذا العالم !

زيارة موسكو :

بعد زيارتنا لكل من الصين و منغوليا توقفنا أخيرا بموسكو، حيث استقبلتنا الحكومة السوفياتية مع أنها لا تعترف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية . و فضلا عن ذلك فدعم الاتحاد السوفياتي لنا كان في حكم المحقق، كما أن هذا اللقاء كان الأول من نوعه بين جبهة التحرير الوطني و الاتحاد السوفياتي على المستوى الحكومي : قام محمود الشريف أمام " كوسيجين " الذي كان أكثر هدوءا من بن خدة بتوبيخ حقيقي " لميكويان "، حيث أخذه بشدة على ادعائه مساندتنا و عدم امدادهم ايانا بالأسلحة . و قد ظهرت هذه الشدة التي لم نستحسنها لا بن خدة و لا أنا صائبة و مفيدة للغاية .

لقد ثار ميكويان الذي أحس بالغيظ و اجابه بلهجة شديدة مماثلة : « يجب عليكم ألا تلوموا إلا أنفسكم فيما بينكم أنتم العرب، فنحن نمد عبد الناصر بكل الأسلحة الموجهة إليكم الخ ... الخ ... » فلم يكن لنا أن نطلب شرحا مصورا أكثر تفصيلا من هذا . حيث نظر الينا محمود الشريف، و كنا قد فهمنا جيدا كل شيء، بأن أخانا الكبير ناصر كان يوزع علينا بسخاء أسلحة قديمة !

ومع ذلك لم نأخذ ما قاله ميكويان على أنه الحقيقة الكاملة على الفور، فنحن لا نعرف شيئا قط عن لعبة السوفيات، و كان علينا أن نتحلى بالحيطة و الحذر كي نكشف الحقيقة من الخطأ،فأنا أقول اليوم أن الوحدة العربية لم و لن تكون أبدا في صالح الدول الأخرى، مهما كانت الصداقة التي تربط هذه بتلك بل و تسعى هذه الأخيرة دائما إلى زرع بذور الفتنة بيننا و إبقائنا منفصلين و متنافرين .

ومع ذلك فقد افترقنا كأصدقاء حقيقيين، حيث كان علينا أن نقوم بعدة زيارات في موسكو، كما أن أصدقاءنا السوفيات لم يتخلوا علينا بنصائحهم، و مساعداتهم .

عدنا الى القاهرة راضين تماما عن رحلتنا، فقد جلبنا مساعدات مادية لابأس بها سواء كانت أسلحة أو ذخيرة أو مواد غذائية للاجئين . و قد تحسنت كثيرا معرفة الناس لنا على المستوى الديبلوماسي . و أثبتنا و جودنا اكثر فأكثر على الصعيد الدولي ، كما أن هذه الزيارات الأولى من نوعها قد علمتنا كيف نحسن تنظيم أنفسنا ، فاصبحت و فودنا أكثر تعزيزا و تجهيزا و تعلمنا أن نتحرك مع أحسن مترجمينا و خبرائنا، كما أننا و على أساس هذه الزيارات سطرنا و حددنا سبلا و طرائق جديدة لنقل و استلام أسلحتنا .

اللقاء مع ماتيي : (MATTEI)

لقد حظينا بمعرفة السيد ماتيي لأول مرة بمناسبة زيارتنا إلى الصين، و السيد ماتيي، هو أكبر و أهم شخصية ايطالية في مجال البترول و المحروقات، و الذي كان آنذاك رئيس لشركة (ENI) . حيث كان هو أيضا في زيارة إلى الصين بمعية مجموعة من معاونيه حيثما حللنا بها، و لم نتعرف به إلا في

طريق العودة، حيث أقلتنا نفس الطائرة انطلاقا من بكين، فقد لاحظ العناية و الاهتمام الخاص للصينيين بنا كما صرح لي فيما بعد . و كان هو - أيضا - من جهته محل كل الأنظار .

بعد "أولازباطور"، نزلنا في "إيرخوست"، ثم "سيردوفساك"، و أخيرا حطت بنا الطائرة في « أومساك » بسبيريا . كانت الطائرة الروسية التي تنقلنا من نوع « طوبولاف » و كان لها قدرة طيران لا تتجاوز الساعتين . و بسبب الأحوال الجوية الرديئة بموسكو حيث كنا سنتمكن من الهبوط اضطررنا إلى البقاء في « أمساك » لمدة ثلاثة أيام، كان هذا التوقف طويلا و متعبا جدا، فدرجة الحرارة كانت تدنو من 44 درجة تحت الصفر و قد خرقت طبلة اذن بن خدة .

تم ايواؤنا في نزل المطار الذي كان يشبه المركب الصغير . و قد كان هناك ثلاثة أو أربعة فياتناميين يتكلمون الفرنسية فمكنوننا من معرفة مكان تواجدنا و ما حل بنا، و قد عرفت منهم أن مجموعة الأروبيين كانت محجوزة مثلنا، و أنهم إطاليون و ان ذلك الرجل الذي يبدو رئيسهم هو السيد « ماتيي» الواسع الشهرة، و أكبر و أهم رجال البترول في تلك الفترة . و قد أحسست عندها باهمية و فائدة التعرف عليه .

بيد أن المشكل كان في كيفية مبادرة هذا الرأسمالي الغربي، حينما كان الغربيون في معظمهم ينظرون الينا على أننا « عين موسكو » فهذا الأمر كان يبدو لنا جد صعب، و لكن الصعوبات التي كنا نلقاها قد مكنتني في آخر الأمر من اللقاء معه . كانت غرفنا موضوعة على طول الرواق و تواجه بعضها بعضا . لم يكن و لو روسي و احد يتكلم لغة غير لغته، و كنا كل ساعة نسمع خطى مضيفة روسية تمر . و لعدم معرفتنا و لو لكلمة و احدة من الروسية، كنا و كلما

مرت علينا نقول لها دائما كلمة « موسكو » و كنا نعني لها متى سنتوجه إلى موسكو، و كانت المضيفة تجيب دائما بكلمة أظنها تعنى « لا أعرف شيئا »، و الحال أنني كلما نطقت مستفسرا بكلمة موسكو إلا و كان السيد « ماتيى » على بعد غرفتين مني يفعل المثل . و كلما سألت المضيفة كنا نتبادل النظرات في نوع من الأسف و الأسى .

كنا نبدو نحن الاثنان في حالة من التعاسة و اليأس، لن يبخل ألد أعدائنا فيها علينا بالشفقة و الحنان . و في نهاية اليوم الثاني و بعد الألف سؤال و سؤال للمضيفة - كما خُيل لي - كففت عن فعل ذلك و لم أعد أرغب فيه .

فناديت « ياسيد ماتيي » ! فنظر إلي و انتصب و خرج من حجرته الصغيرة، لم يكن ينتظر غير هذا المجيء نحوي . و قد كاد يرتمي كلانا في حضن الآخر، لا شك في أن أي شخص لاحظنا حينها، كان رآنا غير صديقين قديمين يلتقيان بعد فراق طويل ! في المطعم مساءا قدمت لأصدقائي نتائج « غزوي الجديد » السيد ماتي، فسروا جميعا لتمكنهم أخيرا من التحاور مع شخص آخر .

لم يكن من السهل فتح الحوار مع شخص بهذه الأهمية و المكانة، لم نكن نعرف مشاعره إزاء ثورتنا التي تقول عنها فرنسا الأخت اللاتينية لايطاليا، أنها تهديد حقيقي للغرب .

قلت للسيد ماتيي : « إذا ماكانت لكم أية صعوبة في التعبير فلا تترددوا في اشراكنا، ففي هذا الجحيم السبيري، يجب أن نترفع عن اختلافاتنا و نتكاتف الأيادي فنحن كلنا متضامنون،وسيسر رئيسنا كثيرا بمساعدتكم، في علاقتكم مع عمال المطعم الروسي، و قصصت عليه المغامرة التي حدثت لنا في تلك الصبيحة ذاتها عند موعد الافطار . فبعد أن تعب بن خدة من اصطياد

و عزل القطع الصغيرة من شحم الخنزير و لحمه بشوكته، و التي كان الطباخ يزين بها كل ما يقدمه لنا و أمام عجزي عن تدارك الموقف « لأن هذا من مهامي لكوني خادم الوفد » عثر بن خدة على الحل، فرسم بكل عناية انف خنزير، و عرضه على الخادم موصيا اياه بأن لا يقدم لنا هذا النوع من اللحم مرة أخرى ! لم يبحث الخادم عن المزيد من الشرح و كأنه فهم كل شيء، و قفز مهرولا نحو المطبخ . و ما هي الا لحظة - لكونه منضبطا و ملتزما بعدم ترك الزبون في الانتظار - حتى عاد مسرعا و مقدما لنا نصف رأس خنزير كان جاهزا !

ومنذ ذلك التاريخ و كلما استعصى علي التعبير، كنت أطلب من بن خدة أن يتحفنا برسم ! !

لقد أظهر لنا السيد ماتيي، كل و دّه و قد تعهد بمساعدتنا، و أصبح منذ ذلك اليوم حليفا لنا . و عندما عاد إلى روما إتصل مباشرة ببولحروف ممثلنا بايطاليا .

وبعد حوالي شهرين من لقائنا اتصل بي في مكتبنا بالقاهرة و قال لي : « لقد و صلت هذا الصباح إلى القاهرة » و أنت ثاني من أتصل به بعد الرئيس ناصر » فاجابته : « آه ! و مع ذلك فانت تفضل الرئيس ناصر ! غير أنني أفهمك » فقاطعني و استأنف، « لا بل أنني أؤكد لك أن الأمر يتعلق فقط بموعد، بمسألة حول البترول بسيناء، حيث يتعين علي أن أذهب » كدت أجيبه أننا نملك أيضا الكثير من البترول، أظن أنني كنت استطيع مداعبته ، فقد كان يبدولي أنني كنت أعرفه منذ القديم، فالساعات القليلة التي قضيناها معا في سيبريا، كانت تبدو بل و تضاهي صداقة سنين طويلة، كنا نلتقي فيها صدفة، نصف ساعة في كل أشهر أو سنة . كنا قريبين، كلانا من الآخر، و كان الوقت يبدو طويلا إلى حد أننا كنا نتحدث عن كل شيء ، فكان يقول لي « عندما أكون في ايطاليا ... فانا، لاأضيع و لا دقيقة و احدة ... فانا اسافر في

طائرتي الخاصة و أصطحب كل فرقتي معي، و نعقد اجتماعاتنا على متنها، اتصل هاتفيا من الطائرة بأي مكان، و أوجه كل شيء باللاسلكي » المسكين ماتيي ! انها هذه الطائرة نفسها التي كانت ستأتي بأجله بعدما خربها أعداؤه !

العمل الدبلوماسي في الخارج :

لقد كان و فد الحكومة الموقتة للجمهورية الجزائرية المرؤوس بفرحات عباس يضم غالبا و زيرا أو عدة و زراء معينين هم : كريم بلقاسم، بوصوف، محمود شريف، بن خدة، مهري، و بعض الموظفين الكبار أمثال محمد بن يحي .

على العكس من ذلك كان الدكتور فرنسيس موجودا في كل الوفود، حيث أن المساعدات المالية كانت حينها أساسية و أولية . هذه الزيارات التي أتت بعد تلك التي سبقت تكوين (الحكومة م ح ج) و التي جال اثناءها عباس و كيوان في العديد من بلدان أمريكا اللاتينية . قام آيت أحمد (1) و يزيد بزيارة العديد من البلدان الأسيوية، كما قام الدكتور لمين، و أمحمد يزيد، و بن خدة على التوالي، من جهتهم بزيارة البلدان العربية و الافريقية و العديد من العواصم الاشتراكية . و قد ظهرت هذه الزيارات مثمرة و مرضية للغاية، و لم تكن أمال و زيرنا للمالية في غير محلها . و كان عليه أن يهنيء نفسه على المساعدات الأساسية و الهامة التي أمدتها بها المملكة العربية السعودية و العراق و الكويت .

و قد ساعدتنا البلدان الشقيقة الأخرى في حدود إمكاناتها فهذه المساعدة المادية، و الدعم الدائم لكل هذه البلدان الشقيقة لنا بدون تردد كان أحسن عون و سند لنا على امتداد سنوات حربنا التحريرية حتى بلوغ الإنتصار النهائي .

---

1) قبل إعتقاله في 26 أكتوبر 1956 .

وكان على عباس بعد ذلك أن يذهب إلى يوغسلافيا، ثم بعدها و على رأس و فد هام إلي موسكو، ثم الصين، و أخيرا إلى أندونيسيا، و قد خصصت كذلك العديد من الزيارات إلى كل من الهند الصينية و كوريا الشمالية ، كما قاد أيضا و فدا ضخما إلى الصين . و قام د/ لمين و زير الشؤون الخارجية بزيارة العديد من العواصم . و زار من جهته أمحمد يزيد عدة بلدان افريقية، كما يمكن اعتبار اتصالاتنا مع كل من الرباط، تونس، طرابلس و القاهرة، على أنها متواصلة و دائمة ، بالنظر إلي و جودنا بها، و ايضا مختلف المشاكل التي كانت تعترضنا و تعترض في نفس الوقت هذه البلدان .

لقد تضاعفت المساعدات المالية لنا من البلدان العربية، و أصبحت المساعدات المادية لنا من البلدان الاشتراكية الصديقة أكثر أهمية، و تزداد يوما بعد يوم و اصبحت (جبهة . ت . و) قوة حقيقية يحسب لها حسابها ؛ كما أصبحت ثقة المسؤولين و المناضلين المدنيين و العسكريين في أنفسهم ملموسة و حقيقية . و ثقة كل الديمقراطيين بنا عبر العالم هامة و كاملة . فلم يعد النصر النهائي الأ مسألة " ثبات و شجاعة و وفاء للمبادئ و وقت !

- السياسة العامة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية :

لايشير بعض المؤرخين لحرب الجزائر، و لايركزون الأ على النزاعات الداخلية لقادة (جبهة ت. و .) و يؤكدون على الشقاق فمن لا يجد اليوم الأمر تافها إذا ما تعلق باليهود أو العرب الذين يسردون تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي فيبرزون المعارضة القائمة بين رئيس الحكومة الاسرائلية و وزرائها . أو الصراع المحتدم، بين معظم الوزراء . أليست هذه النزاعات إلا تفاصيل بسيطة و تافهة أمام النجاح الذي حققتـه اسرائيل في مشروعها ! و الأمر كمثله ينطبق على (جبهة ت و) .

فكون مسيرة حرب الجزائر قد قلبت الأوضاع في فرنسا ، و انهكت قوى العديد من القادة السياسيين الفرنسيين ، و كونها قد قسمت الأحزاب، قادتها، مناضليها، الجنرلات، الديبلوماسيين، رؤساء الحكومات، و الشعب الفرنسي ذاته ، و كونها قد حطمت الجمهورية الفرنسية الرابعة و العديد من أعمدتها و هيأتها ، و كونها قد زعزعت الجمهورية الفرنسية الخامسة، و أدت بفرنسا إلى حافة الحرب الأهلية، فكل هذا لا يعنى إلا القليل عند هؤلاء المؤرخين !

بيد أن كونها قد أثارت اضطرابات خفيفة و نزاعات و اخطاءفي أوساط (جبهة ت. و .) هذه المنظمة الجديدة و الحديثة النشأة و المولد في خضم هذه العاصفة ذاتها و التي ما تكاد تأخذ شكلا أمام فرنسا، القوة العالمية العاتية (في ذلك الوقت ...) فهذا يذهلهم و يفوق كل ادراكهم و فهمهم بكثير !

كلما زاد تنظيمها صلابة و استمرت الحرب كلما زادت أهمية (الحكومة م. ح. ج.) و ذاع صيتها في الخارج، العدد الهائل من اللاجئين (الذين يفوق المليون على الحدود الجزائرية) الموزعين أساسا - بين مختلف المحتشدات و المراكز طول الحدود التونسية و المغربية، و العدد الضخم أيضا للمبعدين الجزائريين الذين يعملون في المغرب و تونس، الهجرة الجزائرية في فرنسا، العدد المتزايد للطلبة الجزائريين في البلدان العربية، اطارات (الحكومة م. ح. ج .) المبعثرين في كل العواصم العربية، مختلف البعثات في الخارج، الشباب الجزائري الموظف لتكوين جيش قوي و عصري في الحدود ، و الجنود الجزائريين المدمجين بعد فرارهم من الجيش الفرنسي، فكل هذا قد حتم على (الحكومة م ح ج) و ضع ادارة حقيقية ومصالح طبية، بما في ذلك المستشفيات و العيادات و مراكز الراحة، المؤسسات التعليمية، المراكز

الرياضية، و مراكز التكوين المهني، تكوين الاطارات في البلدان الاشتراكية، و حتى الغربية في جميع الميادين القانونية، العلمية و العسكرية .

لقد شكل الجزائريون جالية ضخمة زاد من صعوبة إدارتها كونها مبعثرة و مشتتة في كافة ربوع العالم ، و يتحتم ابقاؤها مهما كانت الاحوال - و فية لثورة التحرير غير غافلة عنها ، فاصبحت هذه الادارة تتثاقل يوما بعد يوم . و تأخذ جل اهتمام و طاقة (الحكومة م ج ج) و من ثمة فلم تبق الأ خطوة و احدة أي قليل للتفكير في أنها كانت تهمل أمور الكفاح بالجبل و الجهد الحربي، و كان تجاوز هذه الخطوة سهلا بقدر ماكانت الحواجز داخل الجزائر عكس ذلك صعبة القهر من الادعاءات السياسية لدوفول . كان خطا "شال و موريس" يحاصران مجاهدينا، و لم يكن سخط المكافحين في الجبل - اذا لم يكن يحد من عزيمة (الحكومة م ج ج) أقل من ذلك و اقعا ملموسا .

أصبحت الأسئلة التي تطرحها (جبهة ت و) على نفسها تزداد حدة يوما بعد يوم، فهي تصبح قوية جدا في الخارج، و كانت تملك الرجال و المال و السلاح و الحلفاء، و لكنها تبدو و كأنها تتفرج على الداخل دون أن تتمكن من التدخل . .

فلمن يرجع الخطأ ياترى ؟ كان عسكريو (الحكومة م ج ج) و الثلاثة الكبار (كريم بلقاسم، بوصوف و بن طوبال) يرون أنهم سيحلون المشكل باقصائهم للسياسيين، و هكذا فقد و ضعوا نهاية (للحكومة م ج ج) الأولى في صمت، مع انشغالهم باخفاء اختلافاتنا أمام العدو، كان هذا الانشغال دائما، مثلما، أشرت إليه سالفا فهو أحد عوامل انتصارنا و نجاحنا .

الفصل الثاني :

- ثاني حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية -

تسليم سلطات (الحكومة م ج ج) الأولى

الى ((الباءات الثلاث))

(بلقاسم كريم ، عبد الحفيظ بوصوف ، لخضر بن طوبال)

في يوليو 1959 ارغمت (الحكومة م ج ج) على تسليم السلطات لهم . فقد تحصلوا هم الثلاثة على تفويض من زملائهم لجمع القادة العسكريين و هذا لأجل تعيين (الحكومة م ج ج) مكلفة باعطاء ثورتنا استراتيجية عسكرية، و سياسية و دبلوماسية جديدة، تلك هي المرة الثانية التي حاول فيها كريم تغيير القيادة كي يتزعمها . فالمرة الأولى كان تغيير (لجنة ت . ت) في سبتمبر 1957 . و الذي تم على اثره اقصاؤنا، بن خدة و أنا، من (لجنة ت ت) .

ومثلما حدث في المرة الأولى، فقد سانده و بكل قوة بوصوف و بن طوبال لأنه لم يكن يستطيع التخلي عنهما، و لكي يدعم حججه، حيث أن دافعه الوحيد - حسب ماقال - هو تدعيم الثورة و ليس السلطة . و من جهتهما فقد فضلا البقاء معه لكي يضعا حدا لأطماعه و لكي يتمكنا - حسب ما أوضحا -

من اجتناب أي نيل من الثورة و يرجع هذا - أيضا - لكونهما لا يستطيعان تركه لوحده يستحوذ على السلطة، و لا يمكنهما التخلي عنه و هو يدافع عن مبدأ الكفاح حتى النهاية .

لقد التقى الثلاثة مع قائدي أركان الحرب للشرق و الغرب اللذين كان محمدي السعيد و بومدين و خمسة عقداء للولايات كانوا موجودين في تونس : حاج لخضر (الولاية الأولى) علي كافي (الولاية الثانية) يازورن المدعى سعيد (الولاية الثالثة) سليمان دحيلس المدعى صادق (الولاية الرابعة) لطفي (الولاية الخامسة) و قد شكلوا مايسمى بلجنة " العشرة " .

اجتماع لجنة « العشرة »

لقد اجتمع « العشرة » لمدة مئة يوم . كانوا يعتبرون أنفسهم أوصياء على الحرب التحريرية، و عازمين على إيجاد و سائل أنجع و أحسن، و طرق و أساليب سامية في القتال، و قيادة أكثر كفاءة .

كان الكفاح متواصلا، و ضربات العدو تزداد ضراوة أكثر فأكثر و الشعب كان يعاني، و يتألم، و يمكن للثورة أن تنهار و تنطفئ .

كان من اللازم أخذ الاحتياط، و لم يكن هناك و قت للتفكير فتم الاجتماع في الحال بدون توقف و تم التطرق لكل المسائل و نُظرت كل الحلول . و لكن الأمر استحال في الخروج بنتيجة ختامية . فالمشكل بقي قائما و كاملا، و في هذه الأثناء كان الثوار بالجبال يواصلون كفاحهم و قتالهم . و الدبلوماسيون تجوالهم و طوافهم في العالم .

في هـذه الأثناء كان الحريق متواصلا في تدميره للجزائر . ففرنسيو الجزائر و قد نال منهم الخوف و القلق، و الغيرة على مصالحهم، و امتيازاتهم أخذوا يفقـدون صوابهـم أكثر فأكثر، فهم لا يعرفون بمن يلوذون . و كانوا يتبعون أول متهور مغامر يـأتي ! المهـم أن يصيح بأعلى ما في صوته « الجزائر

فرنسية » و أثناء هذا كانت عملية « المنظار » jumelles و « الأحجار الكريمة » Pierres précieuses للجنرال شال تغذي أوهامهم . فلا ينظر عسكريو و أوروبيو الجزائر إلا للوقت الحاضر و يفكرون مثل "لا كوست" LACOSTE و "ماسو" MASSU في 1957 . فهم يتخيلون أن قتل و ذبح "العربي" يكفيهم، فهم لا يفهمون شيئا في المسألة السياسية . و كان على ثوارنا بالجبال أن يقاتلوا على كل الجبهات العسكرية منها و السياسية .

وقد بدأ دوقول يتيقن أن الجزائر لا يمكنها أبدا أن تبقى فرنسية . فقد استعمل كل الوسائل بدون جدوى و في الأخير فإن الحرب تكلفه الكثير يوما بعد يوم، و تعوق فرنسا عن لعب دورها الدولي . و في القيام بأي شيء للمستقبل . و قد تتقلص إلى مجرد بلد صغير خاضع تابع، في حين أن ألمانيا التي هزمت و قلصت إلى النصف تأخذ مكانها كقوة عظمى بينما يأتى جزؤها الشرقي في مقدمة البلدان الاشتراكية الشرقية .

بعد هذا رجع الوزراء إلى « عطلهم » و العسكريون إلى اجتماعاتهم و بعد مئة يوم عرف العقداء « العشرة » أنهم يضيعون و قتهم و أنه لم يكن هناك أي مشكل جديد . و أن الأمر الوحيد الذي فرض نفسه دائما هو دعم الثورة و استعجال النصر .

- اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية من 10 /59/12 ، 60/1/20 .

لقد عزموا على جمع (المجلس و ث ج) و في غضون ذلك دعا دوقول في مؤتمره الصحفي في 1959/4/10 ممثلي (جبهة ت و) للمجيء للتحدث مع ممثلي فرنسا في باريس . ماالعمل ؟ لايوجد اتفاق بعد في صفوف قيادة (جبهة ت و) و الحديث يدور حول حكومة مؤقتة جديدة في الأمد القريب .

كيف يرفض هذا العرض للجنرال دوڤول ؟ دون الظهور بمظهر الرفض للمفاوضات في حد ذاتها . و حتى و نحن نعرف أننا غير مستعدين لها البتة . حينئذ اتجه العقداء « العشرة »، و الوزراء، إلى الوزراء الخمسة (المعتقلين بفرنسا) .

فهذه الفكرة ترضي الجميع - أوساط (جبهة ت و) طبعا - و لاخسارة أو مضرة في المحاولة . بل على العكس من ذلك، فهي ربح للوقت . أولا الوزراء الخمسة كاملو الحقوق، و لم ينازعهم بعد أي شخص . و ثانيا سيتم تذكير الرأي العام بهم حتى يستعجل إطلاق سراحهم . و أخيرا فتلك هي الفرصة التي تمكن من ارغامهم هم ذاتهم على اتخاذ موقف من المفاوضات التي ستجرى حتما يوما ما و يتم هكذا تجنب أي خصام لاحق أو مزايدة، و مرة أخرى و باسم (الحكومة م ج ج) مع أنها كانت مفككة تماما تم تفويض المعتقلين الخمسة بـ « إيكس Ile d' Aix » بفرنسا للشروع في مفاوضات محتملة مع الحكومة الفرنسية .

ويرد الجنرال دوڤول، بكل استخفاف و ازدراء بانه لن يتحدث مع أناس هم « خارج حلبة الكفاح » و الرد ليس بالمدهش، بل و له جانب إيجابي : فمن الطبيعي بالنسبة لدوڤول أنه منذ الآن، أصبح ممثلو « التنظيم الخارجي للتمرد الثوري » هم مكافحون يمكن التحدث معهم .

اجتمع المجلس (و ث ج) الجديد من 1959/12/10 - 1960/1/20 ، أنه مجلس (و ت ج) معدل . فكان النتيجة الوحيدة التي توصل اليها العقداء .

استؤنفت المحادثات و دامت - إذن - أربعين يوما ، و قد قرر الـ (المجلس و ث ج) تشكيل حكومة مؤقتة جديدة و دائما لاجل، أو بهدف "ضمان شرعية الثورة" و قد قرر كريم أنه لا يمكن مواصلة توكيل فرحات عباس على

مصير (جبهة ت و) و أنه كان هو المؤهل الكفء لرئاسة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية . بما أنه - حسب الحجة العليا - كان العضو التاريخي الوحيد من اللجنة الثورية للوحدة و العمل الذي لا يزال موجودا . فكل الآخرين قد توفوا أو سجنوا (1) .

وقد عين (المجلس و ث ج) لجنة متكونة من ثلاثة اعضاء هم :

- محمدي السعيد قائد أركان الحرب في الشرق .

- بومدين قائد أركان الحرب في الغرب .

- و أنا نفسي، من أجل تشكيل الحكومة و اقتراح الوزراء و الرئيس، لم يكن كريم يشك في ترقيته إلي الرئاسة، فقد قام بحملة كبيرة لهذا الغرض، و كان أعضاء (المجلس و ث ج) متأكدين بأنه إن لم يعين رئيسا فانه كان سيحدث الانشقاق الذي ستفجره الفضيحة على الساحة العامة . و الذي لم يكن ينتظر العدو غيره ليظفر بالنصر . و لقد ظهر لي هذا و اضحا عندما تباحثت الأمر مع اعضاء (المجلس و ث ج) كل على حدة، فاغلبيته المؤتمرين كانوا يعطون اسم كريم مع أنه كان يبدو جليا أنهم كانوا يفعلون ذلك على مضض . و كان ذلك هو الحل الوحيد المتبقي، فالأمر كان بالنسبة لهم و بكل بساطة، أحسن طريقة للخروج من المأزق .

كانوا يعتقدون أن كريم ليس هو الأجدر و لكنه يكفي أن يكون محاطا جيدا ؛ و حتى عباس فرحات نفسه أعطانا اسم كريم للرئاسة ؛ و مع مرور المحادثات و المشاورات يقنت أن كريم لم يكن يحظى بتأييد الأغلبية التي

---

1) بيطاط، بوضياف في السجن ، ديدوش، بن بولعيد، بن مهيدي، زيغود، استشهدوا .

رشحته مع ذلك للرئاسة و بدا بالأحرى أنه قد فُرِضَ . كان هناك نوع من المجهول أو الغموض يحوم حولنا . فلم يكن هناك أي حماس . كما كان قلق حقيقي يقرأ على الأوجه . فالناس كانوا خائفين من ألا يكون كريم أهلا للوظيفة الرئاسية، وأن يكونوا سيئ التمثيل .

وقد نقل إلى بومدين أن بن طوبال كان يبكي عندما رفض قبول و زارة الداخلية التي اقترحنا عليه الاحتفاظ بها، فلم يكن يريد و باي ثمن أن يبقى و زيرا تحت رئاسة كريم، الرئاسة التي لم يكن شك فيها، كان متأكدا أننا كنا نسير نحو الكارثة .

باختصار، فالكل كان متأكدا، و حتى خارج (المجلس و ث ج) الى حد أن مجلة تصدر بالقاهرة « آخر ساعة » قد أذاعت الخبر قبل حتى تشكيل الحكومة .

اشعرت بن خدة بحيرتي و أخطرته بأني كنت سأستدعي لجنة الاستشارة أولا، أي بمعنى آخر قائدي أركان الحرب، و أقترح عباس فرحات بعد ذلك للرئاسة ، فكان الوحيد الذي اخبرته و كان يشاطرني الرأي تماما ، فعباس لم يكن يهمنا - أبدا - أكثر من كريم كرئيس، فهو سيد لطيف للغاية ، و لكنه لم يكن يفرض هذا اللطف - أبدا - على كل « الأسود » التي ترأسها و التي كان سيترأسها من جديد و لكننا لم نهمل - أبدا - المفاوضات التي كنا سنصل اليها حتما يوما . و كنا نعتقد - لجهلنا - أن رئيس (الحكومة المؤقتة) هو الذي سيقابل في آخر الأمر الجنرال دوقول .

والحال أنه لا يوجد أحسن من عباس للتحادث مع دوقول . فلا يوجد أي و جه للمقارنة الجدية بينه و بين كريم .و لكي تكون أقرب من الحقيقة فأنا أيضا لم أكن أرى كريم رئيسا . و فضلا عن ذلك باقتراح مني بعد الغموض

الذي احاط موت عبان رمضان، و الذي لم يكن يبدو فيه كريم بريئا ذلك كان أمرا غير عادل، فلم نكن نعرف و لن نعرف أبدا كيف تمت محاكمة و ادانة عبان من طرف رفقائه .

قلت مخاطبا محمدي السعيد و بومدين : « أصغيا إلي ! لقد منحني المجلس (و . ث . ج) ثقته، و لا أظن أنّه فعل ذلك لكي نقوم بتعداد مختلف الأصوات فقط . فقد كان بامكانه أن يكلف أي شخص بهذه المهمة . إنه و قبل كل شيئ يثق في حكمنا . و يضع مصير كفاحنا رهن قراراتنا . و ربما حتى مصير الحرب ذاتها . فلنبدأ بالمعتقلين الخمسة في « أونوي AUNOY » لقد اشترط كريم أن نعين بوضياف كنائب رئيس، فليكن - إذن - بوضياف نائب رئيس في نفس المنصب الذي كان قد سبق لابن بلة أن شغله في الحكومة السابقة . أما الثلاثة الاخرون محمد خيضر، ايت أحمد، و رابح بيطاط، فهم و زراء دولة . هنا أبدي لكما اقتراحا، يجب علينا أن نعين و زير دولة يعمل حاليا - مقدما العديد من الحجج - و انتهيت إلى سؤال محمدي السعيد، ان كان يقبل أن يكون هذا الوزير، و بومدين ان لم يكن له أي اعتراض . فقد كنت أعلم أن محمدي السعيد كان يتحمل مسؤوليات كبيرة في قيادة الجبهة التونسية و أن أهون مشاكله ليست في عصيان بعض الضباط المقربين جدا للوزراء و على و جه الخصوص كريم و زير الحرب و بوصوف و زير الاتصالات و المخابرات ، كان سيرتاح من كل مشاكله و لكنني لم أكن أرى حينها أنني كنت أخدم لعبة بومدين الذي لم يبد - بطبيعة الحال - أي اعتراض ، و الذي لم أكن أضمر له أي عداء، و قد اتفقنا على اقتراح عباس كرئيس و ابقاء كريم في منصب نائب الرئيس مع اعطائه و زارة الشؤون

الخـارجيـة . و لقيادة الحرب اقترحت لجنة و زارية مكونة من (الباءات الثـــلاث)(1) وبعد أن اتفقت اللجنة تماما قدمنا تقريرا، و ادلينا باقتراحاتنا و (المجلس و ث ج) و كان أكثر الناس اندهاشا عباس فرحات و كريم بلقاسم . فبينما كان الأول صامتا يتشفى و ينبسط بالخبر في قرارة نفسه غير مصدق لما سمعته أذناه « لقد عانى الويلات من كريم كل الشهور الماضية، و رغم أنني كنت أعتقد أنه كان يحبذ التخلص من هذه المتاعب فانه لم يكن مستآءا أبدا من ثأره . و أما الثاني فقد كان رد فعله عنيفا . و قد حضر المؤتمرون كمشاهدين حقيقيين لصراع ثنائي (كريم - دحلب) و الذي دام يومين اذا ما كنت اتذكر جيدا . لقد اعتقد كريم أنه يستطيع العثور في اقتراحات لجنتنا على كل ما يمكنه من جلدي بتوجيه إنتقادات مريرة فقد صاح كريم بكل شدة : كيف يتم إلغاء و زارة الحرب و نحن في أوج ذروتنا من الحرب ! ؟ و أجبته « و لكن ! آسف ! ياعزيزي ! فالأمر لا يستوجب النرفزة . فنحن لا نلغي و زارة الحرب . فهذه الفكرة الحمقاء بعيدة عن ذهني و لولا ذلك لكان لك كامل الحق فيما قلت ! إن مانقترحه هو و زارة متميزة للحرب من لا يدرك ما ينهك كواهلها العبء الثقيل و الجهد الخارق الذي يجب بذله لقيادة هذه الحرب . و لن تكفينا أبدا الجهود الموحدة للوزارات الثلاث ... فلنتذكر أن كريم، بن طوبال و بوصوف هم القادة القدماء الثلاثة للولايات (الثالثة، الثانية، و الخامسة) فمن يستطيع انكار تجربتهم في الكفاح بالجبل ؟ هم الثلاثة ... و زيادة على ذلك أليست هذه أنجع و سيلة و أضمنها لكي نقسم بعدل الأسلحة و الرجال و الاموال بين مختلف الولايات ؟ أليست كذلك أحسن و سيلة لإرضاء مجاهدينا و بعث الطمأنينة و الثقة في صفوفهم . و اجتناب و قوع أي سوء تفاهم و تفنيد

1) بن طوبال ، بوصوف ، بلقاسم كريم .

الإدعاءات الفرنسية التي تحاول زرع الشكوك و الشبهات بهمسها أن تلك الولاية مفضلة بالنسبة لتلك الولاية الأخرى الخ ... و يواصل كريم كلامه :« و لكنك على خطأ » فأنا لست مستعدا للدبلوماسية، أنا ... و أنا لست هذا و لست ذاك ...»

فأجبته : « إنني أفهمك، و لكن ما المعنى الذي تعطيه للدبلوماسية في دبلوماسيتنا، إي الأمر يتعلق فقط بطلب المساعدة من أصدقائنا و التعريف بقضيتنا و الحصول على تعاطف جديد معنا . و دحض الأطروحة الفرنسية « الجزائر فرنسية » فلا تقل لي أنك لا تعرف التحدث عن هذا . أو أنك لا تعرف إلا استعمال البندقية . ففي خدمة الوطن نحن مستعدون للقيام بأي عمل كان و يجب علينا أن نكون حاضرين في كل ميادين و ساحات القتال . فلا ينبغي أن تخيفنا المعركة السياسية »

وكريم الوطني المخلص، المعتز و الحريص دوما على ألا يظهر متراجعا أمام القيام بالواجب، انتهى بالقبول مشترطا شرطا و احدا في ابتسامة حقيقية و لكنها صارمة « أنني أقبل مادام هذا و اجبا، و لكنني أشترط أن يكون سعد دحلب مساعدي في الشوون الخارجية » و قد قبلت فورا بدون مناقشة . فالرفض كان يعني تحطيم كل حججي، لأنه ما كان صحيحا عند كريم يجب أن يكون صحيحا عندي أيضا . كان الأمر كذلك بالنسبة لي ثأرا، و دليلا على أننا بن خدة و أنا ليس لدينا ما نلوم انفسنا عليه عندما عزلنا من (لجنة ت ت) في سنة 1957 لأسباب تافهة . فكريم نفسه الذي ألح منذ زمن على ذهابنا يشترط اليوم أن أكون بجانبه . (و هكذا أصبحت أمينا عاما للشؤون الخارجية) .

وعلى عكس ماينقله بعض المؤلفين الذين يشبهون (المجلس و ث ج) بمجلس نواب عاد، أين يقتصر الأمر على ضمان مناصب جيدة، فالمسؤولية في (جبهة ت و) تحتوي بصفة خاصة على العديد من المخاطر . و أنني كنت أفضل حقيقة الأ أستفيد - أبدا - من الامتيازات التي يبدو أن البعض يحسدنا أو يلومناعليها . فالغاية المثلى و الحماسة و حدهما كانتا يقودانّنا في شبابنا على الرغم من المخاطر الدائمة التي كنا نعايشها، يوميا، و الواجب و ارادة الكفاح و حدهما دفعانا في بعض الاحيان إلى مناصب المسؤولية . و عليه كم هو عدد أولئك الذين يتصورون مدى القلق و الالام و حتى في بعض الاحيان الخوف و الهلع الذي كنا نعيشه ! ؟

لقد جمعت ما يكفي من الاصوات أثناء المحادثات مع (المجلس و ث ج) لكي أكون و زيرا ؛ و يمكن لمحمدي السعيد أن يشهد لي بذلك، و لكنني لم أكن متحمسا للأمر، كنت أرى أنه من الحماقة أن أقترح نفسي أنا بنفسي، و قد كلفني رفيقاي محمدي السعيد و بومدين بتقديم التقرير و الاقتراحات للمجلس (و ث ج) .

تشكيلة ثاني حكومة (م ج ج) 60/6/18 - 1961/8 .

لقد كانت ثاني (الحكومة م ج ج) مشكلة من :

- عباس فرحات — *رئيس .*
- كريم بلقاسم — *نائب الرئيس و وزير الشؤون الخارجية .*
- بن بلة — *نائب الرئيس .*
- بوضياف — *نائب الرئيس .*

- بن طوبال وزير الداخلية .

- بوصوف وزير الاتصالات و المخابرات .

- أحمد فرنسيس وزير المالية .

- مهري و زير الشؤون الاجتماعية .

- يزيد وزير الاعلام .

- محمدي السعيد و زير دولة .

- خيضر وزير دولة .

- آيت أحمد وزير دولة .

- رابح بيطاط وزير دولة .

كان الثلاثة الأخرون، مع بن بلة و بوضياف، لازالوا رهن الإعتقال بفرنسا . فقد عهدت و زارة الحرب ألى لجنة و زارية مكونة من الثلاثة : (كريم بلقاسم بوصوف، بن طوبال) و بدلا من أن يكون هناك مجلسان للاركان الحربية للشرق و الغرب فقد تم إنشاء مجلس عام للأركان تحت القيادة الوحيدة لبومدين الذي كان له مساعدان، هما الرائدان سليمان (قائد أحمد) و منجلي .

هكذا كنا نعتقد أن جيش التحرير الوطني سيصبح تحت قيادة موحدة، و بالتالي أكثر إنسجاما و فعالية سواء في الداخل أو في الخارج .

لم توجد صعوبات الاتصال إلا في أرضية الواقع . و لم يكن المجلس العام للأركان يقود غير جيش الحدود . و لكن الجهد الذي بذل سهّل بعد الاستقلال انضمام كل القوات العسكرية في صفوف الجيش الوطني الشعبي، تحت القيادة الوحيدة التي كان بومدين قد اعتاد تروضيها من قبل . و وجدت اللجنة الوزارية

أيضا نفسها منزوعة السلطة، عن الشؤون العسكرية التابعة للمجلس العام لأركان الحرب . و قد بدأ نفوذ (الباءات الثلاث) يتقلص ابتداء من تلك الفترة . و منذئذ أصبح بومدين المتمكن من الرجال و الاسلحة - لم يكن في إمكان الحكومة (م ج ج) في أي حال من الأحوال، أن تمنع الأموال و الوسائل عن جيشنا - ينأى متحفظا من الحكومة (م ج ج)، لقد كان يفكر مسبقا في الخلافة بعد الاستقلال ، الشيء الذي أقرته الأحداث بعد ذلك، و لعدم تمكنه من القيام بالحـرب قد شرع بومدين مع مجموعة من ضباطه الشباب المشكلة من بوتفليقة و مدغري و شريف بلقاسم، و المدعمة بالرائدين سليمان، و منجلي في العمل السياسي، ظنا منهم بأنهم قد استوعبوا النظريات التي لقنهم إياها الدكتور فرانـس فانون على عجل و بغموض أثناء السهرات الطويلة على الحدود ، فقد و جدوا في أنفسهـم أهلـية لوضـع النظريـات الاشتراكية سواء كانت علمية أو حقيقية أو نوعية، حسب إيحاء الظرف الآني . فهم أول من كان و راء فكرة (المكتب السياسي) التي استعادها و أقرها بن بلة فيما بعد في طرابلس .

تمرد المتطرفين الأوروبيين في الجزائر 1960/1/24 .

لم تحسن الانتصارات العسكرية للجنرال شال في الميدان شيئا من الوضعية الفرنسية في الجزائر . زد على ذلك أننا لم نزعم أبدا هزم الجيش الفرنسي بل تقليص جهوده إلى أدنى حد ممكن، و منعه من العمل و مناوشته و تشتيته عبر كامل التراب الوطني، و سنتمكن من ذلك دائما .

إن جيشنا بالحدود يشل حركة العديد من الفرق العسكرية الفرنسية و هذا يكلف الكثير . و يجب على دوقول أن يعي ذلك . و لكن المتطرفين من الفرنسيين لا يرون ذلك من نفس الزاوية . و بالاضافة إلى ذلك فهم يحاولون

تقريب المسلمين من الفرنسيين في الجزائر، و كلما أبعدهم هؤلاء الأواخر كلما ازداد تهديدهم لنظام دوقول نفسه .

و كلما ضربوا العرب كلما زادوا في تلاحم صفوفنا .

في 1958/5/13 أطاحوا بالجمهورية الرابعة ، و مكنوا دوقول من استرجاع السلطة كي يصبح رجلهم . و لكن هذا الأخير يريد أن يصبح رجل فرنسا و المدافع عن مصالحها، و هو الشيء الذي لا يفهمه لا المعمرون و لا أصحاب العنف الفرنسيون .

وهكذا فهؤلاء الأواخر يريدون الإطاحة به هو كذلك، لأنه يعرض محادثات على (جبهة ت و) في 59/11/10 المحادثات التي لم تبعث على أي ارتياح من طرفنا و إذا بالفتنة و الاثارة تعمّان مدينة الجزائر من جديد .

من أجل إرضاء المعجبين و المعجبات به من رواد الحانات، و أرتيز ORTIZ و مساعديه، و من أجل قوته بانتصاراته على سكان المدنيين العرب العزل، لم يعد الجنرال MASSU ماسو يتضايق فبدأ يجرب السياسة . و على اثر حديث صحفي له قام به بانتقاد سياسة دوقول تم استدعاؤه فورا الى باريس في 1960/1/20، حيث أشعره دوقول بأنه قد نقل إلى فرنسا . و عليه الأ يعود إلى الجزائر . و حتى إنه ليس في حاجة إلى ذلك لإعداد حقائبه، فزوجته ستتكلف بالمهمة، و سوف تلتحق به و عندما علم مناهض الارهاب "أورتيز" بذلك استغل الفرصة فقامت الجبهة الوطنية الفرنسي (F.N.F) مع " لاقايار" Lagaillarde و طلبته المخلصين المدعمين بقوة من طرف الكولونال أرقو Argoud، و قاردس Gardes و أخرون أمثال بروازا BROIZAT و الجنرال فور قائد منطقة القبائل، بتأليب أروبيي الجزائر، و شن إضراب عام في 1960/1/22 .

و قد أخذت هذه الحركة ابعادا كبيرة، و تحول الإضراب إلى عصيان، و في 24 من نفس الشهر قام المتظاهرون الثائرون بنصب الحواجز و الموانع، و اعتصم لاقايارد، و رجاله المدججون بالاسلحة داخل الجامعات كما أن المئات من الجنود لحماية القطر كانوا في عداد مجموعات أورتيز .

لقد غض الطرف المظليون من الجيش المكلفون بحفظ الأمن الطرق لأن المتظاهرين لم يكونوا عربا، و قد كان العصاة أول من أطلق النار على الدركيين المكلفين بحماية الولاية العامة . فكانت هناك خسائر فادحة في صفوف مصالح الأمن . و لكن الجنرال دوڤول و قف و قفة صارمة . و نفذت كل أوامره، حيث تمكن ديلوفريي DELOUVRIER المندوب العام، و شال CHALLE القائد الأعلى للجيش، من إقرار الأمن، و في 1960/2/1 انتهى العصيان و حطمت كل الحواجز و الموانع في الجزائر العاصمة .

لقد كان في امكان الجنرال دوڤول، و لفترة معينة مواصلة سياسته و محاولة تجزئة (جبهة ت و) و بعث الشقاق في صفوفها مع مواصلة الحرب بطبيعة الحال، حتى أنه استقبل بنفسه قادة الولاية « الرابعة » في اطار « سلم الشجعان » . لقد كان متأكدا - و قد أقر ذلك برنار تريكو Bernard Tricot بنفسه، و هو أحد أكفاء مستشاريه - انه يكفي أن يراه كل من صالح و محمد، و لخضر، من الولاية الرابعة ، حتى يرتموا أمام أرجله طالبين العفو و المغفرة، و للاسف ! لم يفعل السحر فعله . و منذ عودتهم تحطم كل هيكل المؤآمرة الصغيرة ، رغم أن الذي كان و راء المؤامرة هو دوڤول نفسه ، و قد أراد دوڤول من جهة أخرى اغراء الحكومة (م ج ج) و جذبها ، ففي 1960/6/14 في خطاب هام له تكلم الجنرال دوڤول عن المواطنة الواحدة و سلم الشجعان و حق تقرير المصير و الاستفتاء الحر، و عن اختيار الشعب الجزائري الذي سوف يحترم و اقترح لقاء مع ممثلي التنظيم الخارجي للثورة لأجل « التوصل إلي نهاية مشرفة للمعارك، التي لا تزال ناشبة هنا و هناك . و الاتفاق على مصير

الأسلحة، ر ضمان مستقبل، « أو مآل الثوار » إنه مرة أخرى الرجل كرب الدار في الجزائر الذي يتكلم و هو مفعم بالأبوية، و حريص على عدم المساس بكرامة الثوار (النهاية المشرفة للمعارك) . لم يكن يعرف دوڤول أن قصة صالح كان ستتبخر . لم تكن (الحكومة م ج ج) من جهتها تعلم شيئا عن كل تدابيره و مؤامراته ، و من المفارقة فقد كان هذا الشيء الذي منعها من أن تضل طريقها . لاأعرف كيف سيكون رد فعل كريم و عباس، و قائد الأركان العامة الذين كانوا على معرفة جيدة بما يحدث في تونس في صفوف (الحكومة م ج ج) و لكن لم يكونوا يعرفون شيئا عما كان يدبر في الولاية الرابعة .

فقد كانت حقا ثقة الحكومة (م ج ج) في كل المكافحين بالجبال و التي لم يحدث أي شيء لزعزعتها خير مرشد و دليل . و هكذا و في 1960/6/20 قبلت الحكومة (م ج ج) الذهاب إلى مدينة مولان MELUN بفرنسا بهدف التحدث عن تنظيم رحلة فرحات عباس إلي باريس .

محادثات و اخفاق مولان بفرنسا (MELUN)

وصل في 1960/6/25 كل من بومنجل و بن يحي، كلاهما عضو في المجلس (و ث ج) و مرفوقان بكاتب الشقرة السيد حقيقي، إلى باريس و تم نقلهم مباشرة بطائرة مروحية الى عمالة مولان . لم يكن لهم أي اتصال مع الصحافة أو أية زيارة، فقد بقي ممثلونا و لمدة أربعة أيام معزولين تماما . و قد تبادلوا الأراء مع المندوبين الفرنسيين، الوالي روجي موريس Roger Moris، الكاتب العام للشؤون الجزائرية، و الجنرال ڤاستيناس Gastines، و قد تمسك المندوبان الفرنسيان بخطة دوڤول - بطبيعة الحال - حيث كان هناك رفض قاطع في التحدث عن أمور أخرى غير و ضع السلاح و مصير المقاتلين . فلم يكن لمندوبينا

الشيء الكثير لقوله . إن و جهة نظرنا لا تتغير :

أولا الشروط السياسية و العسكرية لوقف اطلاق النار، ثم ضمانات الاختيار الحر . و كان الحال حوار الطرشان !

وفي 1960/6/29 انتهى هذا اللقاء الفرنسي الجزائري، الأول من نوعه بالاخفاق التام . ربما كان دوڤول يعتقد في التفكك القريب لجبهات القتال بالجبال، و يتلذذ مسبقا بالمؤامرة التي كان سيدبرها لفرحات عباس و هؤلاء المتغطرسين « ثائري التنظيم الخارجي » .

في 1960/7/5 ، حذر فرحات عباس الشعب الجزائري من أن ينخدع و أن الحرب لازالت قائمة (الملحق 6) و خصوصا على المستوى الديبلوماسي حيث كانت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تسجل النقاط الواحدة تلو الأخرى .

ففي منظمة الأمم المتحدة (م ا م) استطاع و فدنا برئاسة عبد القادر شندرلي من أن يحرز لنفسه على مكانة كبيرة، ضمن المجموعة الأفرو أسيوية . فهو يتمتع بحظو و تأثير كبيرين و يحضر كل الاجتماعات و المناقشات و منذ خطاب كندي عضو مجلس الشيوخ الأمريكي في 1957 أصبحنا نستطيع المدخل الى كل الاوساط الأمريكية .

أصبح الفرنسيون أكثر فأكثر في عزلة، فقد استقبل "خروتشاف" رئيس الحكومة السوفياتية الموجود في نيويورك رسميا و فدنا برئاسة كريم، رغم أن حكومته لم تكن تعترف بـ (الحكومة م ج ج) .

فقد كان هذا فوزاً ديبلوماسيا كبيرا كان له صدى عالمي معتبر جدا !

أصبحت حركة المتطرفين المتصلبين الفرنسيين تزداد قوة و استفحالا في الجزائر حيث كان على دوڤول أن يحافظ على سياسته بقمع الفرنسيين أنفسهم في بعض الأحيان . و قد تجمع هؤلاء بعد اخفاق « سياسة الحواجز » في حركة جـديـدة كانوا يضمون لها الآلاف الجزائريين تحت رئاسة الباش آغا بوعلام الذي و عد له بمستقبل زاهر !

لقد حُلت في الجزائر حركة الجبهة من أجل الجزائر الفرنسية (FAF) محل الجبهة الوطنية الشعبية لـ "أورتيز" (FNP) الذي لجأ إلى جزر الباليار بينما كان لاڤايار، معتقلا في فرنسا .

في 1960/11/4 إنه خطاب جديد لجنرال دوڤول الذي يعلن أن « الجزائر سوف تكون لها قوانينها الخاصة » . سوف تقوم الجمهورية الجزائرية يوما ما . مع أنها لم تكن موجودة أبدا .إن موقف دوڤول .، كما نلاحظ، أصبح يتطور دون انقطاع . مشكلتنا هي الصمود حتى النهاية دون التضحية بأي جزء من قضيتنا الأساسية .

تظاهر أوروبيو الجزائر بعنف شديد ضد دوڤول و قد زاد من سخطهم و غيظهم كونهم قد طُمئنوا بأن (جبهة ت و) قد هُزمت، بينما كانت هذه الأخيرة تـستـأنـف الكفـاح حتـى فـي المـدن، و قد أصبحت أقوى مما كانت عليه من ذي قـبـل .

مظاهرات السكان المسلمين في 11 ديسمبر 1960 بالجزائر .

وهكذا و إذا بمظاهرات السكان المسلمين تتصدر الاحداث في ديسمبر 1960 لا يهـــم جذور هـــذه المظاهـــرات، فغالبا ما قال الناس أن الديغوليين هم الذين "حركوها"

لقد كان الجزائريون مخلصين بصفة صريحة لفكرة الاستقلال، و لولا ذلك لما خرجوا بصدورهم العارية صوب الدبابات و أقبلوا على الحراب الموجهة نحوهم . فقد كان محتما على ايمانهم أن يكون أكبر و أقوى من خوفهم، فمن قدم لهم تلك الاعداد الهائلة من الاعلام الجزائرية ؟ لا ! ففضل دڤول ليس في أنه قد سهل الأمور، بل و على العكس من ذلك فانه لم يعط أي شيء .

ان فضل دوڤول يرجع إلى أنه قد يقن أن استقلال الجزائر كان أمرا حتميا و بالتالي عمل عليه . و أول من يجب أن يعترف له بهذا الفضل هم الفرنسيون ذاتهم . لأنه و قبل كل شيء كان يفكر في فرنسا . لقد كانت حصيلة التظاهرات السكان المسلمين في ديسمبر 1960، 112 قتيلا و مئات الجرحى .

وقبل 10 أشهر من ذلك كان الاروبيون المتمردون قد اطلقوا النار على رجال الدرك و قتلوا منهم عددا لابأس به، و اما عن القتلى في صفوفهم فقد قتلهم رجال الدرك الذين كانوا يدافعون عن أنفسهم بينما الجيش لم يحرك ساكنا . و هنا دليل جديد يظهر بكل جلاء أن الشعب الجزائري كان مع الاستقلال، و أن القمع لا يجدي، و أن التآخي مع المتطرفين المتعصبين الفرنسيين ULTRAS كان و هما . و أن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الوحيد الأحد للشعب الجزائري . و هذا ما عبرنا عنه في منظمة الأمم المتحدة، و هذا ما فهمته - أيضا - و اقتنعت به هذه الأخيرة، عندما صوتت في دورة ديسمبر 1960 على القرار الأفرو - الأسياوي المعترف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره . و الاستقلال مع الضمانات اللازمة على أسس و حدة الشعب و وحدة التراب الوطني .

كلما لاحت حتمية الاستقلال في الافق كلما ازداد ذعر أروبيي الجزائر و ازداد في المقابل اتحاد الشعب الجزائري و تضامنه كالبنيان المرصوص . فبعد

استفتاء ۸ يناير 1961 بفرنسا، و « النعم الضخم » الذي أحرز عليه دقول إلتحقت كل نزاعات « الجزائر الفرنسية » بالمنظمة المسلحة السرية (م م س
(OAS

بالنسبة لنا كانت مهمتنا في الخارج و اضحة، حملة دعائية دائمة لدى كل البلدان للحصول على و دها و أصواتها في منظمة الأمم المتحدة، و حملة هجومية على الرأى العام الفرنسي و الدولي لأجل الشروع في المفاوضات الفرنسية الجزائرية .

الاتصالات السرية الأولى في سويسرا (1961/2/20)

منذ اخفاق مولان الذي نعزوه بإلحاح إلي صلابة و عناد دوقول، لم نرفض أي اتصال و ضاعفنا من تصريحاتنابصفة خصوصية لكل أولئك الذين كانوا يدعون أنفسهم و سطاء، أو مبعوثين خصوصين من السلطات الفرنسية أو أصدقاء لدوقول أو دعاة سلام اي استثناء، بل و حتى أولئك الذين كانوا يظهرون جليا بانهم مجرد « انتهازيين »

لقد استقبل الرئيس عباس العشرات من الرجال أصحاب النوايا الحسنة، أو المبعوثين من طرف دوقول، و كان لكل و زير جزائري نصيبه السري من التصريحات و المبعوثين الخصوصيين، و قد التقيت أنا نفسي بالسيد شايات CHAYET، و هو ديبلوماسي فرنسي . و أعد لنا السيد "بول تنتان" ALBERT PAUL LENTIN لقاء في جنيف، فقد التقينا في شارع على مقربة من نزل انجليترا و سألني السيد / شايات عن المكان الذي يمكننا التحدث فيه فقلت له بكل بساطة : "في هذا النزل، فاحسن و سيلة للاختفاء هو أن نختلط مع الناس، يمكننا شرب كأس في البهو، هيا بنا ."

وأظن أنه لم يلمحنا أي شخص بصفة خاصة في نزل انجليترا . كنت أريد على و جه الخصوص معرفة مدى أهتمامهم بمفاوضاتنا المحتملة، من جهتي طمأنته على أننا كنا أصحاب نوايا حسنة و تفاهم و أنني متأكد - بطبيعة الحال - بأننا سنصل إلى اتفاق معهم.

ولكن الاتصالات الأكثر أهمية و جدية، و التي انتهت إلي جمع الجزائريين و الفرنسيين إلى طاولة المفاوضات هي الاتصالات التي دبرها أصدقاؤنا السويسريون من المديرية السياسية للكوفديرالية، حيث أن السيد / نيكولي NICOLET من نقابة المحامين بجنيف و السيد لوليف LALIVE الأمين العام « للجمعية العالمية لرجال القانون » قد اتصلا بتكليف من الكوفديرالية بالسيد بولحروف ممثل (الحكومة م ج ج) بروما، ليطلب من حكومتنا التدخل لدى السيد / سيكو توري رئيس الحكومة الغانية لأجل إطلاق سراح راعية سويسري كان معتقلا في كوناكري . و قد انتهى سيكو توري إلى إطلاق سراح المعتقل السويسري بفضل مساعي (الحكومة م ج ج) و قد دعم هذا الحدث مصداقيتنا لدى السويسرين و أقام بيننا روابط جدية، و أدت تبادلات الآراء حول قضيتنا بين الشخصيات السويسرية و ممثلينا و على و جه الخصوص السيد بولحروف إلى لقاء هذا الأخير بالسيد / أوليفيى لونف OLIVIER LONG المسؤول عن المديرية السياسية للحكومة السويسرية .

لقد أعلمنا السيد /أوليفي لونف صديق السيد / جوكص JOXE أنه مستعد لتسهيل الاتصالات السرية أو العلنية فوق تراب بلاده، و بطبيعة الحال كان قد أعطى نفس الضمانات للحكومة الفرنسية، و هكذا كانت أول الاتصالات السرية في سويسرا .

ففي 20 فبراير 1961 التقى السيد / جورج بومبيدو GEORGES POMPIDOU ممثل الجنرال دوقول بالسادة بومنجل، و بولحروف ممثلي (الحكومة م ج ج)، بلوزرن LUZERNE و قد التقوا مرة أخرى في نوفشاتل NEUFCHATEL في 1961/3/5 .

كنت في تلك الفترة في جونيف في عطلة مرضية أتابع عن بعد المحادثات السرية، و كنت التقى في بعض الاحيان مع بولحروف الذي كنت على صلة جيدة به حيث كنا دائما من نفس العائلة السياسية فمتحررين من كل طموحات شخصية كنا نتبادل أراءنا و وجهات نظرنا بكل حرية دون الاهتمام برضاء أو عدم رضاء أي كان . فهمنا الوحيد هو أن " نساعد بعضنا بعضا " للخروج مما نحن فيه . و قد استغللت منصبي كأمين عام لوزارة الشؤون الخارجية و عضو في المجلس الوطني للثورة الجزائرية فشرحت في حديث صحفي لي في 1961/3/12 - دون استشارة حكومتي - و لكن على ثقة تامة بأن كنت و فيا بمبادئها الأساسية - مع السيد / المحامي بيار ستيب STIBBE من " فرانس أوبسرفاتور "، الكيفية التي كنا سنقبل بها على المفاوضات، السيد/ ستيب كان صديقا قديما لحركتنا الوطنية، و قد دافع منذ ماقبل 1954 عن مناضلى (الحركة ا ح د)، و قد ظل حتى و فاته صديقا مخلصا للجزائر، كان علي أن أجيبه بدقة، و مع ذلك فقد صرحت له « نحن و اقعيون و نعرف أن تحديد فترة زمنية بين و قف إطلاق النار و الاستفتاء حول حرية تقرير المصير سوف يكون أحد أهداف مفاوضاتنا .

فيما يخص جيش التحرير الوطني لايقبل أن يكون أعزل من سلاحه، و لكنه يجب عليه على العكس من ذلك أن يكون له و جود شرعي . يمكن لأستغلال

الصحراء أن يكون مبدأ أساسيا في المفاوضات، غير أن سيادة الجزائر على الصحراء تبقى فوق كل نقاش . و أن احترام و حدة التراب الجزائري يبقى بالنسبة لنا شرطا لا محيد عنه »

لقاء ايفيان في 1961/5/20 .

تم في 1961/3/30 نشر بلاغين رسميين في كل من باريس و تونس يعلنان عن الشروع في المحادثات الجزائرية الفرنسية في ايفيان يوم 1961/4/7 . و في نفس اليوم و الأوان أعلن السيد/ جوكص Joxe الوزير المكلف بالجزائر في حديث صحفي بوهران أنه لن يتحدث مع (جبهة ت و) فقط بل و مع الحركة الوطنية الجزائرية كذلك .

كانت المحاولة كبيرة جدا ، فال (الحركة و ج) كانت قد اختفت تماما كحزب منظم فماذا كان يعنى موقف جوكص هذا ؟ هل كان يظن أن (جبهة ت و) كانت ترغب في المفاوضات الى حد أنها لن تتخلى عن اللقاء المبرمج في 7 أفريل ، و زيادة على ذلك أنها قد أعلنت عنه ؟ هل كان يريد إرضاء الإوساط الفرنسية التي كانت ترفض أن تكون (جبهة ت و) الممثل الوحيد للجزائريين ! إلا إذا كان اغتيال السيد/ كاميل بلان CAMILLE BLANC رئيس بلدية ايفيان هو الذي جعله يفكر هكذا ؟

ولكن هذا الأمر مستحيل و ليس من طبع الجنرال دوڤول، دون الوضع في الاعتبار أن المتطرفين المتصلبين الفرنسيين لا يريدون سماع أي شيء عن (جبهة ت و) فناهيك عن (الحركة و ج) .

وعلى أي حال فقد ظهر لنا هذا كتغيير في الموقف من طرف الحكومة الفرنسية لانه لم يكن أبدا في استطاعة السيد/ جوكص أن يسمح لنفسه باعادة النظر في روح اتفاقياتنا السرية دون إذن من الجنرال دوڤول .

لم يكن محددا في اتفاقياتنا أن المفاوضات ستكون معنا فقط، و لكننا شددنا في إخطارنا السيد/ بومبيدو POMPIDOU و كل الممثلين الفرنسيين الآخرين بأن (جبهة ت و) هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري . و في 1961/3/31 أعلنت الحكومة(م ج ج) على رفضها للقاء الحكومة الفرنسية طالما لم تعرف هذه لجبهة التحرير الوطني بأنها المخاطب الوحيد المقبول .

هكذا فقد انقذنا كالعادة و فاءنا لمبادئنا، حيث إننا علمنا فيما بعد - و نعترف به بعد و قف إطلاق النار فقط - أن (الحركة و ج) لم تكن إلا جبهة العمل من أجل الجزائر الديمقراطية (ح ع ح د) أي أنها التنظيم الذي انشأته مصالح المخابرات الفرنسية « سيداك » . S.D.E.C.E

وهكذا فقد أرادت الحكومة الفرنسية أن تصيب هدفين بحجر و احد من جهة اتهام القضاء سياسيا عن مصالي أمام آخر مجموعة من المناضلين القدامى الذين لم يقطعوا الأمل فيه - حيث أعلنت (ج ع ج د ؛ عن طاعتها المصالية المطلقة - ومن جهة أخرى وضع جبهة التحرير الوطني في محل سخرية أي أنها كانت ستجد نفسها على نفس قدم المساواة مع أصحاب المخابرات و الصعاليك و رجال المصالح الخاصة الفرنسية، الذين تم تجنيدهم بفضل المساومات التي قامت بها مصلحة المساعدة الفنية للفرنسيين المسلمين بالجزائر (م م ف و م ج) - بباريس .

وقد علمنا أيضا فيما بعد أن هذا التنظيم التابع " للسداك " كان يغتال مسؤولي (جبهة ت و) الذين كانوا (مسجلين عند مصالح الشرطة تحت غطاء تصفية الحسابات بين (جبهة ت و) و (الحركة و ج) .

لم تكن الحكومة (م . ج . ج) تنوي و قف القتال في الفترة التي كانت تستعد فيها للقاء المفاوضين الفرنسيين، بل على العكس . كان من الواجب،

و بالتوازي مع ذلك تصعيد القتال حتى تتمكن من أن تكون في موقع قوة في المفاوضات ، فبعد تأجيل اللقاء المبرمج في 1961/4/7 ضاعفت الحكومة (م ج ج) من جهودها فكانت للمجاهدين عزيمة و تصميم لم يعرفوهما أبدا من قبل، حيث و بينما كانت الغارات و الكمائن تتعاقب كان المحافظون السياسيون أكثر نشاطا و عملا، و يضمون كل يوم لجبهة و جيش التحرير الوطني العديد من المجندين الجدد . و كان عدد الجزائريين العاملين في الجيش الفرنسي، و الذين يفرون منه للإلتحاق بصفوف المجاهدين يتزايد باستمرار، حيث أن الاعلان عن المفاوضات القريبة قد اقنع آخر المترددين في حتمية النصر القريب لجبهة التحرير الوطني . و لم يكن يشك أي شخص في أن هذا النصر هو الاستقلال .

وبينما كانت هذه النظرة تشجع الجزائريين، كانت على العكس من ذلك تبعث اليأس في قلوب خصومهم، فكان أنصار الجزائر الفرنسية، و قد أصابهم الجنون من شدة اليأس و الحيرة يوجهون سخطهم في تكالبهم على الجنرال دوڤول، حيث أنهم كانوا يقولون أنه سيتخلى عن الجزائر و أنه خائن لجيش فرنسا أنه يجب منعه عن العمل، و أن الوسيلة الوحيدة لذلك هي الإطاحة به . و إن بمختلف المعمرين و الضباط يكثفون من الرحلات و الاتصالات و الاجتماعات السرية لتحضير مؤامرة ضد الجنرال دوڤول و الاستيلاء على السلطة و ابقاء الجزائر فرنسية .

ولكنهم عدلوا في آخر الأمر عن قلب النظام بسبب النقص في القوات في فرنسا، و نقص الوقت الكافي لتدبير المؤامرة و الحصول على شركاء متواطئين جدد . و قرروا العمل في الجزائر حيث كان الضباط المظليون مستعدين دائما للقيام بأي عمل عنيف و مغامرات للاستيلاء على القيادة العليا للجيش، و قد صرح الجنرال دوڤول في مؤتمر صحفي في 1961/4/11 « في عالمنا هذا و الزمن

الذي نعيش فيه، لم يعد لفرنسا أي صالح في ابقاء الجزائر ـ التي أختارت مصيرا آخرـ تحت سلطتها و تبعيتها »

« إن صالحنا هو إزالة الاحتلال، و بالتالي فهو سياستنا » لقد يقن دوڤول بان السلاح لا يمكنه أن يحل المسألة . فأصبح يجرب الحرب السياسة من الآن فصاعدا، و لكن المتطرفين المتصلبين الفرنسيين فقدوا صوابهم نهائيا، حيث إن الجنرال شال القائد الأعلى للجيش الفرنسي في الجزائر سابقا، و الذي تم تنصيبه كقائد أعلى على أوروبا الوسطى بعد ذهابه من الجزائر، كان يتابع بدل عمله هناك في فانتن بلو Fontaine Bleu أحداث الجزائر و يشارك في حركة متطرفي الجزائر الفرنسية .

وقد استقال من منصبه كقائد على أوروبا الوسطى، لتعارضه سياسة دوڤول الذي كان ينوي التفاوض مع (جبهة ت و) .

وبعد المؤتمر الصحفي للجنرال دوڤول في 1961/4/11 لم يتردد أبدا في تزعم المتمردين المتآمرين، و في 1961/4/20 نزل سريا مع الجنرال زيلير ZELLER في مطار البليدة على بعد حوالي 40 كلم من مدينة الجزائر . و قد التحقا بالجنرالات جوهو Jouhaud و صالون Salan ، هذا الأخير كان قائدا أعلا سابقا للجيش الفرنسي في الجزائر، و اعتزل في مدريد من حيث كان يعمل مع متطرفي الجزائر ضد حكومة باريس .

في 1961/4/22 قام الجنرالات الأربعة (شال و زيلير و جوهو و صالون) و زجوا بالجنرال المنتدب و الوزير الفرنسي للمواصلات - روبير بورون - الذي كان في زيارة الى الجزائر في السجن و استولوا على القيادة العليا و السلطة في الجزائر .

و قـد كـان رد الجنـرال دوڤـول رئيـس الجمهورية الفرنسية عن ذلك سريعا و جـازما . ففـي اليـوم التـالي و في خطـاب صارم و شديد اللهجة، حيث ندد " بالمحتـالين المغـتصبين " الذين " عبثـوا بالدولة " و تحـدوا فـرنسـا، و أطاحـوا بهمنيتها، و أحطوا من سمعتها الدولية، و عرّضوا كل التـواجد الفـرنسي في افريقيا الى الخطر، دعا الجيوش و الموظفين إلى التصدى بعدم الطاعـة لهؤلاء المجازفين المغـامرين، و أسرع بارسـال العديد من المندوبين - إلى الجزائر، و من بينهم السيد/ جوكص و زير الجزائر - لاتخاذ الإجراءات اللازمة .

لم يذهب النجاح الذي أحرز عليه الجنرالات الأربعة الذين كـانوا يعتـمدون كثـيـرا علـي سمعتـهم لدى الجيش إلى بعيـد . فـقـد تحـرك العـشـرات من الجنرالات و العـقـداء فـي كل الاتجاهات لمحاولة ضم كل أفواج الجيش لعصيان قـادتهم، و لكنهم لم ينجحـوا إلا في إغراق زمـلائهم، و الضبـاط و الجنود، و كذلك السـكـان الفـرنسـيـين في الفوضى و الحيرة و البلبلة، و بعد أربعة ايام أخفق هـذا العـصـيـان .

وفي 1961/4/25 انتقل الجنرال شال إلي باريس و سلم نفسـه لحكومتـه . ان نكبة و هزيمة أعـوانه و تابعيه،كانت نذيرا لنهاية الجزائر الفرنسية . فـالانقلاب الذي أريد له أن ينقـذ الجـزائر الفـرنسـيـة، كـاد على العكس من ذلـك أن يذهب بالجمهورية الفرنسية الخامسة التي كانت ستنهار كسابقتها في حرب الجزائر .

لقد تغلب الجنرال دوڤول على جنرالاته العصاة و لكن الخطر كان داهمـا، مما دعم قـرار دڤـول في تغـيـيـر و سـائل الاسلحة و الأسـاليب، كـان من الحـتـمي التفاوض، و قد حاول حتى النهاية، من ماي 1961، حتى 19 مارس 1962 تاريخ و قـف إطـلاق النـار الإحـراز بمنـاوراته السـيـاسية على مـالم يسـتطع فـرضـه بالقـوة العسـكـرية .

بعد العديد من الاتصالات مع مبعوثي الحكومة الفرنسية تم اللقاء المبرمج يوم 1961/4/7 في 1961/4/20 بايفيان . و قد التقى الوفدان في جو ثقيل مملوء بالحيرة و المجهول، لقد كنا في مدينة كان المتطرفون المتعصبون قد اغتالوا رئيس بلديتها منذ شهر فقط، لأنه لم يرفض انعقاد المفاوضات في بلديته .

لقد كانت المنظمة السرية المسلحة و التي تشكلت بالجزائر العاصمة (م س و OAS) - بعد اخفاق انقلاب 1961/4/22 تغتال و تقتل كل يوم ضحايا أبرياء بصفة عشوائية، و كانت (جبهة ت و) من جهتها تتصدى لكل هذه الجرائم و ترد كل ضربة بمثلها .

كان مجال اللعب ضيقا و هذه أول مرة ندخل فيها في اللعبة الصعبة للمفاوضات .

ولكن ارادتنا كانت صارمة فيما يخص مبادئها، و كنا مصممين على عدم تجاهل أية صغيرة أو كبيرة للوصول الى الحل الذي نرغبه . كان و فدنا مرؤوسا من طرف كريم بلقاسم نائب رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، و وزير الشؤون الخارجية، و مشكلا بالاضافة اليه من الدكتور فرانسيس و زير المالية و بن يحي مدير ديوان رئيس (الحكومة م ج ج) و الطيب بولحروف ممثل (جبهة ت و) في روما، و أحمد بومنجل مدير في و زارة الاعلام و الرائدين منجلي و سليمان أعضاء قيادة الأركان الحربية في جيش التحرير الوطني، و أنا نفسي أمين عام و زارة الشؤون الخارجية، و على عكس مانقله بعض المؤلفين من الكتاب فلم يكن هناك أي اختلاف بين الممثلين الجزائريين، و كنا متفقين تماما على خطة السير المتبعة . فالخلاف الذي كان سيظهر فيما بعد بين (الحكومة م ج ج) و قيادة الأركان الحربية لم يكن موجودا حينئذ و الخلافات البسيطة التي و جدت حقا لم تكن قد أخذت ابعادها الخطيرة التي عرفتها سنة 1962 .

هل تجب الاشارة مرة أخرى إلى أن قيادة الأركان الحربية لم تتصد أبدا و في أي و قت من الأوقات للمفاوضات التي كانت ستنتهى باتفاقيات ايفيان . و لو لم يكن الأمر كذلك فكيف نستطيع الأمل في احترام و قف إطلاق النار بعد التوقيع على اتفاقيات ايفيان ؟ وقد احترم فعلا عندما حان الوقت لذلك .

كان موقف قيادة الأركان الحربية ابان محادثات 1962 كنوع من الاحجام و الارادة في ترك (الحكومة م ج ج) تقوم بالمهمة دون التدخل بطريقة تمكن اعضاء قيادة الأركان الحربية من تجنب كل المسؤوليات السياسية التي قد تنجر عن تطبيق الإتفاقيات، كان هذا تدبيرا يسمح لهم بامكانية الإنتقاد فيما بعد . فقد كانوا و منذ تلك الفترة يفكرون بمنطق الإستيلاء على السلطة . و قد أثبتت هذا أزمة (جبهة ت و) بعد الاستقلال . و علي أية حال فهذا المشكل لم يكن قائما في ايفيان .

لقد تولدت مشاكلنا من القضية الجزائرية ذاتها و من المسائل العديدة و الصعبة التي كان يجب حلها .

لقد قررت الحكومة الفرنسية - هدنة من طرف و احد في العمليات الهجومية - و قد قررت نقل بن بلة و رفقائه من «أيل ديكس ILE DAIX» إلى قصر « تيركو Turquant » أين يسهل الإتصال بهم . و أطلقت سراح المعتقلين السياسيين الآخرين، و رغم إلحاح الوفد الفرنسي فقد رفضنا من جهتنا إعلان الهدنة، و قد عاتبنا على ذلك الفرنسيون مرارا . بيد أننا من جهة لم نكن نثق في دوڤول، و بالتالي لم نكن نستطيع التخلي عن الورقة الرابحة الوحيدة التي أدت بفرنسا إلي مفاوضتنا، و من جهة أخرى تظاهر مفاوضونا

الفرنسيون بتجاهل أمر المنظمة السرية المسلحة (OAS) التي كانت تشن علينا حربا ضارية، و على أية حال فنحن كنا نقاتل حماة الاحتلال . فماذا كانت تعني « العمليات الهجومية » التي قام بها الجيش الفرنسي غير الدفاع عن نفس حماة الاحتلال .

دامت هذه المحادثات الأولى و التي شرع فيها في 20 ماي 1961 حتى 13 جوان 1961 . و قد بدا لنا جليا أن دوڤول لم يعدل لا على الهيمنة الفرنسية، و لا على امتيازات الاروبيين في الجزائر .

فقد شدّد الوفد الفرنسي بإلحاح على ضمانات للأقلية الفرنسية، و قد أخذت هذه المسألة أكبر جزء من و قتنا . و على الجنسية المزدوجة للأوروبيين، الفرنسية اللغة الرسمية في الجزائر، الحفاظ على الحقوق المكتسبة، ضمان الملكيات، نفس الحقوق مع المواطنين الجزائريين الخ ... .

فقد كان المندوبون الفرنسيون يرتبون لأنفسهم كل التسهيلات في جزائر المستقبل . و قد اشترطوا قواعد عسكرية لن يكون للحكومة الجزائرية بطبيعة الحال أي حق عليها، و لن يشمل حق تقرير المصير غير و لايات الشمال الثلاث عشرة بينما تبقى الصحراء فرنسية، و ستصبح « الجزائر » بلدا متاخما للصحراء « الإقليم الفرنسي » مثلها في ذلك كمثل موريتانيا و مالي و كل البلدان المتاخمة الأخرى، و كانت فرنسا تعرض علينا إمكانية المشاركة في استغلال الخيرات الصحراوية و على و جه الخصوص البترول - كانت مواقفنا متناقضة كليا ، فقد طلب منا في مجمل القول اعتماد و ضمان كل ما تمكن الاحتلال من انجازه لصالحه . لم يكن الجنرال دوڤول يشك في أي شيء ، فقد كان يطلب منا و بكل بساطة أن نقر نحن أنفسنا و عن طيب خاطر الهيمنة الفرنسية المفروضة بالقوة، و في مقابل ذلك سوف يكون لجزائري الشمال علم

يرفرف على خمس التراب الوطني و زيادة علي ذلك خاضع للأقلية الفرنسية . لقد بدا الاتفاق مستحيلا . و إذا ما كنا نستطيع و رغم كل شيء التحدث عن أصعب المسائل و نأمل في العثور على صيغ مقبولة لها فإننا لم نكن نقبل أي مساس بوحدة التراب الوطني ، فهذا مبدأ مقدس و علاوة على ذلك، لم يكن معقولا بالنسبة لنا أن نفترض تقسيم رعاياها الفرنسيين - « أهلي مسلم غير متجنس فرنسي » كما كنا نحمله على بطاقة هويتنا أمام كلمة الجنسية كان دوقول سيجعل منا مواطنين جزائريين أسيادا في الشمال و مواطنين فرنسيين من الدرجة الثانية في الجنوب فكانت الأكذوبة من الضخامة و الكبر بحيث يستحيل تصديقها و تقبلها .

وأمام استحالة الوصول إلى اتفاق تم و قف المحادثات في 1961/6/13 . و قد بقينا مع ذلك على اتصال دائم، و بعد تبادل العديد من الملاحظات و اللقاءات بين الممثلين المعينين لهذا الغرض من كلا الجانبين التقى الوفدان في اجتماع عام، في لوڤران LUGERIN لإقرار الإخفاق .

وقد أوقفت المفاوضات فيما يخص الصحراء، كانت الحرب لا تزال قائمة و لم يكن الحل قد نضج بعد ! .

الفصل الثالث

ثالث حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية

(سبتمبر 1961 أغسطس 1962)

لقد استقبل المتطرفون المتصلبون إخفاق المفاوضات على أنها نصر على (جبهة . ت . و) و دقول على حد سواء، و كانت المنظمة السرية المسلحة تهلل فرحا و ابتهاجا، و لعدم فهمها لمجريات الاحداث كانت ستندفع هائجة في محاولة لوقف سيل التاريخ . « بما أن جبهة التحرير الوطني كانت تجر و راءها المسلمين بالقوة - كما ردده المتطرفون - فاننا سنستعمل القوة لنخضع هؤلاء المسلمين أنفسهم » .

وهكذا لجأت (م م س) إلى أبشع عنف و لم تتوان أمام أي عمل مشين مهما كانت دناءته . لقد حاولت الحصول بالقهر و الرعب على مالم يستطع المظليون المتغطرسون للجنرال ماسو، الذين اعتقدوا في رضوخ المسلمين للقوة، و لا الجيش الفرنسي في أوج قوته استطاع الحصول عليه !

وقد زاد في و حشيتهم و حنقهم ابتعاد (جبهة ت و) الكلي عن الاندحار و وجودها القوي و الاكثر تعزيزا من ذي قبل . و هكذا - و الحالة هذه - كانت حدة المشكل و الخوف من تضييع الحل القريب يبقيان حركة (جبهة . ت . و) في حالة الكدّ ، فالقادة كانوا يتساءلون « لو أخفقت المفاوضات فما العمل ؟

إن الكفاح المسلح هو الذي أتى بالحكومة الفرنسية إلى المفاوضات و لكن الجزائر دولة يريد أن يحييها شعبه بعد تحريره، فيجب أن نصعد و نكثف العمل السياسي و العسكري مهما كلفنا ذلك الأمر و بأي ثمن »

لقد أراد كل أعضاء (المجلس و ث ج) أن يكون هناك تغيير كامل و بالتالي تغيير في أسلوب منهج الكفاح . و كان يريد كل واحد منا « النصيحة » في أن نرى كل القوة التي نتمتع بها في الخارج، و إن يستحيل الأمر علينا تسخيرها في الداخل . و كان الكل يعزو هذا للحكومة المؤقتة بما فيهم قيادة الأركان الحربية . رغم أن هذه الأخيرة كانت هي نفسها مكلفة بالحرب .

اجتماع المجلس (و ث ج) أغسطس 1961 .

اجتمع المجلس (و ث ج) بعد استفحال الأزمة و تزايد حدتها في شهر أغسطس 1961 . كانت المناقشات حامية الوطيس، و رغم ذلك لم يجد (المجلس و ث ج) و لو نقطة واحدة محددة في سيل التدخلات و الانتقادات يستطيع حلها . و بدأ أعضاء قيادة الأركان الحربية يعترضون أكثر فأكثر الحكومة (م ج ج) و على وجه الخصوص الباءات الثلاث (بوصوف، و بن طوبال و بلقاسم كريم) .

واليوم بالرجوع إلى الوراء يبدولي أن أعضاء قيادة الأركان الحربية الذين كانوا ثائرين كالأسود المقيدة، كان الغضب و السخط يملأ قلوبهم أمام ضعفهم في اجتياز الحاجزين المختلفين : حاجز الحدود التي تمنعهم من خوض المعارك الحقيقية مع الجيش الفرنسي، و حاجز اليقين من الاستيلاء على السلطة في

الخارج، كما كانوا يأملون تأييده منذ زمن طويل بفضل صلاته ببعض الدول.

فما كان هذا إلا ليزيد الأوضاع تعقيدا. و يعقد بذلك أي تفاهم و تحقيق الوحدة. و هذا رغم أنهم كانوا على علم و يقين و كذلك كل المسؤولين الآخرين بأن تفرق الصفوف أمام العدو كان كارثة و حتمية.

فكان بن خدة من جهته يلح منذ أشهر بغية تشكيل حكومة ضيقة مشكلة على أكثر من خمسة أعضاء و تنصيبها في الجزائر مهما كلف الأمر ذلك.

فقد كان هذا، حسب ما كان يدافع عنه، أحسن وسيلة تسمح بتقييدة من أجل إثارة حماس المقاومين و حفظ الثقة و إيجاد تكامل بين جميع القادة. لم تؤخذ هذه الفكرة بعين الإعتبار. فالحكومة في الداخل كانت - لامحالة - ستكون عرضة لملاحقة و مطاردة من طرف الجيش الفرنسي و من جهة أخرى ستكون عملية الفاشلة و ستنتهي بالزوال. فالاستقرار في الداخل كان يشكل بمثابة " عملية إنتحارية " لم يكن بن خدة ليتناسى أن (لجنة ت ت) قد نجت بأعجوبة من أيدي المظليين من الجيش سنة 1957، و لكنه لم يكن يرى غير هذا لحل أزمة القيادة فأراد بذلك إعادة اللجنة الثورية للإتحاد و العمل كما وقع سنة 1954، لقد بقي و حده، على هذا الرأي و لكن فكرته قد خففت كثيرا من حدة و احترام أولئك الذين لم يكونوا يرون غير ميزات السلطة و منافعها، و مع ذلك فقد قرر المجلس (و ث ج) تغيير الحكومة تغييرا جذريا.

برهن عباس على عدم استطاعته التحكم في و زرائه، و زيادة على ذلك تقدم كريم الذي أخذ التجربة من تشكيل ثاني حكومة (م ج ج) و صرح للكل أنه سينسحب علانية من (الحكومة م ج ج) إذاما اعيد تعيين عباس في

الرئاسة . فاستوجب الأمر رئيسا آخر .

لم يكن ممكنا لأي من الباءات الثلاث أن يصبح رئيسا . فقد كان كل و احد منهم يبطل مفعول الآخر، و كانوا محل انتقاد شديد و حتى محل الرفض من طرف قيادة الاركان الحربية على و جه الخصوص، و اتباعا للعادة عين المجلس (و ث ج) لجنة مكلفة بالتشاور مع أعضائه و اقتراح حكومة على أساس هذه التشاورات . كانت هذه اللجنة مشكلة من محمد بن يحي و بوداود عمار مسؤول فيدرالية (ج ت و) في فرنسا) و محمدي السعيد الذي كان أنذاك و زيرا دولة معين من ثاني حكومة (م ج ج) . لا أعرف إذا ماكانت اللجنة قد استشارت أناسا قبلي، و لكنها قد طلبت مني إذا ما كنت أوافق على رئاسة الحكومة (م ج ج) . و قد أجبت أنني لم أكد أحس نفسي مؤهلا و قادرا على تحمل هذه المسؤولية العليا . و طرحت بعض الشروط التي في ظني كان من الواجب أن تتوفر في الرئيس، و التي لم أكن أستوفيها . و اظن أنني قد أشرت - و لن أجزم على هذا إذا ما كذبني أحد اعضاء اللجنة - إلى فكرة اقتراح بن خدة لمنصب الرئاسة .

تعيين ثالث حكومة (م ج ج) .

لقد تشكلت الحكومة فعلا تحت رئاسة بن خدة و كانت تضم :

- بن خدة — *رئيس المجلس و وزير المالية .*
- كريم — *نائب رئيس المجلس و وزير الداخلية .*
- بن بلة — *نائب رئيس المجلس .*
- بوضياف — *نائب رئيس المجلس .*

- محمدي السعيد وزير دولة .

- رابح بيطاط وزير دولة .

- خيضر وزير دولة .

- آيت أحمد وزير دولة .

- بوصوف وزير التسليح و الاتصالات العامة .

- بن طوبال وزير دولة .

- سعد دحلب وزير الشؤون الخارجية .

- محمد يزيد وزير الاعلام .

بقي أن يعين وزير المالية، وقد اقترحت على زملائي في اجتماع بيننا قبل أن نقابل المجلس (و ث ج) أن تعهد وزارة المالية لبن خدة . ولم يحاول أن يعترض على هذا غير بوصوف . فقد سأل بموجب ماذا كان هذا « الجمع الوظيفي » ؟ فاجبته « لكي تكون للرئيس وسيلة بسيطة للمراقبة . وبعض السلطة عليكم » وقد فهم الكل أني كنت أعنى الباءات الثلاث بذلك .

فلم ينطق كريم وبن طوبال ولو بكلمة واحدة، بيد أن بوصوف رفع دون اقتناع اعتراضا أو اثنين ولكنه لم يصر على موقفه . وهكذا أصبح بن خدة رئيسا للحكومة (م ج ج) و وزيرا للمالية وقبل أن نتوجه لمقابلة المجلس (و ث ج) قمت مع بن خدة بزيارة خاطفة لفرحات عباس،دون أن نستشير في ذلك زملائنا الذين كانوا سيمثلون الحكومة (م ج ج) وقد اقترحنا على فرحات عباس، الإلتحاق بنا بقبول منصب وزير الدولة، ولكن فرحات عباس رفض الاقتراح بكيفية تكاد تكون عفوية وصرّح لنا أنه فيما يخصه كان يريد أن يلعب دور الموفق كمثل دور "موديبو كيطا" أو "هو فوات بوانيي"، وأنه لم يعد يرغب في

المشاركة في حكومتنا لكوننا قد صرفنا النظر عن ذلك . لم نبحث عن التعمق فيما كان يعنيه فرحات، فالوقت كان يداهمنا وأظن أننا لم نعد الحديث أبدا عن هذا التصريح لعباس . فقد كان هذا منافيا تماما لما كنا نعتقده، و منافيا حتى للدور الذي لعبه هو نفسه على رأس (الحكومة م ج ج) .

عشر دقائق بعد ذلك مثلنا أمام المجلس (و ث ج) وفي المساء أقلنا الطائرة متجهين إلى القاهرة حيث كان يتوجب علينا المشاركة في اجتماع « بلدان الدار البيضاء » التي كانت الجزائر المكافحة عضوا كامل الحقوق فيها .

تصريح الرئيس بن خدة بتونس 1961/9/15 .

في 15 سبتمبر وفي أول حديث له بعد ارتقائه لرئاسة الحكومة (م ج ج) ذكر بن خدة بأن الحرب لا زالت قائمة، وأنه كان يتعين علينا بذل المزيد من التضحيات . وبما أن الجنرال دوغول قد صرح في مؤتمره الصحفي (1961/9/15) " إنما يتعلق به الأمر هو الانسحاب، وأضاف لأول مرة : « فيما يخص الصحراء . كان من الواجب الأخذ بالحقائق والواقع » ...الخ . « وأنه لا يوجد أي جزائري، وأنا أعرف ذلك، لا يعتقد أن الصحراء يجب أن تكون جزءا من الجزائر » .

فقد تم أخيرا قبول مبدأ السيادة الجزائرية، ولم يبق غير العثور على وسائل الاتفاق،وقد أجاب بن خدة وقال اننا كنا على استعداد تام لخوض مفاوضات صريحة، وصحيحة، ووضع حد نهائي للحرب وفتح الباب أمام تعاون مثمر ومشروع . وبما أن هذا الخطاب هو أحد أول الأعمال العلنية للحكومة (م ج ج) فلا بأس من أن نعيد قراءته كاملا (أنظر الملحق 8)

دعا الرئيس بن خدة في تصريح علني له في تونس بتاريخ 1961/10/25

الحكومة الفرنسية للتفاوض مباشرة حول كيفية وشروط الاستقلال ثم التفاوض بعد الاعلان عن هذا الأخير حول العلاقات الجديدة بين الجزائر وفرنسا . لم تكن الحكومة الفرنسية تستطيع قبول هذه الإجراءات والعدول عن تلك الخاصة بتقرير المصير ، ولكن هذا الاقتراح كان يعني أن الاستقلال قد أصبح مكسبا محققا، ومن المؤكد أيضا أنه قد أدى بالحكومة الفرنسية إلي الكف عن تآخير استئناف المحادثات وتسويفها .

وبعد العديد من التصريحات الفرنسية والجزائرية المؤكدة كلها على رغبة الطرفين في استئناف المحادثات المنقطعة في لوثران، اغتنمت مناسبة أول نوفمبر 1961 وأوضحت في حديث صحفي لي في المجلة الأسبوعية « أفريك اكصيون » AFRIQUE ACTION التي كان يرأسها السيد/ بشير بن يحمد . نظرتنا وتصورنا للمفاوضات الجزائرية الفرنسية . وقد ذكرت العديد من الإذاعات الفرنسية أنذاك هذا الحديث الذي كان من المؤكد قد ساهم بقسط وافر - نظرا لمسؤولياتي أنذاك - في بعث جديد للمحادثات التي آلت الى السلام في الجزائر (ملحق 9)

في ديسمبر 1961 أعيد طرح المسألة الجزائرية مرة أخرى على منظمة الأمم المتحدة . وقد دعت هذه الأخيرة في 21 من نفس الشهر فرنسا والجزائر لاستئناف المفاوضات .

اللقاءات الجزائرية الفرنسية نوفمبر 1961 .

لم ينقطع في الحقيقة أبدا الاتصال بين الحكومة الفرنسية والحكومة (م ج ج) إذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدد الوسطاء الذين طالما سبروا أراءنا وعدد المبعوثين الذين غالبا ما أتوا من طرف الرسميين الفرنسيين أو في بعض الأحيان ادعوا المجيء من طرف الجنرال دوڤول نفسه . لقد كنا نخصهم جميعا باحسن استقبال، ونطمئنهم عن رغبتنا في الوصول إلي حل نتفاوض حوله . ونكتفي

باعطائهم اجابتنا . من الممكن أنهم كانوا في المقابل يتقدمون إلي السلطات الفرنسية على أنهم مبعوثونا الخصوصيون .

ومهما يكن من أمر، فهذا الذهاب والاياب لرجال « المساعي الحميدة والنوايا الحسنة » قد مكن من ابقاء الاتصال بيننا وأدى منذ شهر نوفمبر 1961 إلى لقاءات بين ممثلينا الخصوصيين ، فالتقي أولا رضا مالك ومحمد بن يحي بالسيد/ دولوس DELEUSSE مدير ديوان السيد / جوكص وزير الجزائر في الحكومة الفرنسية، ومكلف مرة أخرى بالمفاوضات الفرنسية الجزائرية، ثم أتى دوري لألتقي بدولوس مرفوقا بنفس الممثلين .

كانت المسائل التي يجب بحثها بينة ومعروفة منذ أول اجتماع في ايفيان، وكانت آخر تصريحات الجنرال دوقول حول الصحراء التي كانت تشكل المعضلة الأولى، تمكن من التحدث بكيفية واقعية وملموسة .

بعد العديد من المحادثات التي تبادلنا فيها الملاحظات الدقيقة حول كل المسائل كان الفرنسيون أكثر استعدادا وتحضيرا منا للتفاوض . وكانوا السباقين إلى تقديم أول النصوص المبينة لمواقفهم فكان من الحتمي علينا أن نجيبهم على أساس هذه النصوص ، فكان هذا يعطيهم ميزة اتباع منهجية .والأمل في استدراجنا رويدا رويدا إلي وجهة نظرهم . لم يكن هذا ليخيفنا أبدا ، فمهما تكن الحالات، كان من اللازم أن نجد لغة مشتركة تمكننا من الوصول إلى اتفاق .

لقد قررت لكوني كنت مكلفا شخصيا بقيادة المحادثات أن أتبع المنهج الذي عرض علي دون أية عقدة، وقد طلبت فقط من مساعدي وعلى وجه الخصوص بن يحي ورضا مالك، أن يتفطنا جيدا إلى أي انحراف أو أي انزلاق يمكن ان يصدر

من طرفنا . فالأمر كان يتعلق حسب ظني في أن نفي بمهمتنا مهما كان الأمر .

فلم يكن ممكنا أن نذهب في كل وقت إلي تونس لاستشارة الحكومة (م ج ج) أو أن ترجع إلى النوي AULNOY حيث كان الوزراء المعتقلون، فقد كنا نعرف حق المعرفة الخطوط العريضة لسياستنا وان زمن " اللف والدوران " قد ولى .

فإذا ماكان دوڤول مستعجلا " للخروج " من الجزائر مستعينا بقوته وعبقريته لابقاء - رغم كل شيء - بعض الامتيازات التي حصلت عليها فرنسا والفرنسيون في الجزائر ، فقد كان الأمر بالنسبة لنا أن نقف وقفة شجاعة وذكية لكي نضع حدا لآلام ومصائب شعبنا دون أن نتخلى عن أي شيء قد يرهن مستقبل جزائر مستقلة فعلا وذات سيادة و في الأخير سيكون هناك دائما المجلس (و ث ج) لضبط الامور .

لقاءات سرية في روس ROUSSES

(من 11 الى 18 فبراير 1962)

لقد التقيت أخيرا مع السيد جوكص بعد أن مهد السبيل إلى ذلك وحضرت العديد من النصوص، وبالطبع كان هذا اللقاء سريا . وبعد جملة من المحادثات رحبنا بدعوة هذا الأخير إلى لقاء سري يجمع ثلاثة أعضاء من الحكومة الفرنسية مع مجموعة من وزراء الحكومة م ج ج) .

فكان اللقاء السري بروس في أعالي جبال " الجورا" Jura على الحدود الفرنسية السويسرية، ودام هذا اللقاء من 11الى 18 فبراير 1962 . عينت الحكومة (م ج ج) أربع وزراء لهذه المحادثات هم كريم بلقاسم، بن طوبال محمد يزيد وأنا، ومن الجهة الفرنسية كان هناك ثلاثة وزراء هم

السيد/ جوكص، والسيد/ روبير بورون Robert Buron وجان دوبروقلي Jean de Broglie . وكان هذان الأخيران ينتميان إلي احزاب غير « (UDR) (اتحاد الديمقراطيين الجمهوريين) الذي كان يملك أغلبية المقاعد في البرلمان الفرنسي، ويمثل الحزب الدوقولي . كانت الحكومة الفرنسية تخشى أن يشجبها جزء من الرأى العام الفرنسي . وبتوسيع وفدها كانت تريد أن توسع تمثيلها وأن تحصل على اعتماد العديد من الاحزاب السياسية .

كنا نلتقى كل يوم في" شاليه " أي بيت خشبي لمصلحة الطرقات بروس، حيث كنا نمكث طوال النهار ونعمل حتى انسدال الظلام . كنا نقيم بطبيعة الحال في سويسرا . فكان علينا أن نمضي ساعات طويلة للحاق بنزلنا من حيث كنا نعود كل صبيحة إلى روس . كان تعبنا شديدا جدا، ولكنه لم يكن يضاهي تعب المجاهد الذي كان يواجه الخطر يوميا . لقد درسنا كل المسائل بعناية كبيرة، فخصمنا كان قويا جدا والمحادثات كانت شاقة وصعبة وكان علينا أن نتحلى باليقظة والانتباه وبرودة أعصاب ونميز بين ماهو أساسي وماهو ثانوي وبين ماهو دائم وماهو مؤقت وآني .

فإذا ما توصلنا إلي ضمان حرية القرار للحكومة الجزائرية اللاحقة فان كل الباقي سيصبح هينا وسهلا .

وكان علينا - أيضا - أن نتحلى بالشجاعة والمرونة الكافية كي نسمح للحكومة الفرنسية لتنقذ كرامتها ومكانتها، وأن تتخلص من المأزق بشرف، وبالتوازي مع ذلك كان علينا الا نقرر أي شيء يمس كرامة شعبنا، وعزة نفس مجاهدينا، أو ان نشكك ولو لحظة واحدة في انتصار (جبهة . ت . و) .

لقد درست بعناية فائقة كل المسائل المتعلقة بوقف اطلاق النار والضمانات

الخاصة بتطبيق تقرير المصير وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، وعودة اللاجئين والمهاجرين والفترة الانتقالية للهيئة التنفيذية المؤقتة التي ستحكم الجزائر وتعد الاستفتاء لتقرير المصير .

درسنا أيضا جل مظاهر التعاون الفرنسي الجزائري واتفقنا على عدة نصوص أعددناها سويا ، متعلقة بالتعاون الثقافي والتعاون الفني والعلاقات الاقتصادية والمالية .،مع ذلك لم يكن من السهل بماكان أن نخلص إلى هذه الاتفاقيات . وحتى اللغة الرسمية في الجزائر قد أثارت جدالا كبيرا جدا كنا نعتقد أن لاجدال في اللغة العربية لغة البلاد، ولكن الفرنسيين أرادوا أن تكون اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية أو على الاقل اللغتان كلتاهما معا (الفرنسية والعربية) وفي آخر الأمر جعلنا للغة الفرنسية مكانة لاتقة (بالنسبة للغات الأجنبية الأخرى) فلم تكن نرى من الفرنسية في قرارة أنفسنا إلا الفائدة بجانب اللغة العربية الوطنية والرسمية الوحيدة في البلاد .

وتبقى المسائل المتعلقة بالصحراء والأقلية الفرنسية هي التي واجهنا معها أكبر المصاعب .

لم يكن يكفينا أن نرى الحكومة الفرنسية تتقبل أخيرا السيادة الجزائرية على الصحراء . فبعد أن حافظنا على وحدة التراب الوطني كان من الواجب أن نحرس على وحدة الشعب والسيادة الجزائرية . والحال أن الوفد الفرنسي كانت يتسلط عليه هاجس مصالح الاقلية الفرنسية والمصالح الاقتصادية والاستراتيجية الفرنسية في الجزائر وافريقيا . ولهذا كان الوفد يتحدث عن السكان الجزائريين وليس على الشعب الجزائري، وعن الاقلية الفرنسية والاقليات الأخرى .تحدث دوفول في تصريحات سابقة عن القبائل وبني ميزاب والمسلمين

الراغبين في البقاء فرنسيين ..الخ ...

وأرادت أيضا الحكومة الفرنسية أن تبقى قبضتها على الصحراء وعلى المطارات من أجل " توقفات تقنية " والقواعد العسكرية، والقواعد التي لا زالت تقام فيها التجارب النووية الفرنسية .

فيما يخص الأقلية الفرنسية تطلب منا الأمر الصبر الكثير كي ندحض الحجج الفرنسية، وأن نبين أن الأمر كان يتعلق بكل مسألة الاحتلال التي أريد لها أن تبقى .

أما أطروحة الصحراء قد بدأ الجنرال دوقول العدول عن التمسك بها بعد أن عمل كلما في وسعه كي يحفز البلدان المجاورة لتهتم باستغلال ثروات الصحراء . فكل هذه البلدان وبما فيها المغرب وتونس قد أبدت موقف الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي لم تتنازل ولو عن شبر واحد من التراب الوطني ولو ذرة واحدة من السيادة الجزائرية . وتجدر الاشارة هنا في هذا السياق أن الحكومة م ج ج) كانت تحظى بدبلوماسية فذة كي تستطيع أن تحقق هذا العمل الرائع فقد تمكنت بصلابتها وتشبثها فيما يخص المبدئين الرئيسين ألا وهما وحدة التراب الوطني ووحدة الشعب الجزائري، من أن تنال من عناد وصلابة الجنرال دقول، وهذا الأخير هو الذي خضع في آخر الأمر وليس (الحكومة م ج ج) .

قررالجنرال دوقول في افتتاح المفاوضات اعلان هدنة أحادية وطالبنا العمل بالمثل . فقد كانت هذه العملية آخر كمين ينصبه لنا ، ونحمد الله على أن (الحكومة م ج ج) لم تقع فيه تساءل الناس لماذا لا نوقف أعمالنا العسكرية والارهابية ؟ فالبعض كان يظن أننا كنا نخشى الا ' نطاع، وهذا الاحتمال غير معقول وسخيف، بما أنه كان يعتمد علينا في الوصول إلى وقف تام ونهائي

لإطلاق النار، الشيء الذي حدث فعلا فيما بعد في ١٥ مارس ١٩٦٢ في منتصف النهار، وكان البعض الاخر يجدنا متصلبين عنيدين، وتنقصنا المرونة. ولكن الحقيقة كانت أبسط وأسهل من هذا كله . فهذا الأمن المفقود إذا ما لم نرد التحدث عن حرب حقيقية أو عمليات، قد كان ورقتنا الرابحة الأولى . فقد كان الوسيلة الوحيدة التي أدت بفرنسا ودقول إلى الجلوس حول طاولة المفاوضات وهل يعقل أن نتخلى عنها بكل بساطة ولباقة لأن الجنرال دقول كان يشرفنا بان « يتملقنا » ؟ فهذا خطأ واجحاف في حق معرفتنا ومعرفة الجنرال دقول، الذي كان على الانسان أن يكون شديد السذاجة كي يقبل اقتراحه فورا .

فكيف ياترى ؟ الم يجرب دقول بقوة، الوسائل كل الوسائل كي يرانا ننحني ونخضع، ولكي ينتصر علينا ويدمرنا حتى يحتفظ بالجزائر بصفة أو بأخرى تحت السيطرة الفرنسية ؟ ولم يهمل أي شيء .فقد بعث بوحدات المجندين في الجيش إلى الجزائر ؛ واقترح « سلم الشجعان » وقام شخصيا بعقد تجمعات شعبية وغطى عمليات جنرالاته الأكثر دناءة ونذالة، والمناهج البسكولوجية للضباط المختصين في مقاومة حرب العصابات الذي مارسوها وتمرنوا عليها في الهند الصينية، هذه المناهج والأساليب التي تعنى الكذب والخداع والتعذيب، وخصوصا التعذيب بكل أصنافه وأشكاله . وقد جرب المستحيل للحفاظ على الجزائر الفرنسية، وكان ينفق ثلاثة مليارات قديمة يوميا من أجل حرب الجزائر .

فلا يوجد أحد غيره يستطيع أن يتخيل - في خضم الحرب - مشروع قسنطينة الذي لا يستطيع إلا القليل من الناس تقدير مداه لو لم يكن مبدأ الاستقلال مقدسا في قلوب الجزائريين ولولم تكن (جبهة ت و) و (الحكومة م ج ج) حريصتين ويقظتين .

فقداستعمل الاساليب الاكثر تنافيا مع روح العظمة والأنفة الاسطورية اللتين كانتا يتحلى بهما، فلم يستقبل أناسا تافهين وحسب، بل وقد أظهر لقاءه مع الضباط الشباب الحائرين للولاية الرابعة إلى أي مدى كان مضطربا ويتشبث كالغريق بأية قشة نجاة . ومشاركته شخصيا في هذه اللعبة الصغيرة - مؤامرة بعض الضباط الصغار ضد الحكومة (م ج ج) - تحت حمايته وكنفه تبدو غير معقولة ولكنها مع ذلك حقيقة !

كانت للوشاة حقا جرأة هائلة من عدم المبالاة، والنوايا السيئة حتى ينزعوا كل فضل عن (الحكومة م ج ج) في صراعها الثنائي مع دوڤول . ومع ذلك فقد قام بهذا الكثير من الناس الذين عزوا لدڤول كل الفضل في استقلال الجزائر .

في كلمة واحدة ! لقد قيل عن (الحكومة م ج ج) ما قيل والمجال كان مفتوحا ، منذ اللحظة التي قررنا فيها أن تكف عن اظهار خصوماتنا و لم تعد (الحكومة م ج ج) ترغب في الرد على هؤلاء المغتابين، بيد أنه لا يوجد أحد قد انكر هذه الحقيقة وهي: أن (الحكومة م ج ج) كانت مؤحدة ككتلة واحدة صلبة، لا تتزعزع في مبادئها أمام دوڤول الذي أتى في آخر الأمر إلى المفاوضات معترفا (بالحكومة م ج ج) كممثل وحيد للجزائر - التي كانت إذن توجد فعلا - و تقبل التفاوض أولا على وقف إطلاق النار، ومشترطا ضمانات مستقبلية للاقلية الفرنسية ولمصالح فرنسا في الوقت الراهن - مما لا يدعو إلى شك في استقلال الجزائر تحت سلطة (جبهة ت و) - ومنتهيا بالاعتراف بوحدة التراب الوطني أي بمعنى عدوله عن وهم واكذوبة الصحراء الفرنسية .

فهذا فضل الحكومة (م ج ج) ولم يكن تشبثها بمبادئها مفتاح النصر حاليا فحسب، ولكنه أنقذ - أيضا - الجزائر في الحاضر والمستقبل، فلو افترضنا أننا

قد قبلنا تقرير المصير في الشمال وأجلناه لوقت لاحق في الجنوب، لكنا سنواجه في المستقبل نفس مصير كل الشعوب التي قبلت تجزئة ترابها الوطني ، أو أرغمت على الخضوع له، فنحن نعرف ثمن تجزئة التراب الواحد في كوريا أو ألمانيا على سبيل المثال ، فالعوامل التي فرضت هذه التجزئة يمكن أن تكون مختلفة ولكن نتائجها دائما تكون متطابقة : الحروب أو أخطار الحرب، و الآلآم و التضحيات .

فبفضل (الحكومة م ج ج) حل المشكل أولا عندنا، وقد قدمنا بحق جزيل التحيات "لهوشي منه" واحتفلنا بالجنرال جياب بكل حرارة عندنا . في نفس الوقت حاول خصوم (الحكومة م ج ج) أن يسيئوا إلى سمعتها، لماذا لا يلتمسون سريا لدى المسؤولين الفياتناميين معرفة نظرتهم للحكومة (م ج ج) التي اعترفوا بها وقابلوها ودعموها ؟

من المؤكد أن الفياتناميين قد ينيرهم لأنهم يعرفون ويقدرون المكسب الذي حققته (الحكومة م ج ج) برفضها للتجزئة : فالصحراء لوحدها هي موضع فخر واعتزاز .

إن الفياتناميين يعرفون الثمن الذي كلفهم اياه تقسيم الفياتنام، فبالاضافة إلى حرب ضارية طالت العديد من السنوات ضد الاحتلال الشرس والعنيد، كان عليهم أن يتحملوا حربا أهلية فظيعة . كان الفياتناميون فيها يفتكون ببعضهم البعض تحت تصفيقات وابتهاج الانبرياليين .

ويرجع الفضل الثاني للحكومة (م ج ج) في أنها قد سعت بكل مافي وسعها عندما كانت مجتمعة حول البساط الأخضر حسب الشروط المقبولة من الطرفين، إلى فهم المشارك في التفاوض حتى لا تمس أبدا كرامته وشرفه وعزة

نفسه، دون أية مبالاة بالقيل والقال عنها . لم تكن (الحكومة م ج ج) تضع نصب أعينها غير الأهم والهدف النهائي ألا وهو الاستقلال .

فالتصريحات غير المسؤولة للبعض والتعقيبات المغرضة ذات النوايا المبيتة، وخصوصا بعد اعلان وقف إطلاق النار لم تجعلنا نندم ولو لحظة واحدة على موقفنا في ايفيان أو الاتفاقات المبرمة .

فاتفاقيات ايفيان كانت تسوية طال وصعب الوصول الى تحريرها . ومع ذلك ومن الاعلان عن وقف إطلاق النار أصبح النصر حليفنا . فقد بث وقف إطلاق النارالذعر والبلبلة عند الخصم، التشتت في صفوف الفرنسيين والهروب إلي فرنسا و الذهاب المتسرع للمعمرين واليأس النهائي للمتشبثين بالجزائر الفرنسية والهجرة واخلاء الأراضي والبنايات ، فاصبح الجزائريون أسياد المكان في البلاد. والقضية كانت معروفة، لأنه منذ وقف إطلاق النار كان هناك تجند جماعي ضخم للاهالي الذين كانوا في موقف الحياد أو التحفظ أو التردد، فكان السباق للالتحاق بصفوف (جبهة . ت . و) وتدارك الوقت الضائع، وقد مكن توافد الشبان نحو جيش التحرير، من تدعيم وتعزيز مشهود له لجيش التحرير الوطني . ومن تحسين الاوضاع بين عشية وضحاها .

بمجرد الاعتراف بسيادة القرار للجزائريين أصبح هؤلاء أحرارا في تطبيق السياسة التي يختارونها، وهذه هي النتيجة التي بحث عنها وحققت في ايفيان وقد أظهرت مجريات علاقتنا مع فرنسا صحة وسداد موقفنا . لقد كنا احرارا .

بعد ثمانية أيام من العمل المتواصل وقعنا أخيرا على اتفاق حول النصوص التي صعب تحضيرها للغاية . افترقنا في تلك الأمسية حوالي الساعة الرابعة أو الخامسة صباحا، وقد دام آخر لقاء لنا في بروس من 18 فبراير على الساعة الثامنة صباحا إلى اليوم التالي 19 فبراير على الساعة الرابعة صباحا . كان

الكل منهكا، ومتعب لا يقوى على الوقوف ما عدا السيد جوكص الذي بقي « شديد الإحمرار » ومندوب جزائري لن يستطيع معرفة لون بشرته، ولكنه يتذكر أنه كاد أن يقع مغمى عليه عند رجوعه إلى النزل بعد بضع ساعات من ذلك .

لقد وضعنا السيد جوكص تحت تعذيب حقيقي محاولا " استنطاقنا " وان يأخذ منا ادنى تنازلات على أبسط الأمور الثانوية لكونه خبيرا في هذه المسائل فقد ترك بعض المسائل الصغيرة الى آخر لحظة . أما من جهتنا فقد عملنا قصارى جهدنا كي نتحمل ونثبت كالفرنسيين، بل وأحسن منهم، وقد كنا جد يقظين ومتفطنين فيما يخص البنود المتعلقة بوحدة ترابنا الوطني ووحدة شعبنا والسيادة الكاملة للجزائر ، لاننا كنا نعتقد أن " الأخطاء " الصغيرة في « الجزئيات البسيطة » قد تصبح كبيرة فيما بعد وقد تؤدي إلى تسلسل النزاع وسوء الفهم .

كان يظن مفاوضونا أننا كنا سنوقع في العشية ذاتها ولكننا أوضحنا لهم أنه كان يتحتم علينا أولا أن تعرض مخططات الاتفاق هاته لتقدير المجلس الوطني للثورة الجزائرية الذي يخول له وحده البت في وقف لإطلاق النار، أو مواصلة الحرب، والذي كان سيعقد اجتماعا له مباشرة بعد عودتنا إلى تونس . وأننا كنا نأمل في لقائهم ثانية في أقرب الأجال لأجل لقاء رسمي وحاسم .

اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية 22 فبراير 1962 .

عقد اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية في طرابلس بتاريخ 1962/2/22 . وكان الجو فيه بعيدا عن أن تسوده الحماسة، فكل أعضاء (المجلس و ث ج) كانوا متفقين حول وقف إطلاق النار، وهذا كنا نعرفه، فقد كان لكل واحد الوقت الكافي كي يستخبر ويستعلم عن مجريات المفاوضات

السرية . وكان الكل يتابع بقلق الوضع المؤلم الذي كانت تعرفه البلاد آنذاك . لم يتم إخطار الوزراء المعتقلين عن محتوى الاتفاقيات وحسب، بل وقد امدونا كذلك باقتراحاتهم وارائهم التي وضعناها بطبيعة الحال في الحسبان . وقد كانوا هم أيضا مع وقف إطلاق النار، فهم الخمسة كانوا في عداد المسؤولين الأكثر اعتدالا وواقعية، وعلى رأسهم خيضر وبن بلة بل وأن هذا الأخير كان أقل الناس تشددا فيما يخص مسألة الجنسية المزدوجة للفرنسيين واللغة الفرنسية كلغة رسمية في الجزائر .

فكنت أفكر حينها بأن الشيء الأكثر أهمية عنده هو أولا إطلاق سراحه، وأعرف أيضاآنذاك أنه كان متأكدا بأن اتفاقيات ايفيان ما هي إلا مرحلة، وقد استغل منها الكثير من الحجج ضد (الحكومة م ج ج) إبان البلبلة والغموض اللذين كانا سيسودان بعد وقف إطلاق النار .

لقد أخطأ عندما تظاهر بالاعتقاد أن المفاوضين في ايفيان كانوا على غير دراية بتوقيعهم هنا على حل وسط .

من جهتهم كان أعضاء قيادة الأركان الحربية يأملون بحرارة في وقف إطلاق النار، ولكنهم كفوا عن الإنصياع لأوامر (الحكومة م ج ج) التي لم تعد بالنسبة لهم غير أمين صندوقهم المالي .

كان من الواجب الاعتناء بالجيش، وبالتالي الإدانة مبدئيا لكل مبادرات الحكومة . فكانت - إذن - ليس لهم فسحة للرجوع الى الوراء وقد كانوا يرون مع حلول وقف إطلاق النار الفرصة السانحة للدخول علينا في حلبة الصراع السياسي جهارا وكنت على المستوى الشخصي ذا صلة ممتازة معهم وعلى دراية تامة بكل مشاعرهم، ولكن أعضاء المجلس (و ث ج) كذلك المفاوضون هم أيضا لم يكونوا يرغبون في وقف لإطلاق النار بأي ثمن كان . مما جعلهم في

حيرة من أمرهم . فالهدف كان قريبا وهم خائفون من ان نكون قد "سقنا" جبهة التحرير الوطني وكل الجزائريين في طريق خاطىء، واستوجب الأمر ايمانا قويا لطمأنتهم واقناعهم وجعلهم يقررون . لأنني قد تابعت كل المحادثات، وكنت مسؤولا أمام (الحكومة م ج ج) وزيادة على ذلك فقد تم تعييني كي أكون مقرر اتفاقيات ايفيان أمام (المجلس و ث ج) وقد استعد كل الساخطين والمستائين « بايقاعي في الحرج » أي "قضاء وقت صعب" ومع ذلك فقد تركني أعضاء قيادة الاركان الحربية في سلام . لقد كان للعلاقة الشخصية دور في ذلك، ولكن الفضل الأول في هذا التعامل يرجع إلى قرارهم الذي اتخذوه لالتزام الصمت في المناقشة . ورغم ذلك فقد ناوروا كي يحضر النقاش « مناضل خبير » غير عضو في المجلس (و ث ج) ويناقش المسائل الاقتصادية وعلى وجه الخصوص تلك المتعلقة بالبترول . كانوا على يقين من انفسهم بأن " هذا الخبير " كان سيفحم الحكومة م ج ج) والمفاوضين وعلى رأسهم بلقاسم كريم . لقد اختير خليفة العروسي كي يكون هذا الخبير، ويحدد « قرار الإتهام » ضدنا، وقد حضر فعلا المناقشة . ولقد كان العروسي خليفة مساعدي في أول لقاءاتنا السرية في روس فخبيرنا في شؤون البترول - لم نكن نستطيع لوم قيادة الاركان الحربية على إعتباره هكذا - قد سبق له أن جعلنا نقول حماقات في إحدى المحادثات حول هذا الموضوع مما مكن السيد رونالد بيكار من أن يستهزئ بنا حيث قال عنا في نظرة ساخرة لمفاوض فرنسي « أننا نفهم جيدا ... أن تطلبوا منا 100٪ مئة في المئة من أرباح البترول، ولكن أن تطلبوا منا مئة وعشرة في المئة، أفلا ترون أن هذا مبالغ فيه بعض الشيء ؟

كان هذا أكثر مما أستطيع تحمله كي « أنهال كالسهم » عليه متلاعبا بالكلمات بدم بارد لم أعهده أبدا من قبل، حتى أظهر وكأننا « ندعي الخطأ »

لمعرفة الصواب . ولكنني أظن أن الفرنسيين لم يكونوا مغفلين . وعلى اية حال لم يكونوا أبدا بمثل هذا اللطف في التبرع ، فبعد إطلاق السهم لم يرجع إليه بيكار ولا أحد غيره من زملائه ظهر وكأنه لمح ذلك .

بعد عودتي إلى تونس وقبل أن نقوم بأي شيء آخر اتصلت هاتفيا ببوصوف الذي كـان مسوولا على العروسي خليفة وقلت له « لا أريد رؤية خليفة بعد اليـوم سواء في وفدنا أو في معيتك، ولاحتى في أي مكان آخر وسأشرح لك فيـما بعـد »

رأيـت خليفـة مرة ثانية في اجتماع (المجلس و ث ج) الذي لم يكن ولاحتى عضوا فيـه مستعدا ومتأهبا كي يفضحني ويشهر بي أمام أعلى سلطة لـ (جبهة ت و) . وياله من ثأر ! وعوض أن انزعج فقد وجدت هذا الحضور مسليا للغاية وباعثا مضاعفا لقـواي .

دنـوت من كـريـم الجـالـس إلى اليمين ووعدته بأننا سنحصل على موافقة الـ (مجلس و ث ج) في آخر الجلسة، فابتسم ابتسامة عريضة ودقق في نظرة دائرية على مجموع الحاضرين . مباشرة بعد أن فتحت الجلسة أخذت الكلمة وقررت أن أشير ببساطة إلى مختلف الاتفاقيات، ومركزا أساسا على المسألة التي يجب الفصل فيها ألا وهي وقف إطلاق النار ، فالدخول في التفاصيل وتقنيات كل المشاكل قد تجرني إلى بعيد وقد يجعل المناقشة تطول . وسيعلق حينئذ أعضاء (المجلس و ث ج) بكل صغيرة وكبيرة وبالتالي كنا سنحضر مرة أخرى تلك المناقشات التي لا تنتهي، والتي عشناها نحن انفسنا مع المفاوضين الفرنسيين فكان يتعين علينا أن نتمسك بالأساس . فالبترول، التعاون الثقافي،

التعاون الاقتصادي، العملة ... كل هذه المشاكل التي قد تورطني وقد ترمي (المجلس و ث ج) في الفوضى التامة كان علي أن ألف حولها واتفاداها قدر المستطاع .

كنت حرا في أسلوبي كما كنت أعرف جيدا الميدان الذي يحب المناضلون التحدث فيه بانطلاق . فطيلة ساعتين حاولت أن أشد انتباه المجلس (و ث ج) بتطرقي للمشاكل العامة والتي رغم كل شيء كانت حقائق جد ساخنة وشائكة، وقد قلت تقريبا ، « لقد غزت التفرقة صفوف العدو، وعمت الفوضى في اوساط السلطات الفرنسية في الجزائر وهي لا تعرف إلى أي شطر تولي وجهها . وقد مل الجنرال دوڤول وسئم من هذه الحرب التي تكلفه المزيد من الارواح والاموال يوما بعد يوم، إنها حوالي ثلاثة مليارات يوميا ، إنه يريد الانسحاب من الجزائر وزيادة على ذلك فهو شفوق ومتلهف لرؤية فرنسا تأخذ مكانا لها مع القوات الكبرى والعصرية، ومتمكنة من الوسائل الذرية، الطاقة، القنابل، الصواريخ العابرة للقارات الاليكترونيك، العقول الآلية، وتشارك في غزو الفضاء ... الخ إن المنظمة السرية المسلحة OAS تتلف كل شيء وتعمل ضد كل ماتبادر اليه حكومتها . ومع ذلك فالـ (م س م) تنغص العيش على مواطنينا المدنيين . مناضلون يردون على كل ضرباتها ولكن الوسائل تعوزهم، المجاهدون في حاجة إلى الأسلحة والذخيرة وهم لا يثبتون إلا بايمانهم وشجاعتهم . شعبنا يكافح بأياد عزلاء، ودون أن يعطل الكفاح هو يأمل بشغف وحرارة في السلم .

والحال الآن هو أن فرنسا ذاتها تقترح علينا السلام . لقد نادينا دائما بأن مشكلتنا كانت سياسية، وأن الحل يجب أن يكون سياسيا . إن الفرصة قد أتت إلينا اليوم فهل سنتركها تفلت منا ؟، فليست هناك إلا وسيلة واحدة لحل

المشكلة . وهي أن نحرز على الإنتصار العسكري وبما أن هذا قد استحال على فرنسا ذاتها فهو كذلك أيضا مستحيل علينا .

وأخيرا ففي هذه الاتفاقيات اننا نحرز على الأساس ، فنحن نضمن مبدأ وحدة الشعب الجزائري ووحدة التراب الوطني، ونحن لا نقبل أي بند قد يشكك في مصداقية سيادتنا الوطنية الكاملة . وهذه السيادة التامة تعني أننا أحرارا في قراراتنا ومن هنا فكل شيء مرهون بنا، لضمان استقلالنا وليس السياسي وحسب بل والاقتصادي كذلك، أي بمعنى استقلال تام »

كنت من حين لآخر أجيب بايجاز حول تساؤلات الاعضاء حول هذه النقطة أو تلك .

عندما انتهيت عن عرض بياني تفوه خليفة بجملتين أو ثلاث لا تفهم، ثم صرح بطبيعة الحال موجها الكلام نحوي « لقد اعطيتم البترول للفرنسيين ! لقد ... » فقاطعته في الحين وصحت : « يجب أن نتحدث جديا ! فنحن لسنا هنا كي نقص الحكايات، يبدولي وكأننا جالسون هنا في ماخورة أفيون أوحشيش، وأننا تحت وقع مفعول هذه المخدرات ! فلنرجع إلى أرض الواقع ! لسنا نحن من يعطي أي شيء للفرنسيين، بل الفرنسيون هم الذين يعطوننا البترول . فهم الذين يملكونه الآن ويملكون كذلك كل الثروات الأخرى، بل ويملكون الجزائر كلها ! فهم من يوجد الآن في الجزائر وعاصمتها أما نحن فموجودون في طرابلس على بعد ألاف الكيلومترات عن الجزائر . ولا يمكننا حتى الرجوع إلي بيوتنا، فالفرنسيون هم الذين يعطوننا تأشيرة الدخول إذا ماأردنا ذلك ودون أية طلقة رصاص . فالأمر لا يتعلق بنا، بل بالشعب الجزائري نعم ! هذا الشعب الذي يكافح ويقاوم، فأولئك الذين يقاتلون ويكافحون في جبالنا، ومدننا يتكلمون لغة مغايرة تماما للغتنا، فنحن منذ مدة لانخوض إلا

حرب الكلمات والجمل، أما هم فالرسوم والحسابات الناقصة أو الزائدة لا تلهيهم - كنت ألمح إلى ملفات خليفة التي أعرفها جيدا، بكوني قدراجعتها معه - ولا تهمهم في شيء ولاتسليهم . فما يريدونه هو الاسلحة والذخيرة . فهل تريدون القتال بجانبهم ؟ إذن فاغتنموا فرصة وقف إطلاق النار الذي يعرض علينا، واستغلوا كل الميزات التي يمنحها لنا وامدوا الشعب بالاسلحة والرجال والاطارات والوسائل التي استحال علينا ادخالها إلى الجزائر ! هل تريدون القتال ؟ اعيدوا إذن تشكيل الكتائب الكبرى « في البوادي، وسلحوا الفدائيين واستأنفوا القتال إذا ما رأيتم في ذلك أحسن حل . فلا يوجد في الاتفاقيات المعروضة أمامكم أي التزام يمنع عنكم حمل الاسلحة أو أن تثوروا من جديد . بيد أنه وإذا ماكنا على دارية بمسؤولياتنا . فلنعلم أن الحل ليس عسكريا . ان الفرصة فريدة وسانحة لنحل مشكلتنا . فلنثق في انفسنا ونتذكر أن دوقول ومنذ أمد قريب لم يكن يعرض علينا غير العودة إلى" الحظيرة " مشيرا لنا عن مكان وضع الأسلحة، وواعدا ايانا بعفوه إذا مابقينا ودعاء ! إنه يتعامل معنا اليوم الند للند، ويشترط علينا إلتزامات حول المستقبل، الشيء الذي يعني بصفة جلية أننا سنكون أحرارا في تقرير مصيرنا، واختيار سياستنا، فكل ما تبحث عن ابقائه الحكومة الفرنسية بين أيديها في هذه الفترة الانتقالية يتماشى والسياق الأفضل ملاءمة لنا، فنحن في حاجة إلى استخلاف الإدارة القائمة في نظام، وبالتالي في حاجة إلى هذه الفترة الانتقالية فكل شيء مرهون بنا وبذكائنا وارادتنا، فليست هناك اية لحظة للتضييع في التردد والموارية وكفانا من الاحاديث الديماغوجية العقيمة ! » سمع الكل الدعوة بيد أنه - وشكليا - شرع كل أولئك الذين استعدوا للتدخل سواء لاظهار " اخطار اتفاقيات ايفيان " أو تحسينها في طرح الأسئلة في شكل يكاد يكون بلا تبصر . ففرحات عباس

الذي يعرف جيدا مواقف (جبهة ت و) ضد التجارب النووية كونه قد عارضها هو نفسه وهو على رأس الحكومة (م ج ج) قد ظن اكتشاف تناقضاتنا وتشويهنا للمبادئ حيث سألني :

« إنني أطلب من المقرر، لماذا يريد الفرنسيون الحفاظ على قواعد لهم في الصحراء » ؟ فأجبته :

« للاستجمام تحت الشمس ! إنهم يتخلون لنا عن الشواطىء الجزائرية الرائعة ! فهم يستحقون - إذن - أن نعيرهم بعض الكثبان من الرمال لبعض الوقت » فلم يحاول حتى الرد علي . من المؤكد أنه قد فكر في قرارة نفسه في ضعف مدى جدية سؤاله .

وقد عاتبنا رفيق آخر على كثرة القواعد الصحراوية تحت تصرف فرنسا . وقد أجبته : يكفي أن تكون هناك قاعدة واحدة كي تزعجنا فالأمر ليس في العدد . بل التسوية الوسطى صفقة وأنا جد مسرور لما كان عندى الكثير مما أساوم به . فهلا أردت أن تحدد للمجلس (و ث ج) وبالتحديد أين توجد، عين إيكر، على سبيل المثال لنتفاهم جيدا ؟ فلم يجبني وبدا وكانه يعيد على السؤال . فواصلت : « الا تعرف أين توجد » إذن فلتطمئن ياعزيزي فانا كذلك لا أعرف أين توجد . وشكرا للسيد / جوكص على أنه ابرز لنا العديد من الأشياء التي يتعين علينا استرجاعها في أقرب الأجال »

ثم انتقلنا إلي التصويت وتم قبول الاتفاقيات وهكذا أصبحنا ومنذ الآن مؤهلين قانونيا للتوقيع عليها مع بعض التوصيات العاجلة - بطبيعة الحال - للحصول على أكبر قدر من التحسينات، وحدهم بومدين، قائد أحمد ومنجلي أعضاء قيادة الاركان الحربية هم الذين اعترضوا على وقف إطلاق النار والتحق

بهم أحد قادة الولاية الخامسة الرائد ناصر - الذي لم يكف عن الابتسام دون أسباب ظاهرة - وهو يكاد يعتذر عن موقفه هذا .

بعدما رفعت الجلسة اقترب مني بومدين و على شفتيه ابتسامة نادرا ماأظهرها و قال لي باسلوب معاتبة ودي إنك قد هاجمتنا فلماذا ؟ نحن لم نزعجك أو نحرجك ... فأجبته : « أنا لم أهجم عليك أبدا بل أردت أن أحسم الأمور مع كل أولئك الذين يعتقدون أن « القيام بالحرب هو قص الأحاجي في تونس » وقلت لقائد أحمد الذي مر بجانبي وهو ينظر إلي نظرة ماكرة « إذن ! هكذا انتم ضد وقف إطلاق النار ! » فاجابني كنا نعلم جيدا أن وقف إطلاق النار سيصوت عليه، ولكننا أردنا فقط أن نعين موعدا . وفعلا فقد عينوا موعدا ومنذ ذلك اليوم كانت القطيعة النهائية بين أعضاء قيادة الاركان الحربية والحكومة (م ج ج) فقد اخذوا استقلاليتهم واندفعوا في حلبة الصراع السياسي، ولم يكفوا عن ذلك حتى الإستيلاء على السلطة في الجزائر .

المفاوضات الجزائرية الفرنسية (إيفيان 7 مارس 1962):

بعد أن تم إخطار الحكومة الفرنسية عن النتائج الايجابية لاجتماع طرابلس تم أخذ ميعاد رسمي للقاء بسويسرا، وفي 7 مارس 1962 فتحت المفاوضات الجزائرية الفرنسية رسميا في ايفيان .

عينت (الحكومة م ج ج) نائب رئيسها كريم بلقاسم كرئيس على الوفد الجزائري، وبالاضافة له كان هذا الوفد يضم كلا من أمحمد يزيد، بن طوبال، سعد دحلب، بن يحي محمد، بولحروف، رضا مالك، والعقيد عمار بن عودة .

وكان الوفد الفرنسي مرؤوسا من طرف السيد لوي جوكص ويضم أيضا السيد / روبير بورو، وجان دوبرقلي، بيرنار تريكو، الجنرال دو كاماص، رولاند بيكار ودولوس .

استؤنفت المحادثات على نفس وتيرة سابقاتها بروس وتعين عليها أن تدوم حتى 18 مارس 1962، ورغم أن كل المسائل قد نوقشت في روس إلا أننا لم نهمل ولم نضع جانبا أي منها .

ومع ذلك فالاشتباكات بين وفدينا لم تكن إلا رغبة من كل منا في الحصول على أكبر قدر من التنازلات حول المسائل التي لم تكمل بعد . وقد تطرقنا في ذلك إلى أصغر وأدنى المسائل . فلم تعد هذه الاتفاقيات الآن اتفاقيات حول المبادىء كما كان الأمر في روس، بل أصبحت تتعلق باحتمالات تطبيقها في الميدان على أرض الواقع . وقد أخذ منا هذا الوقت الكثير رغم رغبتنا المشتركة في الوصول إلى التوقيع عليها في أقرب الأجال فكان تطبيق وقف إطلاق النار، لجنة وقف إطلاق النار، حركة (جيش ت و) في حد ذاتها في مختلف النواحي، مكانة الجيش الفرنسي الذي بقي مؤقتا في الجزائر، القوى المحلية المكلفة بالحفاظ على الأمن في الفترة الانتقالية، اطلاق سراح المعتقلين وعودة اللاجئين هي نقاط المناقشة .

لقد تطلب تنظيم الفترة الانتقالية عناية فائقة به : تشكيلة الهيئة التنفيذية - امكانياتها وصلاحياتها . الرجال المطلوب تعيينهم لتشكيلها، المهلة اللازمة لاعداد استفتاء تقرير المصير .

هذه المهلة أي مدة الفترة الانتقالية كانت مسألة أساسية وجد هامة . فكل شيء كان متوقفا عليها حيث إن الحكومة الفرنسية قد تحاول استدراك الكثير من الأمور التي وافقت عليها خلال المفاوضات، وفي كل حال ستحاول في هذه الفترة الاحتفاظ بهيمنتها وتأثيرها على مستقبل جزائر الغد .

وأما نحن فكان علينا أن نستغل الفرصة بفضل الهيئة التنفيذية المؤقتة كي نكرس سلطة جبهة التحرير الوطني على كل الإدارة الجزائرية والشروع في

استخلاف السلطات الفرنسية . وكان حتميا علينا أن نحدد مهلة جلاء الجيوش الفرنسية، مدة استئجار المرسى الكبير الذي كانت فرنسا لا تزال في حاجة إليه ، مهلة الجلاء عن مراكز التجارب النووية منها والخاصة ، والتي كنا نتحاشا تسميتها بقول « التجارب العلمية في الصحراء » حتى نبقى أوفياء لمواقف الحكومة المؤقتة التي كانت تشجب وتندد بكل التجارب النووية عبر العالم الخ ... ولكن هذه الاشتباكات لم تحل دون الاتفاق النهائي الذي كان مكسبا محققا .

وقد تبادى لي أن الحكومة الفرنسية لم تكن تساورها أية ظنون أو أوهام حول المستقبل . السيد جوكص المحنك صاحب التجربة والخبير في الدبلوماسية والمتعود على اللعب في الساحات الدولية، كان يتألم في أعماقه، لأن التاريخ ودقول قد اختاراه ليكون رئيسا على عملية حل مشكلة الجزائر الفرنسية . فلم يكن فقدان هذه الجوهرة من الامبراطورية الفرنسية عند هذا المؤرخ والاستاذ، فقدانا في قوة فرنسا وحسب بل وحتى في فقدان تأثيرها عبر العالم .لقد كان يحاول المستحيل للمحافظة على « الأثاث » ورغم ذلك لم يكن يعرف كيف يتصرف حتى لا يتهم فيما بعد بأنه قد باع الجوهرة بابخس ثمن، وهو الذي لم يكن مسؤولا قط عن حرب الجزائر . وقد كان هذا الارتباك حقيقيا إلى حد أنه قد عانى الكثير، وجرب كل مافي وسعه من التفكيرحتى يجد اسما مناسبا لاتفاقياتنا حيث كان من الحتمي أن تسمى اتفاقياتنا باسم غير هذا لأنه يوحي باننا كنا اندادا مع الممثلين الفرنسيين، ويعنى أيضا أن الحكومة الفرنسية تعترف بالحكومة (م ج ج) . كان علينا ان نوقع على معاهدات وعلى إلتزامات باسم الجزائر المستقبل، دون أن ندعي تمثيل شيء آخر غير « حركة العصيان » في الخارج، وهذا هو السبب الذي جعل الفرنسيين يسمون هذه الاتفاقيات بالتصريحات الحكومية لـ 19 مارس 1962 .

في أحد الأيام خلع السيد جوكص - الذي كان متعبا - نظارته بيده اليسرى في حركة خاطفة وعنيفة ووضعها أمامه، راميا قلمه بيده اليمنى إلي طرف الطاولة - وقد اعتدنا على هذه الحركة التي كان يقوم بها كلما كان غاضبا أو يتظاهر بذلك - ودمدم قائلا « منذ أربعين سنة وأنا أعقد وأحل خيوط مقطعة، ولكنني لم أر أبدا مفاوضات مثل هذه ! » فاجبته بهدوء وبطريقة اكثر ارتخاء وبرودة أعصاب ممكنة « ولكن يا سيدي الرئيس، إنها المرة الأولى التي تتفاوضون فيها مع الجزائريين ! » فاظهر ابتسامة خفيفة واستعاد نظارته وقلمه من جديد .

التوقيع على اتفاقيات ايفيان 1962/3/18 .

أخيرا، في 18 مارس 1962 حوالي الساعة السادسة مساءا وقع الرئيسان جوكص وكريم على اتفاقيات ايفيان (الملحق 15) وحدد وقف إطلاق النار يوم 1962/3/19 في منتصف النهار . في اليوم التالي كان العلم الجزائري سيرفرف حرا طليقا في سماء الجزائر .

لقد ولى عالم في الجزائر وعالم جديد بدأ يظهر، ويستطيع شهداؤنا الأبرار « المجد و الخلود لهم » الآن أن يقروا عينا ويرتاحوا في الملكوت الأعلى مطمئنين .فتضحياتهم لن تذهب هدرا، فتحية خالصة لمجاهدينا البواسل، الذين لايزالوا يحملون السلاح . والمجد والشموخ لشعبنا، والعرفان والشكر للحكومة م ج ج) التي قادت « سفينتنا إلى شط الأمان » رغم العواصف الهوجاء التي تحتم عليها مصارعتها في لجج البحار والمحيطات العميقة ! وتحية لمفاوضينا تحت كنف (الحكومة م ج ج) الذين انجزوا ببراعة مهمتهم، فقد كانوا

بفضل تضامنهم وروحهم البشوشة ومزاجهم الرائق، خير ممثل للجزائر المكافحة في أكبر حدث من تاريخها المجيد .

وقد كان لي الشرف أن أكون منهم ومعهم، وهذا ماأعتز به وأفتخر .

ولكن لاينبغي الإسراع في الاعتراض على هذا القول فإذا ما نحن شكرنا ومدحنا أنفسنا، فانا لا اعتقد لهذا أننا قد كنا « صقورا » . فلا فضل لنافي أننا قد بقينا نحن أنفسنا . وقد اجبت بعض الصحفيين والاصدقاء الذين في معضمهم كانوا يهنئوننا ويجاملوننا على امكاناتنا أمام رجال بمثل هذه الشهرة والصيت والكفاءة بمقام السيد جوكص وفريقه : « ليس هذا بالأمر الصعب، فالفرنسيون في حاجة إلى أن يكونوا علماء وتعوزهم كل علوم العالم كي يبرهنوا علي أننا كنا فرنسيين . أما نحن، وللتغلب عليهم، فيكفينا فقط الأ ننسى أننا كنا بكل بساطة جزائريين » .

الاعلان عن وقف إطلاق النار 1962/3/19 .

وجه الرئيس بن خدة في 1962/3/18 للشعب الجزائري تصريح وقف إطلاق النار الذي تم تطبيقه في 1962/3/19 في منتصف النهار دون أي حدث يذكر . وقد استعاد هذا التصريح الأهم مما جاء في اتفاقيات ايفيان، وحدد كذلك المعنى الذي كانت تعطيه اياه الحكومة (م ج ج)، وحبذا لو اعيدت قراءة نصه فهو جد هام . (الملحق 10)

تعاليق رؤساء الدول على اتفاقيات ايفيان

انني لا ابحث هنا عن تبرير اتفاقيات ايفيان ولا عن الدفاع عن الموقعين عليها، فهذه الاتفاقيات أصبحت منذ زمن طويل غير ذات موضوع، بيد أنه ولأولئك الذين يدرسون التاريخ والحروب التحريرية ، وكل المعارك الثورية، ولأولئك الذين - وبكل نية حسنة، ودون البحث عن التعمق - قد أصغوا لأناس غير مسؤولين يصيحون بالفضيحة و بالاستسلام وبشتى أنواع الإتهامات التي بقدر ماكانت غير معقولة كانت مجانية، فيستحسن - وفيه الفائدة - أن نذكر هنا بتعاليق وردود أفعال رجال دولة وثوار مثال "شون لاي" "وتيتو"، و"فيدال كاسطرو" على اتفاقيات ايفيان . كنت أحبذ لو استعدت هنا تلك الخاصة بالرئيس جمال عبد الناصر، ولكنه ليس لدى أي شيء مكتوب منه .

لم يلمنا أو يعاتبنا أي من باقي رؤساء الدول، ولكنني فضلت وعلى سبيل المثال، أن أختار شون لاي، تيتو، وفيدال كاسطرو، الذين لا أظن أن ثوارنا يستطيعون اتهامهم بالرجعيين واصحاب ميولات مؤيدة للأمبريالية .

سلم في 1962/2/20 عبد الرحمن كيوان ممثل الحكومة م ج ج) في بكين رسالة إلى الرئيس شون لاي من الرئيس بن خدة، مخطرا اياه على سبيل الاعلام عن فحوى ومفاد اتفاقيات ايفيان التي كانت ستوقع في 1962/3/18 مع فرنسا . وقد نقل الوزير الصيني للشؤون الخارجية تعاليق "شون لاي" عن اتفاقيات ايفيان بكل إخلاص وأمانة، وقد صرح الرئيس شون لاي لممثلينا أن حديثه هذا بمثابة الرد على رسالة (الحكومة م ج ج)(راجع الملحق 11) .

وبعد التوقيع على اتفاقيات ايفيان بعث كل من الرئيس فيدال كاسطرو والرئيس تيتوا للرئيس بن خدة برسائل تهنئة يمكن الرجوع إليها في الملحقين(12، 13)

أهمية تاريخ 19 مارس في تاريخ الجزائر :

بمشيئة بومدين أصبح هذا التاريخ (1962/3/19) يمر كل سنة في صمت وخفاء، ولم نعرف أبدا الغرض الذي كان يرمي إليه بومدين، بفرضه لموقف كهذا، والأمر كمثله ابان تربع بن بلة على العرش، حيث لم تكن هناك أية تظاهرة رسمية رغم ذلك ولكون هذا الحدث جد حديث فقد كانت صحافتنا تلمع له كل سنة، وبما أننا نتحدث عن تاريخ 1962/3/19 فقد طلبت مني الصحيفة الأسبوعية "الجزائر الاحداث" في 1965/3/19 مقالا حول المناسبة (كانت تلك هي أول مرة منذ استقلالنا، تعطيني فيها مؤسسة صحفية جزائرية الكلمة) يجب الاعتراف أنني أنا كذالك لم أطلب الكلمة من أي شخص (طالع الملحق 14) .

الجزء الثالث

أزمة جبهة التحرير الوطني

أزمة جبهة التحرير الوطني و المسؤوليات

(جويليا 1962)

لا زال الكثير من الناس يتساءل كيف أن (الحكومتم ج ج) ، بعد تحرير البلاد و بعدما حلت العديد من المشاكل قد "كنست" و أزيحت كأية قشة من طرف بن بلة . فأصدقاؤنا الذين وثقوا منا قد ذهلوا .

والمعادون للاشتراكية والحكم الحالي يتهموننا بالضعف والجبن وحتى في بعض الأحيان وبشيء من اللطف بالخيانة . اما أنصار بن بلة فهم يرون في هذا الدليل على عبقرية وبطولة بن بلة الذي قد انقذ البلاد قبل فوات الأوان من مخالب هذا الوحش المسمى « الحكومة م ج ج » .

والحقيقة ابسط من ذلك ، فسقوط (الحكومة م ج ج) التي كان عليها، ومهما كانت الاحوال، أن تعهد كل سلطاتها بعد الاستقلال الى الممثلين المنتخبين من الشعب، يرجع الى وطنيتها وحسها بالصالح الأسمى للوطن الذي يجب أن تقبل كل التضحيات من أجله .

لقد انقذنا البلد من حرب اهلية أكيدة ، وأفسدنا مكائد ومناورات المغامرين واللامسؤولين ، ومكنا شعبنا من أن يمهل لنفسه كل الوقت للحكم بالدلائل وعلى دراية تامة بالعلل والاسباب ، فنحن جد فخورين بما حققناه وجزاؤنا هو احترام مواطنينا لنا و ارتياح ضمائرنا .

للأسف كادت أزمة (جبهة ت و) أن تذهب بكل الجزائر في جويليا 1962، ويبقى بن بلة هو المسؤول الاول والاساسي عن هذه الأزمة .

فأين كنا سنجد أنفسنا اليوم ؟ وكيف سيكون مصير الجزائر وعاصمتها إذا ما كنا قد ألقينا في 1962 بمجاهدي الولايات والحدود في قتال دموي بعضهم ضد بعض، وهذا لإرضاء طموحات بعض الأشخاص ؟

فليس من نافلة القول أو متاخرا عن اوانه أن نعطي بعض الشروح حول موقف (الحكومة م ج ج) ازاء بن بلة وأن نذكر بآخر خدمة قدمناها للوطن . وربما قد حان الوقت ايضا لنضع بعض النقاط على الحروف ! وفي هذا، ليست لي أية أفكار وهمية لأن الناس ذوو ذاكرة قصيرة . فالاساطير صعبة الهدم والخرافات يتعذر استئصالها، وتلك الخاصة ببن بلة ستكون اكثر صلابة واستعصاءا على الخلع لاننا قد كنا اول من غذاها سواءا بدعايتنا ابان حرب التحرير من اجل خدمة قضيتنا أو بصمتنا وعدم مبالاتنا ابان أزمة (جبهة ت و) في 1962 . وليكن ما يكن ! يكفي أن ينار رجال النوايا الحسنة . وما الهدف من هذا ؟ لاشيء الكثير حتما ! لإعلامهم فقط . لأن بن بلة، الوفي لذاته يتكلف شخصيا بتذكير نفسه على حساب ذكرانا الجميلة، ويبدو أنه على استعداد تام ليهب شخصه للجزائر واضعا نفسه تحت تصرفها كي ينقذها مرة أخرى ! !

مواصلة الكفاح ودعمه كانت إبان الحرب التحريرية أمرا ضروريا كما أن عبارة « الكل في سبيل الجهد الحربي » كانت هي دائما شعارنا الأول .

لم نهتم كثيرا بما بعد وقف اطلاق النار وما بعد الاستقلال . وهذا تقصير من (المجلس و ث ج) الذي كان مبدئيا يتكلف باعداد سياستنا وكذا تقصير من (الحكومة م ج ج) . التقصير الذي تبرره الثقة العمياء للحكومة م ج ج) في كل اعضائها، ضباطها، مناضليها، وفي كل الشعب الجزائري ولعل هذا هو الخطأ الاول الذي ربما كان السبب في كل الفوضى التي اعقبت الاستقلال .

غير اننا كنا نقود حربا سياسية للاستقلال كانت تفرض علينا وحدة تامة في التصدي للعدو . فكل نقاش ايديولوجي لم يكن له الا أن يظهر ويفجر كل اختلافاتنا وتناقضاتنا . ولا ننسى أن (جبهة ت و) ما هي الا محصلة لكل النزاعات الجزائرية . وكل ما كان يجمعنا هو حبنا للوطن، وإرادة التحرير الوطني والإنتماء الى الإسلام . وهذا كان يكفي ليوطد تماسك صفوفنا .

كان شغلنا الشاغل إبان الفترة الاخيرة من الحرب التحريرية هو فضلا عن مواصلة الكفاح وتدعيمه، التصدي للحكومة الفرنسية .

وبالإضافة الى الكفاح المسلح كان كل خطأ سياسي أو خطأ في أسس التوقيع على المفاوضات فيما يخص وقف اطلاق النار وتقرير المصير قد يكون فادحا ولايمكن استدراكه . فبعد الاتفاق التام على الهدف الأساسي للاستقلال وحول المحادثات التي شرع فيها مع الحكومة الفرنسية كان علينا أن نعرض جبهة موحدة، دون اية صدوع وفي كل الاحوال العمل على إخفاء كل ما قد يشير الى وجود أية نزاعات تلغم (الحكومة م ج ج) ومختلف تنظيماتها وخصوصا قيادة اركان جيش التحرير الوطني .

وفي هذه الأثناء ورغم هذا الواقع وكي نكون اقرب ما امكن الى الحقيقة، وبما أن الأمر يتعلق بما بعد الأستقلال، فقد كانت لنا فكرة ما على ميثاق يتركز اساسا على لائحة الصومام القاعدية التي أعدتها (جبهة ت و) في 1956 .

وأقول اليوم اننا كنا نريد أن نجدد ونحدث هذه اللائحة، كما كنا نرى أن لنا الوقت الكافي والزائد لدراسة وتفحص المشاكل بالتوازي مع الإعداد لإستفتاء تقرير المصير بعد أن يطلق سراح المعتقلين ونجتمع كلنا ، فبعد أن نصبح احرارا متمكنين من مصيرنا، وبعد أن نستقل كنا سنلتقي اولا ونجتمع وبطبيعة الحال كنا سنقوم بحوصلة اعمالنا، ونضع مشاريع، وخططا للمستقبل .

لقد ساد إنقلاب شامل في كامل البلاد بعد « الزلزال » الذي لم يطل بضع ثواني فقط بل سبع سنوات ونصف . كان هناك مئات الآلاف من القتلى والمفقودين وآلاف الآلاف من المعوقين، المرضى، الأرامل، واليتامى . لقد بذلت تضحيات جسام، وعانت أجيال بكاملها . وكان جيل جديد سيبرز . خلاصة القول، السؤال الأول كان : لقد ذهب الفرنسيون فأين البلد من هذا ؟ ويحق لشعبنا أن يرتاح و يتنفس، مع أنه لم تكن هناك أية دقيقة للتضييع . وينبغي على الجزائريين أن يجنوا ثمار ما حققوه بجهدهم وعملهم الجبار . بيد أنه يتعين عليهم أن لا يتأخروا كثيرا عن إستئناف العمل . فما العمل ؟ إذاً كان ثاني سؤال نطرحه على أنفسنا من أين وبماذا نبدأ ؟

والحال أن بن بلة قد تدخل هنا ، فبعد ان كان مبعدا طويلا عن الساحة وقد أخذته نشوة الدعاية الضخمة التي اقمناها حول اسمه، ويكذف « كالفرس المتلهف إلى الدخول في السباق »، لم يكن عند بن بلة الذي لم يكن يعلم أي شيء عن حالة الجزائر والجزائريين وآلام الشعب وآماله غير هدف واحد ألاَ وهو الإستيلاء على السلطة ، فلم تكن تهمه الوسيلة أو الكيفية . وعلى اية حال لم تكن له أية فكرة عن عواقب هذا التلهف .

اتذكر وصوله الى تونس بعد إطلاق سراحه في 19 مارس 1962 . فقد خصصناه باستقبال حماسي استقبلناه كبطل ، ومباشرة بعد نزوله من الطائرة وأخذ الكلمة، صاح قائلا ثلاث مرات « نحن عرب »، « نحن عرب » ، « نحن عرب » دون أي تمهيد أو سبب جلي لأن لا احد في (الحكومة م ج ج) قد قال

العكس . وقد اذهلنا هذا وصفقنا له بطبيعة الحال، ولكن إشارة البداية قد أعطيت . فقد شرع بن بلة دون أي تأخر في لعبته ، فكان سيزعزع كل شيء دون أية مراعاة او اعتبار . ومع انه قد شرع دون تمهل في الإطاحة بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فإن هذه الأخيرة قد كانت مقيدة بالكثير من الإلتزامات التي يجب إحترامها والعديد من المشاكل التي تنتظر حلا لها . فكان يتعين عليها أن ترد على السيد جوكص الوزير الفرنسي الذي ترأس الوفد الفرنسي في مفاوضات إفيان كما أن الإعداد لتقرير المصير كان أمرا يفرض نفسه .

كما كان يتعين أن تعين تنصيب الهيئة التنفيذية المؤقتة و السهر على أن تبسط (جبهة ت و) ومنذ الآن سلطتها و نفوذها على الإدارة القائمة و إعادة اللاجئين الى الوطن و تمكين جيش التحرير الوطني الموجود في الحدود من الدخول الى البلاد وجيش الداخل من الخروج من الخفاء بأمان بدون تصدع والإعداد لإستفتاء تقرير المصير .

فبينما كان وزراء (الحكومة م ج ج) العاملين حاليايحاولون الإجابة على هذه الأسئلة كان بن بلة من جهته يستعد للاستخلاف ليس إلا، رغم انه كان نائب رئيس الحكومة وكنا نظن كلنا أنه سيخلف بن خدة على رأس حكومة لن تكون مؤقتة . فإجتماع (المجلس و ث ج) الذي كنا سنعقده لضبط الأمور والإعداد لعودتنا وضمان إستخلاف الإدارة الإستعمارية قد حول الى لقاء لتصفية الحسابات، فقد تجاوز بن بلة الحدود وضرب عرض الحائط بكل قواعد التعامل في (المجلس و ث ج) وقد أخذت تدخلاته التي لا تمت بأية صلة الى مسائل الجدول اليومي شكل تحديات وإثارة حقيقية . وكانت خيبة أملنا كبيرة . فلم يأت الخمسة بأي شيء بناء . وعوض ان يدعمو سلطة (جبهة ت و) في

فجر الإستقلال وتجديد ثقة الشعب والبلدان الصديقة فقد أجبروا (المجلس و ث ج) على مناقشة مسائل زائفة والخوض الخانق في النزاعات الشخصية فتقضي تماما تحت الرغبة العمياء و المضللة للحكم والسلطة في ساعة النصر، على كل التضحيات الجسام والجهود التي قدمت وبذلت من مجموع (المجلس و ث ج) لقيادة ثورة التحرير على درب النجاح في زمن الانتصار .

اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية في طرابلس

(27/ 1962/05 إلى 1962/06/04) .

عقد هذا الإجتماع في طرابلس من 27 ماي الى 04 جوان 1962 ومنه أطلق إسم الميثاق الذي إنبثق مبدئيا عنه .

صحيح أن ميثاق طرابلس هذا قد وضع بإجماع مشترك حوله ولكن تحريره تم في عجلة من طرف مجموعة من المناضلين ولم يناقش كما كان متفقا عليه وقد قبل في جو من التسرع والغموض . كان المحررون الأساسيون لهذا الميثاق مناضلين معروفين كما كانوا يحظون بثقة (المجلس و ث ج) التامة . فلا أحد كان يستطيع أن يشك في إخلاصهم وأمانتهم . ولم يكن يرى (المجلس و ث ج) في معظمه أي داع لمراجعة العمل الذي قامت به اللجنة المرؤوسة من طرف بن بلة ذاته، نائب رئيس (الحكومة م ج ج) وعضو ذو مكانة مرموقة في (المجلس و ث ج) . وعلى أية حال تلك هي مشاعر بن خدة ومشاعري . ولكننا لم نعتقد و لو لحظة واحدة أن العمل المنجز كان نهائيا، كنا نرى أن هذا الميثاق يمثل اساسا للنقاش، وفي كل الأحوال ستعاد دراسته بمناسبة حملة المجلس التأسيسي الجزائري المقبل، والتي لم نكن نشك ابدا فيها . و بالإضافة

لذلك لم نكن نرمي الى فرض أي اختيار على الشعب بل إعطائه حرية الإختيار مع إخطاره بتفضيلنا للإختيار الإشتراكي .

قدم بن بلة و خيضر قائمة من سبعة اعضاء من المكتب السياسي وعرضاها على (المجلس و ث ج) كي تستخلف بكل بساطة (الحكومة م ج ج) على رأس (جبهة ت و) وبالإضافة « إلى الخمسة » : بن بلة، خيضر، ايت احمد، بوضياف، وبيطاط كانت القائمة تضم الحاج بن علة ومحمدي السعيد ، فكان هذا الشرارة التي اضرمت النار في البارود ، فقد ثار الغضب حول هذه المسألة فقط لانها كانت تعني السلطة . وخلع بن بلة وخيضر اقنعتهما حيث لم يكونا يرغبان في أي شخص من الفرقة القديمة . واما عن محمدي السعيد فلعله كان خدعة لمنطقة القبائل والحصول هكذا على نوع من التوازن الجهوي في اختيار القيادة الجديدة .

لم يقبل في البداية هذا المكتب السياسي لأن العديد من المؤتمرين قد رفضوه ولذا لم ينتخب من طرف المجلس . وكذا لكون بوضياف وآيت احمد قد رفضا الانضمام إليه لأنهما كانا يعارضان بشدة بن بلة، ولم يقترحهما هذا الأخير الأ على مضض، و من المؤكد أنه كان يريد استغلالهما للقضاء على (الحكومة م ج ج) ثم التخلص منهما فيما بعد كما فعل مع كل من بيطاط وخيضر اللذين انفصلا عنه مباشرة بعد الحصول على السلطة . وبما ان بوضياف وآيت أحمد قد رفضا التحالف مع بن بلة وخيضر فقد كان مستحيلا جمع الأغلبية القانونية (الثلثين) لتعيين المكتب السياسي .

قدم بن خدة استقالتة من منصب رئيس (الحكومة م ج ج) حتى « لا يشكل أي عائق » . و قد رفضت بالإجماع . ولكن الاتفاق بقي مستحيلا لأن بن بلة وخيضر المدعمين بقوة من طرف قيادة الاركان الحربية التي اصبحت معارضتها (للحكومة م ج ج) علنية ، لم يفصحا عن ما كانا يريدان فعله او

لانهما لم يكونا يعرفان بعد كيف يحققان غايتهما . متعبين ومنهكين تماما عاد بعض اعضاء (المجلس و ث ج) التحقوا بمناصبهم العادية .

ترك بن خدة رئيس (الحكومة م ج ج) بدوره طرابلس فجأة وقد عدنا سويا الى تونس . وهكذا اذن عرف اجتماع (م و ث ج) بطرابلس نهاية غير مرضية وافترقنا كلنا في البلبلة والغموض والاضطراب وعدم النظام .

إليكم كيف شرح بن خدة فيما بعد في بيان لجبهة التحرير الوطني) في 1964، قرار مغادرته لطرابلس :

« إن عدم التقدم في المناقشة للمجلس (و ث ج) وعجزه عن تعيين مكتب سياسي و انعدام سلطة مركزية في الظروف الخاصة والحرجة التي كانت تمر بها البلاد، والخوف من ان يغتنم بعض المجازفين وبعض الطموحين هذه الظروف للتنازع على السلطة أو الإستيلاء عليها على حساب كل ما حققته الثورة، قد اقنعوني انه وبعد كل شيء، يكون الاجدر أن نحتفظ بالحكومة (م ج ج)، على الأقل حتى الإستقلال ، لانه ورغم نقاط ضعفها الداخلية كانت (الحكومة م ج ج) تتمتع باعتماد كبير سواء كان ذلك لدى الشعب أو لدى الرأي العام الدولي . فكل مساس ب (الحكومة م ج ج)، شريكة دوڤول في إيفيان، والمسؤولة المباشرة عن تنفيذ وقف اطلاق النار، كان ليبعث البلبلة في فرنسا، ويشجع المتطرفين المتعصبين من الفرنسيين ويبث الغموض والاضطراب في الشعب الذي كان في امس الحاجة لرصّ الصفوف و الإتحاد في مواجهة التحديات الدموية التي تقوم بها المنظمة السرية المسلحة (OAS) وأن يقوم بالخطوة الأخيرة كي يظفر بهذا النصر ، فلكل هذه الاسباب وحتى اسد الطريق في وجه كل أولئك الذين قد يعرضون كل ثمار هذا النصر للخطر، اخذت على عاتقي ان اغادر

طرابلس والتحق بتونس واستئنف ومسؤولياتي وفضلا عن ذلك كان اعضاء آخرون من (المجلس و ث ج) قد غادروا طرابلس » .

بعد ان غادر بن خدة طرابلس متجها نحو تونس، اقل بن بلة الطائرة نحو القاهرة، وشرع مباشرة في عمله « الهدام »، ومن القاهرة عاد بن بلة الى الرباط ثم من الرباط التحق بتلمسان في نفس الوقت الذي عادت فيه (الحكومة م ج ج) الى الجزائر والبهجة تغمرها في 03 جويليا 1962 وكان الشعب يعبر عن فرحته في جو المرح والعيد يتعذر وصفه فقد اعلن في نفس اليوم رئيس الهيئة التنفيذية المؤقتة، عبدالرحمان فارس عن استقلال الجزائر .

وكان العلم الجزائري يرفع لأول مرة منذ 132 سنة عاليا امام مبنى الهيئة التنفيذية المؤقتة، في حين ان العلم الفرنسي كان ينزل رسميا . فقد كانت نتائج الإستفتاء حول تقرير المصير حاسمة، حيث صوت الشعب الجزائري بالاجماع على الإستقلال وما كان على الحكومة الفرنسية للجنرال دوقول إلا أن تسلم بذلك فوريا .

كانت الجزائر تصفق لبن خدة واتباعه دون أن تتساءل عن معنى تلمسان، التي كانت هي - على غرار ذلك - تحتفل بالإستقلال في شخص بن بلة، دون أن تتساءل عن معنى الجزائر .

فبن بلة ومنذ إجتماع طرابلس الذي حاد عن سيره قد نصب فريقه - بدون أي تردد - كمكتب سياسي هذا المكتب سيدعي إنطلاقا من تلمسان تمثيل جبهة التحرير الوطني ثم سيستقر بالجزائر العاصمة و كان يضم : بن بلة ، خيضر ، بيطاط ، حاج بن علة و محمدي السعيد ، و منذ طرابلس كان له أنصار كثيرون ، و لم ير بن بلة وسط الحماس الشعبي إلا السلطة و الوسيلة للاستحواذ عليها ، فهب كل أولئك المستائين والساخطين في الخارج وكذلك « كل أولئك الذبن عادوا الى بيوتهم بعد أن أنجزت مهامهم » لدعم بن بلة و الإلتفاف حوله وقد زاد في هذا الدعم التحاق فرحات عباس وكل الأناس الطيبين الذين كانوا يثتون فيه .

وبالإضافة لإلتحاق عباس فقد كان للتحالف مع بومدين وزن حاسم . حيث مكن بن بلة من أن يقدم نفسه كزعيم حقيقي لجبهة التحرير الوطني ومن أن يظهر للكثير ـ غير المطلعين ـ على أنه كافل الثورة الجزائرية . فقد اتاه بومدين بعنوان قائد أركان الحرب لجيش التحرير الوطني اتوماتكيا بدعم جيشنا في الحد ود ، الذي كان آنذاك جزءا لا يتجزء من جيش التحرير الوطني . لانشغالنا بانسجام وتماسك ووحدة القيادة والعمل، لم نحاول قط ان نضع تمييزا بين جيش الحدود و جيش التحرير الوطني . وبالإضافة الى الجانب التمثيلي الذي كان يضمنه لبن بلة فجيش الحدود الذي يضم 30 000 رجل جيدي التعليم والتدريب ومدججين بالاسلحة، لم يكن جيشا كلاسيكيا حقـيقـيا وحسب، بل و أنه كان يمثل القوة الوحيدة المنظمة التي بقيت من سابق (جبهة ت و) ـ (جيش ت و) . وكان اذن من الصعب ان ينظر لبن بلة على انه شيء آخر غير الزعيم الكبير الذي يريد إنقاذ البلاد ! ؟

ولكن، بماذا كانت البلاد مهددة على وجه التحديد ؟ لابأس ! فبن بلة قد اخترع كل الحجج، وقد اعطى اناس واعون بومنجل و د . فرانسيس المعروفين بحكمتهم شكلا معتبرا لهذيانه . من كان يستطيع ان يشك في وطنية بن خدة، بن بلة، فرانسيس و بومنجل ؟ لم يجد الشعب بدا من ان يصبح حائرا، ممزقا وذاهلا امام الامر الواقع، فقد كان يثق في كلا المعسكرين . وكانت لبن خدة وكريم بلقاسم مكانة في البلاد ان لم نقل تفوق فهي تضاهي مكانة زعماء تلمسان . فإذا لم يوجد المخرج كانت الحرب الأهلية أكيدة . ماذا كان في وسع بن بلة ان يقدمه للتنازل اذا ما هاج، حيث انه كان على جهل تام بمشاكل الكفاح في الجبل، وآثار سبع سنوات ونصف من القتال . هل كانت لديه اية فكرة عن فظاعة و وحشية حرب الجزائر، وهي الفكرة التي كانت ستوحي له بفظاعة

الصراع بين الاخوة واحتمال الحرب الاهلية ؟ لم يكن يبالي ابدا بالعواقب . وحسب رأيي فانه لم يكن حتى على دراية بها . كان بومدين رئيس الاركان والذي يملك جيشا قويا، جديدا ومدججا بالاسلحة يحترق شوقًا لاستعماله؛ حيث كانت تلك هي اول فرصة تتاح له كي يبرهن على "إضرام النار" . فكان على عواتقنا نحن اعضاء (الحكومة م ج ج) أن ننقذ البلاد ونتفادى ما لن تحمد عقباه ، فنحن قد تألمنا وضقنا المرارة، ورأينا خاصة احسن من بيننا يتألمون و يموتون، الشبان الجزائريين، من أجل أن تصبح الجزائر وتبقى بلدا حرا وسعيدا ،فنحن الذين انتزعنا استقلال الجزائر على مدى الأيام والاشهر والسنين في الآلام والدموع والدماء، ولن نسمح ابدا بان ينسف هذا الاستقلال من اجل الرغبة التافهة للنزاع على السلطة، فالتحذيرات لم تكن تنقصنا ، والمشهد المؤسف الذي كانت الكونغو تعطيه للعالم كان "يجمد الدم" في عروقنا ، وكنا نرتعش خوفا من ان تخضع الجزائر لنفس المصير . فقد كنا نخجل من انفسنا ونخاف ، نخجل من رؤية المكانة المرموقة والشهرة التي حصلت عليها الجزائر بآلاف التضحيات تبدد من اجل رضاء رؤية البعض منا ، الذين سلموا من الحرب، يجلسون على الارائك، الارائك التي كانت زيادة على ذلك مزعزعة كما كان يستطيع ان يتصوره كل المسؤولين الواعين . وكنا "نخشى من الكونغولية في الجزائر" ، فكان شعارنا « الذي ينبغي تفاديه بكل وسيلة » .

كل الظروف الملائمة لحدوث كارثة مثل هذه كانت متوفرة : فالولايات التي اكتضت فجأة بآلاف المجندين الجدد وكثرة السلاح، كانت غيورة على حدودها الترابية وتزعم الحفاظ على استقلاليتها ،فكانت كل منها تفرض سلطتها المطلقة على ترابها ، الأ ان هذا لم يمنع النزاعات بين قيادة الاركان الحربية وبن بلة من

جهة و (الحكومة م ج ج) من الجهة الاخرى، من ان تتوسع الى نطاق هذه الولايات بدورها . فكان منها من هي مع الجزائر أي مع (الحكومة م ج ج) ومنها من هي مع تلمسان أي مع بن بلة ، فبومدين لم يكن معروفا الا عند القليل . وحتى في داخل الولايات ذاتها كانت التفرقة تتغلغل، أولئك الذين كانوا مع الشرعية و أولئك الذين كانوا ضدها : كانت الولاية الثالثة ومنطقة الجزائر الحرة في صالح (الحكومة م ج ج) ، وكانت الولاية الرابعة محايدة، وكانت الولاية الثانية تقف بشدة ضد تلمسان وتحتفظ بقايد أحمد (الملقب آنذاك بسي سليمان) في السجن، حيث كانت قد حكمت عليه لكونه حاول اثارة الجنود ضد ضباطهم وهو لا يدين بحياته و إطلاق سراحه الا للتدخل الشخصي لبن خدة رئيس (الحكومة م ج ج) الذي استشاره قائد الولاية بوبنيدر الملقب بـ « صوت العرب » وقد التحق قايد أحمد بكل حرية باصدقائه في تلمسان .

كانت الولاية الأولى مقسمة وكانت الولاية الخامسة مكسبا لبومدين منذ البداية لكونها أم جيوش « الغرب » وهذا رغم ان الكثير من الضباط والجنود كانوا في صالح (الحكومة م ج ج)، ولكنهم كانوا جنودا منضبطين . كانت الولاية السادسة تحت قيادة العقيد شعباني، الذي اختار الفريق الاكثر قوة و كان يعد بالسلاح والمال ولكنه كان ذا ميولات خاصة . وكان يعتبر نفسه قائدا لدولة الجنوب وبدأ يفرض حقوقا جمركية على حدوده . وكان قليل الاهتمام بالعواقب بحيث انه فيما بعد تمرد على السلطة المركزية . ولم يمض وقت على الجيش الوطني الشعبي حتى فتك به، حيث تم الحكم عليه بالإعدام رميا بالرصاص فيما بعد من طرف محكمة عسكرية لوهران ونفذ فيه الحكم .

كانت ذكرى انشقاق (الحركة لانتصار الحريات الديمقراطية) لازالت حية في اذهاننا وكذا كل النزاعات الداخلية التي اعقبته، فالمناضلون كانوا يقتلون بعضهم بعضا بدون شفقة، وكان اجودهم و احسنهم يموتون تحت رصاص رفقائهم ذاتهم . لقد كبدتنا المواجهة بين (جبهة ت و) و (الحركة و ج) آلاما جسيمة حتى لمجازف من جديد برؤية مناضلي الجيش الوطني الشعبي يتقاتلون بدورهم من اجل الدفاع عن افكار ديماغوجية وكثيرا ما كانت كاذبة . وعلى الاقل ففاجعة انشقاق (الحركة ا ح د) قد وجدت (جبهة ت و) كي تتجاوز المشكلة، وتبعث الثقة في صفوف الوطنيين وتجمع شمل الشعب لاجل الكفاح التحريري . ولم تكن لحرب اهلية في الجزائر أية حظوظ لتنتهي قبل ان تحدث كارثة لن تستدرك ابدا . بمقدار المشاكل التي لم يعشها بن بلة ولم يشعر بها ابدا، كان بومدين اكثر من ذلك بعدا عن هذه المشاكل الآنية آنذاك ولم يكن يفكر في غير دراسته ومكانته في القاهرة . واما عن عباس فقد نظر هو دائما لأزمة (الحركة ا ح د) عبر موشور يكاد يختلف قليلا عن ذاك الذي يخص الاجانب .

ومهما كان الثمن فتفادي الوقوع في مثل هذه المغامرة كان حتميا ولازما .

علاوة على المخاطر التي كانت تمثلها الولاياتية (نزعة الانتساب للولاية) على وحدة الشعب والتراب الوطني، كانت هناك طموحات مغربية . ولمدة ثلاثة اشهر، كان الملك الحسن الثاني قدعين ممثلا له لدى الخمسة المعتقلين (بأونوي . AUNOY)

محمد لغزاوي الذي كان آنذاك مدير عام الامن المغربي، تم تعينه « سفيرا لجلالة الملك لدى بن بلة » . ولم يكن الملك الحسن الثاني يخفي هذا . كان يعترف دائما ب (الحكومة م ج ج) ولم يكن ليسبب لها أية صعوبات ولكن

(الحكومة م ج ج) لم تكن تعرف شيئا عمّا كان يدور بين بن بلة ومحمد لغزاوي، وعلى أية حال كان الحسن الثاني يعتبر بن بلة بمثابة (الحكومة م ج ج) هو لوحده وكان يعامله بناء على ذلك . وكما ان الملك لم يستطع الحصول على دعم (الحكومة م ج ج) في مطالبته بموريطانيا، وكما ان (الحكومة م ج ج) قد رفضت التعامل معه حول مسألة الحدود وتندوف وذلك بادعائها ولصفتها ذاتها ان هذا المشكل لا يمكنه ان يكون من صلاحيات حكومة مؤقتة، فانا اعتقد ان الاهتمام الخاص الذي ابداه جلالة الملك ازاء بن بلة ذا علاقة مباشرة مع هذه المسائل . وكما راينا بن بلة يفعل، فان هذا الأخير كان يستطيع ان يقدم له كل الوعود المرجاة . وما عسى الملك الحسن الثاني ان يخسره اذا ما صدقه، او تظاهر بتصديقه . ويجب الاعتراف ان بن بلة لم يضيع الوقت كثيرا كي ينفصل عنه، حيث انه ومباشرة بعد توليه زمام السلطة دخل معه في حرب . وكانت هذه الحرب الاولى حول الحدود الجزائرية ـ المغربية قد أشعلت بسرعة ودون اي استعداد كان الى حد انه يمكننا اليوم ان نفكر بان بن بلة قد أحرج ربما في ذلك العهد وان الملك الحسن الثاني قد اراد اجباره بتذكيره بحق بوعوده . فانا لاأرى أسبابا أخرى كي يعرض الملك الحسن الثاني نفسه للشبهة الى هذا الحد مع سجين حتى ولو كان اسمه بن بلة . انا أعرف جيدا ان فكرة الملك بتعيين سفير لدى بن بلة قد اتته بعد ان أضرب هذا الاخير عن الطعام ولكن الامر يتعلق خصوصا بما تلى ذلك . فالامر يتعلق بثلاثة اشهر من الوجود والاتصال الدائمين بين الملك والرئيس الجزائري المقبل . لقد تهور وتسرع بن بلة في مواجهة حاميه الشهير ولم يكن يستبعد حتى ذمه الى حد انني على وشك التفكير في انه لم يغفر له ابدا محاولة جعله مجرد "دمية" يحركها كما يشاء، و قد اراد ان يقنعنا كلنا ويجعلنا شهودا له بانه قد اخذ حيطته ومسافة منه ؛ وقد ظهرت نفس الظاهرة

مع بومدين، حيث اصبح هذا في اواخر ايامه مناهضا شديدا الى حد التحرش الوحشي للحسن الثاني .

فلا بن بلة ولا بومدين وقد ساندهما الحسن الثاني هما الإثنان في مسعاهماالتحطيم (الحكومة م ج ج) في 1962، قد احتفظا لهذا الاخير بصداقتـهما ولا حتى اعترفا له بأي جميل كان ، لأن علاقتهم لم تكن صادقة و كانت ذات اسس سيئة . فنزاعاتهم، المشبعة طبعا باسباب سياسية، لم تسيء للأسف الى العلاقات الجزائرية المغربية وحسب، بل وقد احرجت بشكل بالغ فكرة مغرب عربي موحد . فكل المشاكل مهما كانت صعوبتها كان من الممكن العثور لها على حلول كافية لو كانت في الأساس مشاعر الصداقة و الاحترام المتبادل موجودة . ومن سخرية التاريخ ان مسؤولي (الحكومة م ج ج)، وقد ساعد الملك الحسن الثاني وبدعم منه في تدميرهم، هم الذين احتفظوا له بصداقتهم واحترامهم، ويأسفون على النزاع المولود عن الصحراء الغربية، ويأملون بحرارة وشغف في السلام واعادة علاقات جيدة مع كل شعوب المغرب العربي بما في ذلك الشعب الصحراوي . في حالة حرب اهلية لم يكن الملك الذي ساعد بن بلة في الدخول الى تلمسان ليفوت على نفسه الفرصة لمساعدته عسكريا، حتى ولو لم يكن بن بلة في حاجة لذلك .

وكان من السهل على فخامته ان يقنعه بالتفكير في كل الإحتمالات واخذ كل الحيطة الواجبة . الجيوش المغربية الى جانب جيوش تلمسان، وبن بلة حتما منتصر، فمن ذا الذي كان يستطيع بعد ذلك ان يطرد المغاربة اذا ما بقوا واقاموا ؟ . وكان اذا على بن بلة ان يدفع لهم ثمن دعمهم له، و اقل ما يمكنه تقديمه بين الاخوة هو اعادة النظر في الحدود من الشمال الى الجنوب وحسب رغبات الملك : فأبطالنا يدينون له حقا بهذا !

ومن ذا الذي كان ليرفض لبورقيبة ما قد يكون قد سمع به للحسن الثاني ؟ ولعل علامة المسافة « 233 » قد تكون اليوم حقيقة تونسية .

لقد حدث كل هذا في ظل كارثة ونكبة حقيقية . ولنضف الى ذلك كله طموحات الرئيس ناصر الذي سارع بإرسال باخرة تحمل 3000 جندي ينتظرون في ميناء وهران، والوجود الفرنسي الذي لازال قائما .

كان يكفي ان يغير جنرال فرنسي رأيه ليستقبل اخيرا لصالح البلبلة السائدة، جيش الحدود ، هذا الذي استحال الوصول اليه، وليحاول استرجاع كل ما ضاع ؟ وعلى اية حال فالجزائريون هم الذين يعيدون طرح المسألة على البساط لان بن بلة كان يلهو مسبقا و في الاعتراض على اتفاقيات افيان حتى قبل الشروع الفعلي في تطبيقها . وكان ينتقد كل شيء عشوائيا واعتباطيا وكأنه نسي انه قد شارك من البداية الى النهاية في ابرام هذه الاتفاقيات .

لم يكن اي شيء من هذا السبيل ليمر على ذهن بن بلة وهذا الخوف هو الذي جعلنا نخلي المكان و ينقذت البلاد ، فلم اكن ارضى لنفسي ان اظهر منتميا الى فريق يسعى بدون أمل في الحصول على جزء من السلطة . وقد صرحت في مكان ما ان « الجزائريين قد كافحوا من اجل استقلالهم، وليس ليكرسوا ذلك الرجل أم ذاك على السلطة » . و اضفت علاوة على ذلك ان الشعب الجزائري هو سيد نفسه، وان اي مسؤول جزائري كان، المهم ان يريد حكم البلاد بالحق والعدل، سيهل على الرحب والسعة .

ماذا حاول بن خدة فعله ليحل الأزمة ؟ مع انه كان محلا للمهاجمات اسميا ويوميا، فان بن خدة كان يبحث عن اي سبيل كان لتفادي سقوط البلاد في الفوضى والحرب الأهلية، فكان يكافح و يصارع لوحده وقد تخلى عنه زملاؤه وأولهم انا الذي كنت اختنق في ذلك الجو المتخم بالنوايا المبيتة و الجنون

الأهوج . وقد ضاعف دون كلل او يأس من نداءاته ومساعيه للتحلي بالحكمة والرشاد و الوطنية، كان يريد بكل بساطة ان ينقذ سمعة وشرف الشعب الجزائري وذلك بأن يمكنه من انتخاب حكامه في ظروف لائقة و مقبولة، بعد اجتماع جدي لمجلسه الوطني للثورة الجزائرية (م و ث ج)، الشعب الذي كان سيبرهن للعالم الذي كان يراقبه انه شعب أبي، ناضج متفطن وجدير بماضيه القريب وبالاحترام والاهتمام اللذين أبديا له طيلة كفاحه المجيد من اجل استقلاله .

فأمام تعنت وتصلب بن بلة وخيضر اللذين لم يكونا ليتراجعا أمام أي شيء لبلوغ مطامحهما، ولو كان ذلك سيكلف إحراق البلاد ، قبلت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 23 جويليا 1962، المكتب السياسي كما كان منبثقا من طرابلس، وكانت تطلب فقط ان يصادق (المجلس و ث ج) على هذا القرار . عوض ان يبذل جهدا لدحر المصاعب والتقرب من (الحكومة م ج ج)، فان بن بلة و انصاره قد ضاعفوا من الحوادث راغبين في الإستيلاء وبالقوة على كل التنظيمات التي كانت تفلت منهم . وكان هذا يتطلب الكثير من الوقت والشرح . وفي غضون ذلك وقعت احداث منطقة القبائل والمنطقة القسنطينية و في 28 جويليا 1962 ادلى الرئيس بن خدة بالتصريح التالي :

« لقد قبلت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في اجتماعها يوم 23 جويليا المكتب السياسي كما انبثق من طرابلس والذي يضم سبعة اعضاء وذلك حرصا منها، وبأي ثمن كان، على ان لا تكون هناك مواجهة دموية بين الجزائريين ، غير أنها أرادت أن يصادق على ذلك المجلس الوطني للثورة الجزائرية .

في الوقت الذي كانت فيه الأزمة على وشك الإنتهاء، برزت هناك الاحداث المؤلمة لمنطقة قسنطينة، لتزيد من خيبة أمل الشعب . لم تكن هناك أية أسباب

لتعليلها . ومنذ ذلك العهد إزدادت الأوضاع تفاقما وخصوصا في منطقة القبائل . وقد اغتنم هذه الفرصة جزء كبير من الصحافة الفرنسية و أستعاد الشعار القديم للتفرقة بين « العرب و القبائل » .

ان الشعب الجزائري الذي عرف كيف يظفر باستقلاله في الوحدة، سيعرف كيف يحول دون كل المؤامرات وسيفرض مرة اخرى هذه الوحدة .

وسيقف في وجه كل أولئك الذين سيحاولون ان يمنعوا عنه ثمار الانتصار والديمقراطية .

ان الاعمال العدوانية العنيفة مهما كان مصدرها، لها آثار سلبية أكيدة . ولن نصل الى حل مشاكلنا العديدة والعويضة اذا ما استعملنا نفس هذه الأساليب .

يجب ان يطلق سراح المناضلين الذين تم إيقافهم ابان الأزمة حالا وان يطهر الجو وينقى . إن اللجوء الى القوة هو جريمة في حق وحدة الامة ؛ ويجب على كل مناضل ان يندد به، فلا يمكنه الا ان يزيد من حدة التخلف وانتصار الاستعمار الجديد وكل الإنتهازيين الذين يحلمون بالكراسي والسلطة .

واذا ما اعتبرت ان (الحكومة م ج ج) قد أعطت موافقتها على المكتب السياسي، فانا ارى انه يجب الإسراع بجعل هذا القرار قطعيا وذلك باللجوء الى (المجلس و ث ج) التنظيم الأعلى للثورة » .

في 30 جويليا 1962 قام بن خدة بنداء شامل لكل القادة كي يتمالكوا انفسهم ويشرعوا في العمل من اجل حل المشاكل الحادة التي كانت تواجهها البلاد .

تصريح الرئيس بن يوسف بن خدة (30 جويليا 1962)

« يجب ان تصبح عاصمة الجزائر « الجزائر » عاصمة للسلام والوحدة والعمل .

ويجب عليها ان تكون مستعدة لاحتضان كل قادة الثورة . إن تشتتهم لا يحل الأزمة، وسواء كانوا في تيزي وزو، في وهران، في تونس او سويسرا، يجب عليهم جميعا الإلتحاق بـ « الجزائر » ان وجودهم المتزامن بهذه المدينة لا يمكنه الأ ان يقرب بين وجهات نظرهم، ويهدأ الأنفس ويعد طريق الوحدة . لقد ضيعنا ما فيه الكفاية من الوقت، والشعب الجزائري مل من الانتظار وسئم .

ان مشاكل الساعة العويصة تبقى بدون حل : البطالة تزداد حدة، الشركات الأجنبية تغلق ابوابها، التجارة الخارجية تشل اكثر فاكثر، المخزونات المتوفرة من السلع تنفد، الوضعية المالية تزداد سوءا، الحالة الصحية للسكان تفرض مشاكل حادة، الدخول المدرسي الجديد لم يحضر له وحملة الحرث والبذر في اكتوبر عرضة للخطر .

إن فقدان الدولة يلمس بمرارة على كلا المستويين الداخلي والخارجي على حد سواء ويتجلى في حيرة وقلق كبيرين على المستقبل . من المحتمل ونظرا للازمة أن تلغى انتخابات 12 اغسطس غير أنه لا يمكن تأجيلها الى ما لا نهاية له، لانه اصبح من الحتمي والمستعجل ان تعطى الكلمة للشعب، صاحب السلطة و السيادة المطلقة والذي سيشكل حكمه اساس شرعية سلطات الدولة الجزائرية . وفي الظرف الذي يشترط فيه الشعب ويلح على تسوية النزاع ويظهر فيه كل شخص نواياه الحسنة فيما يخص حله، اصبح من المستحسن والمستحب ان يلتحق كل القادة بالجزائر العاصمة حتى يروا حلا وفي اقصر و اقرب الآجال لكل هذه المشاكل التي تلقاها البلاد » .

كانت الأوضاع البعيدة عن التحسن تزداد تفاقما وتأزما ، فلم تكن هناك

أية بادرة حسنة من جماعة تلمسان بل وذهبت هذه على نقيض ذلك الى البحث عن كل ما يمكنه ان يزيد من حدة المشكلة .

في 3 اغسطس 1962 قام الرئيس بن خدة بمحاولة اخيرة عاجلتوفي تصريح طويل قام بعرض وتقييم الوضعية الحادة التي كانت الجزائر تعرفها آنذاك، وشرح اسباب وكيفية ظهور الأزمة واقترح حلا للخروج بسرعة من هذه الأزمة ووضع نهاية لها . وادلى على وجه الخصوص بمايلي :

« فيما يخص السؤال الأول، هناك ملاحظة تفرض نفسها، فالجزائر ما هي الأ بلد حديث الاستقلال . وهذا الاستقلال قد بلغ بعد سبع سنوات ونصف من حرب ضروس حدثت خلالها تغيرات وتقلبات عميقة . واضيف الى مليون من الأموات و المليوني محتشد ومئات الآلاف من المعتقلين، ثلاث مئة الف لاجيء و التدمير الشبه كامل لكل الدواوير والمداشر و حريق الغابات والمحاصيل، والتخريب الذي وقع لجزء كبير من المنشآت الاقتصادية والاجتماعية للبلاد .

ومن جهة أخرى احدث توقف المؤسسات الخاصة والمصالح العمومية في البلاد بطالة معتبرة .

ولكن الامر الأكثر حدة هو ان الاستقلال لم يمكن بعد من تكريس هياكل الدولة . وأن العبور من عصر الاحتلال الى الاستقلال لا يمكنه ان يحدث دون اية اصطدامات واضطرابات .على مستوى الأمن العمومي هناك تجاوزات يؤسف لها . وعلى مستوى المصالح الادارية والقطاع الاقتصادي الخاص، هناك نقائص عديدة . وبعض المسؤولين الذين يملكون السلطة يرتكبون تجاوزات خطيرة . واذا لم تكن الهياكل الجديدة للدولة قد وجدت بعد، وهذا لا يمكنه ان يكون الأ عن طريق الانتخابات في المجلس الوطني وانشاء الحزب، فإن الهياكل الحربية، المرتكزة على نظام الولايات، ستبقى قائمة . وقد برهن هذا النظام على جدارته ابان الأعمال العدوانية بفضل ميزته اللامركزية التي اعطته مرونة وفعالية كبيرة في وجه العدو .

ومن البديهي انه لم يعد اليوم صالحا لمؤسسات الدولة الجزائرية المستقلة وحسب، بل وانه يعرقل حتى انشاءها . والحال أن وحدة الجزائر وترابها الوطني، وهما أساسا الثورة، يلزمان حتما انشاء دواة مركزية مركزة على الوحدة .

يضاف الى هذه الهياكل الخيوية التي لازالت قائمة، بقاء ذهنية وليدة الحرب، لازالت متأثرة بالتجارب المؤلمة، وتتشكل في عداوة و ريبة من كل ما يرمي الى توسيع الآفاق والرفع من مستوى السلطة . وهذه الذهنية تمتاز فضلا عن ذلك بالرغبة في القيام بكل شيء انطلاقا من الذات ومن التنظيم المحلي، وهي تعكس جهلا بالقواعد الأولية للتنظيم الاجتماعي وتؤدي الى تفتيت وسحق الهياكل الوطنية إلى أجزاء ذرية

والى جانب التنظيمات المركزية مثل (الحكومة م ج ج) والهيئة التنفيذية المؤقتة اللتين تصارعان من أجل البقاء بصعوبة، فان السلطة الفعلية قد اصبحت مجزءة الى المستوى المحلي او الجهوي . وهنا سنتطرق فيما بعد ومع المنظور العسكري، الى لب مشكل التحول .

تردنا إلينا آلاف الشكاوي وللاسف، فإننا لازلنا امام استحالة الرد عليها بسبب الوضعية الراهنة ذاتها . ومن المؤسف ان نشير الى الإبتزازات التي يقوم بها البعض من حديثي الإلتحاق بجيش التحرير الوطني، وخصوصا منذ 19 مارس 1962، والذين ليس لهم أي تكوين عسكري او سياسي، وذلك بفرض ضرائب مالية، اختطاف الرجال، وسرقة السيارات، مصادرات تعسفية للشقق والمنازل، عدم احترام الأملاك الخاصة و الا شخاص والذهاب حتى الى التعدي على اعراض بعض العائلات . ويجب ان نشير كذلك، الى انه والى جانب مبادرات حكيمة، هناك اخرى تتخذ على المستوى المحلي في حين انها لا يمكن الا ان تكون من صلاحيات سلطة مركزية، من اجل الصالح الا سمى للبلاد ، ومن اجل المسيرة العادية لشؤونها .

هناك المزيد مما يمكن اضافته اذا ما اردنا ان نعتم الصورة الحالية اكثر

فاكثر . غير انه يجب ان نقبل بان حرب كمثل التي عرفناها لم يكن ممكنا لها ان تثمر مباشرة دولة منظمة ومهيكلة تسير فيها الامور على احسن ما يرام في كل الاحوال . لقد عرفت كل البلدان بعد خروجها من الاعمال الحربية المنجرة عنها من الركود الاقتصادي، وفوضى ادارية، واضطرابات اجتماعية و معضلات في ممارسة السلطة وتجاوزات من شتى الانواع والاشكال . فتتذكر فرنسا وانجلترا اللتين وبعد سنة 1945، قد امضيتا سنوات عديدة لكي تنتصبا وتستعيدا قوتهما من جديد وتمحوا اثار الحرب و بلدان اخرى مثل الفيتنام و الصينية و كوريا عانت ولا تزال تعاني من اكبر مصيبة قد تحل بها الا و هي التجزئة الى قسمين متضادين يستندان كلاهما على تكتلات اجنبية .

فلا نندهش اذن اكثر من اللازم امام الصعوبات التي نلقاها، فهي قبل كل شيء مرتبطة ارتباطا وثيقا بسبع سنوات ونصف من حرب كانت تستهدف القضاء على جوهر وكيان الشعب الجزائري ذاته .

ولكن الميزة التي طغت على وضعيتنا، هي ان أزمة قيادية قد ارتبطت بهذه الصعوبات المرتقبة و هي تشكل عاملا يزيد من حدتها . ان المشاكل التي ورثناها عن الحرب و 132 سنة من النظام الا ستعماري، هي لوحدها جد عويصة وضخمة ضخامة الجبال، وتفرض سنوات طويلة من العمل والجهد المضني في ظل الوحدة والكثير من الصبر و الإنضباط . لقد فرضت ولازالت تفرض اكثر من ذي قبل وحدة في الرأي والنظرة بين كل القادة والمسؤولين، والثقة المتبادلة والانضباط التام في تحقيق الا هداف الوطنية الآنية وذات الا مد البعيد، والترفع والرفع من الحس الحاد بالمسؤولية . واذا ما توفرت عوامل كهذه فإن الوقت كان سيكفي و لازال بالتأكيد يكفي لتجاوز وحل الصعوبات الجسيمة التي تولدت عن الحرب ، فأزمة القيادة كان من المفروض أن لا تخلق السبب في وجود هذه الصعوبات وحدة الايديولوجية والتنفيذ كانت ولازالت وحدها الكفيلة

بخلق الميول الى امتصاصها . الوحدة في القمة، أي (الحكومة م ج ج) وحدها كان بامكانها أن تتيح القيام بأعمال ضخمة لتحويل الهياكل الحربية الى هياكل دولة و هياكل حيوية تتماشى مع استقلالنا و أهداف ثورتنا .

لم تنجم عن أزمة القيادة والتي هي أزمة تأقلم لدى بعض المسؤولين بلورة للهياكل الحربية وحسب بل وأنها قد زادت من حدة الميول الى تجزئة السيادة . وهي تعكس أزمة السلطة، فبدلا إذن عوض أن نرى تطور سياق تحويل مركزي، نحن نشاهد لعدم وجود سلطة مركزية حقيقية، وبسبب بقاء ذهنية انطواء على الذات وليدة الحرب، التضييق في النزعة المقربة للمركز .

ان الصلاحيات ذات المستوى الوطني و التي لازالت في أيدي هيئات مركزية كالهيئة التنفيذية المؤقتة، هي دوما محلا للتقليص، والمعاكسة أو للتبديل بصلاحيات مماثلة على المستوى الجهوي، و ينجر عن هذا تدعيم للكيان الجغرافيي الذي يؤدي الى نمو ذهنية استقلال ذاتي على كل المستويات تقريبا . أليس بالمؤسف على جزائري أن لايستطيع العبور من ولاية الى اخرى وحتى من جهة الى أخرى دون صعوبات جمة وكأن الأمر بمثابة العبور من بلد الى آخر ؟

أليس بالأمر المزعج ان نلاحظ أن بين هذه الكيانات الجغرافية علاقات جوار ليس هي دائما بالسليمة وغالبا ما يتحمل في هذه الحالة السكان والمناضلون عاقبة الضرر .

أليس بالأمر المحير أن نلاحظ وجود اجراءات فعلية بإختلاف وجود الفرد في هذا المكان أو ذاك .

صحيح أن اليقظة واجبة وتفرض نفسها ، ونحن لا نشك في وطنية المسؤولين

الذين اخذوا على عواتقهم مسؤولية الا شراف على هذا الشعب . ولكن الا مر يتعلق هنا وبواسطة هذه الا مثلة بشد انتباه الجميع الى ظاهرة التقهقر هذه، المتنافية مع المبادىء الا ساسية لثورتنا والمتنافية مع الحكمة والرشاد والروح البناءة بقدر ما هي مناسبة وملائمة للفوضى والحيرة واللبس . من الحتمي على كل الجزائريين، كل المناضلين، الا طارات وعلى كل كبار مسؤولينا، ان يكونوا على وعي بهذا الواقع حتى يسهلوا ‌ عملية القضاء عليها واعداد ركائز الدولة الجزائرية العصر

وبعد ان الح على ظاهرة الولاياتية التي يجب القضاء عليها، وعلى دور الجيش الوطني الشعبي الذي يتحتم دمجه كي يصبح جيشا وطنيا في خدمة الوطن، وعلى « الدور الحاسم الذي يلعبه الشعب » المنبع الوحيد للسلطة وصاحب السيادة الوحيدة، ابدى الرئيس بن خدة نظرته حول الأزمة و اقتراح حلا لها :

وقد صرح « ان الشعب الجزائري الذي كافح من اجل استقلاله وحريته سبع سنوات ونصف يأمل بكل حرارة في السلام والامن الا جتماعي حتى يضمد جراحه، ويشرع في القيام بالعمل الجبار لاعادة البناء والتطوير الذي ينتظره .

ان شبيبتنا، عمالنا، نساؤنا الجزائريات وطلابنا هم جميعا على اهبة الا ستعداد مشمرين على ساعد الجد والاجتهاد لاستدراك التخلف الذي تعرفه بلادنا على كل المستويات . من الحتمي وفي اقرب الآجال ان تسخر لهم الوسائل الضرورية للقيام بمهمتهم . وهذا مربوط من جهة بالتحسين الفوري للوضعية وعلى وجه الخصوص على مستوى الأمن الا جتماعي والحفاظ على القدرة الإنتاجية للوطن .

ان مشاكل الساعة الحادة والعويصة تنتظر حلا لها، وستطالب عما قريب

بآجالها المحددة المخيفة . وهي استئناف الشؤون الا قتصادية والادارية، البناء السريع لاستقبال العائدين الى الوطن بعد حياة الهجرة والمحتشدات، الدخول المدرسي وحملة الحرث والبذر .

ولن تتمكن الجزائر من الشروع في تحقيق اهدافها البعيدة قبل ان تحل هذه المشاكل، الأهداف التي ستعطي للبلاد وجهها العصري المبني دائما على اسس الديمقراطية و العدالة الاجتماعية، و التي ستعبر هكذا عن آمال و مطامح الشعب .

من البديهي ان الوسيلة الا ساسية لذلك هي الدولة المهيكلة على المستوى الوطني والجهوي والبلدي . و الى جانب الدولة، يجب على الحزب ان ينشط الحياة السياسية في البلاد وان يكون وسيلة التعبير عن المطامح الشعبية . انه وفي اتجاه هذين الهدفين الذي يجب ان يحقق تحويل الهياكل الحالية .

يجب بعد هذه الفترة الطويلة من الحرب مع كل ما عرفته من تقلبات، ان يسمح باعادة ترتيب الا فكار والرجال على اسس مكتسبات الثورة .

والأمر هنا مسألة أمانة وإخلاص و واقعية سياسية .

وسيتم هذا باعطاء الكلمة للشعب والمناضلين الذين هم وحدهم احرار في تقرير مصيرهم . وإنطلاقا من الرغبة الشعبية وبواسطة انتخابات في المجلس ستنبثق مؤسسات الدولة . وبنفس الصفة واعتمادا على الرغبة التي يبديها المناضلون ستتحول جبهة التحرير الوطني في مؤتمر الى حزب اكثر انتعاشا وقوة .

كل اسباب الأزمة يمكن ان تفكك بكل سهولة في مواجهة نزيهة وعادلة، بعيدة عن نزاعات الساحة العمومية حتى يتمكن المناضلون والشعب من ان يستنتجوا درسا مناسبا .

وحده مؤتمر وطني يشارك فيه المناضلون والإطارات يمكنه ان يوضح الأمور

ويعطي دفعا جديدا للثورة الجزائرية . وسيكون دوره في تحديد المسؤوليات السالفة، واجراء حصيلة للوضع الحالي والتوجيه الواضح للمستقبل بإعتماد برنامج يكون قد نوقش من قبل من جميع المناضلين .

يتعلق الأمر في هذه الفترة الثانية من الكفاح، قبل كل شيء، ببناء الدولة الجزائرية وتوطيد استقلال الجزائر على كل الأصعدة السياسية، الإقتصادية والعسكرية . ولاننسى انه لازال هناك اربع مئة جندي فرنسي يتمركزون حتى الآن على التراب الوطني وانه يتعين علينا أن نتحسب لجلائهم في مراحل .

على المستوى الداخلي، سيكون على المؤتمر ان يوقف الهياكل النظامية الجديدة، وان يعين أجهزة القيادة : اللجنة المركزية، المكتب السياسي، الخ ....

وستكون من بين معايير تعيين المؤتمرين، سيرتهم النضالية وما بذلوه من عطاء للثورة . هناك عناصر كبيرة موجودة اليوم في مناصب مسؤولية عليا دون ان تكون قد أوفت بأيّ من الشروط الملائمة . وهناك الكثير من الا طارات المناضلة هُمشت جورا وتحت حجج مختلفة .

ستكون مشاركة المنظمات الوطنية : العمال ، المنظمات النسائية، الشباب، الخ . . . حتمية نظرا لمشاركتها الفعالة في الثورة ونظرا لفئات الشعب التي تمثلها .

نظرا للضرورة الملحة في اعتماد البرنامج وتعيين هياكل القيادة، فإن انعقاد المؤتمر اصبح ضروريا في اقرب الآجال ودون أي تأخير . ويجب ان يتم هذا مهما كانت الا حوال قبل نهاية السنة .

وفي انتظار ذلك سيتكلف المكتب السياسي المؤقت بما يلي :

1 ـ الا عداد للانتخابات المقررة في 27 اغسطس المقبل في المجلس الوطني .

2 ـ القيادة المؤقتة لجبهة التحرير الوطني على المستوى التنظيمي والشروع في التحويل وفق برنامج استعجالي بفرض استرجاع الدولة لسلطاتها القضائية، الا دارية، الا قتصادية، المالية والتعليمية .

3 ـ اسبوع بعد الا نتخابات، يمتثل المكتب السياسي المؤقت امام (المجلس و ث ج) المجتمع في دورته العادية ليبت في قبوله أو رفضه . بعد هذا يقوم المكتب السياسي بالاعداد لمؤتمر وطني لجبهة التحرير الوطني .

سيكمن دور المكتب السياسي المؤقت في السماح نوعا ما بالتحام النظام الحربي مع النظام العادي الذي سيبدأ انطلاقا من المجلس الوطني ومن المؤتمر »

وكالنداءات السابقة سقط هذا في الفراغ المفروض من طرف المكتب السياسي الحديث التنصيب في الجزائر بعد ان وافقت عليه (الحكومة م ج ج) في 23 جويليا 1962 . وعلى نقيض هذا، فبن بلة وخيضر وقد ثملا من انتصارهما الاول لم يكونا ليقفا عند هذا الحد في هذا السبيل السهل . وكان يجب توقع هذا . كان بن بلة يستعمل كل الوسائل والامكانيات وكان يريد ان يعطي انطباعا وكأنه قد انتزع السلطة عنوة بعد كفاح شريف . في الحقيقة كانت السلطة مهجورة، وكنا على اهبة ان نتركها للشعب السيد الذي كان هو مستعدا ليعدها الى بن بلة صاحب الشهرة الواسعة والمترشح الوحيد المطالب بصوت مرتفع وبالحاح بالمقام الا ول .

كان بإمكان بن بلة ان يأخذ القيادة دون عائق ولكن هذا لم يكن ليرضيه . كان يريد ان يقصي بعض المنافسين المهددين المحتملين لنزعاته الدكتاتورية التي لن تتأخر عن الظهور . فمن كان خصومه الخطرون على الثورة وعلى البلاد ؟

نفس اؤلئك الذين، وقعوا منذ حين على اتفاقيات افيان التي اقرت انتصار الشعب الجزائري . ونفس اؤلئك الذين، ومنذ ايام قليلة خلت، جعلوا من طلاق سراحه شرطا لوقف اطلاق النار . لم يكن بن بلة ينسى ان المركزيين الذين كانوا يشكلون بنية (الحكومة م ج ج) قد قطعوا علاقتهم مع الحكم الفردي، وانه اذا ما بقوا في الحكومة فإن عليه ان يحسب لهم حسابهم، وكانت هذه الجريمة الوحيدة التي كان يستطيع فعلا ان يعاتبهم عليها .

واذا ما اراد بن خدة ان يتفادى حربا أهلية فما بقي له غير سبيل وحيد ليسلكه، فلم يتردد عن فعل ذلك وفي 7 أغسطس أدلى بالبيان التالي :

بيان رئاسة (الحكومة م ج ج) في 1962/08/07

إن السلطات المنوطة بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية حتى الساعة، هي منذ الآن فصاعدا ، من صلاحيات المكتب السياسي الذي يتحمل المسؤولية تباعا لتوزيع المهام الذي اعلن عنه .

غير ان (الحكومة م ج ج) ستبقى مؤسسة الثورة حتى الا جتماع العادي لمجلس و ث ج)، المقرر في شهر سبتمبر المقبل .

الفصل الثاني

غزو بن بلة واستحواذه على السلطة

لم ينعقد اجتماع (المجلس و ث ج) كما طلبت (الحكومة م ج ج) عندما تركت السلطة في يد بن بلة الذي كان يعمل حسب اهوائه . حيث كان في طريق النجاح والوقت وقت المناسبة السانحة وهكذا أسدل الستار على الفصل الاول من غزو بن بلة للسلطة . وسرعان ما إعتاد المستاء والراضي على مجرى وتقلبات الا حداث في الجزائر الجديدة إذ أن من المحقق أن الحياة تسخر كثيرا من المسرحية الانسانية .

ظن بن بلة نفسه أنه اصبح زعيما ذا صيت واسع . ظهرت المسرحية الثانية اقل مأساوية من الفصل الاول لانها انحصرت في الا شخاص وليس في الشعب برمته، ولكنها كانت بنفس المباغتة وبنفس عدم اللياقة بالنسبة لمناضلين يفتخرون بأخلاقهم واستقامتهم . ولم يمض وقت على انتصارهما حتى رأينا بن بلة يتخلى عن خيضر . لم يكن هناك أي مبدأ يوحد بين هذين الرجلين ذوي الطباع المتعاكسة تماما : وحدها مفاتن السلطة وضرورة تنسيق الجهود لتحطيم العائق المنتصب دونها ـ (الحكومة م ج ج) ـ هي التي جمعتهم لوقت قصير .

النقطة المشتركة الوحيدة بينهما هي ان كلا منهما كان يظن نفسه اكثر دهاءا ومكرا من الآخر، ولكن بن بلة هو الذي كان سيلعب بالثاني في آخر المطاف .

فر خيضر بخزينة جبهة التحرير الوطني . هذا الكنز المختفي، كان سيعكر صفو علاقات الجزائر مع بلد صديق، سويسرا طيلة عشرية كاملة، حيث وضع خيضر وهو على قيد الحياة هذه الا موال في البنوك السويسرية . فكان هذا آخر خدمة قدمها خيضر لوطنه .

بالتوازي مع سياسة جامحة كانت تغلب عليها الا رتجالية والديماغوجية، فقد استهل بن بلة حكمه بالقمع، دون ان يتخلى عن ملاحقة بوضياف، احد مؤسسي اللجنة الثورية للوحدة والعمل وعدد من انصاره الذين كانوا يُنقلون من سجن الى آخر من الصحراء الى الشمال، في ظروف إعتقال تضاهي ابشع قمع استعماري . وبعد ان القي القبض على آيت أحمد الذي لجأ الى العصيان المسلح في منطقة القبائل، شرع بن بلة في تنظيف بيته ذاته . كل الذين شاركوا ـ مهما كان قدر مشاركتهم ـ في مشروع تلمسان كان عليهم ان يخلوا "المنصة" مثلهم في ذلك مثل المعترضين . فقد كانت لهم الجرأة في المطالبة بحق الكلمة .

فرحات عباس، الذي عين رئيسا للمجلس الوطني، تم اخضاعه للإقامة الجبرية في ادرار بالجنوب الجزائري، وكذلك حال السيدين المحامين : فارس وبن تومي . فجرائمهم لا تغتفر : كان عباس يتسلى بالتحدث عن الديمقراطية . وكان له ما يقوله على مشروع الدستور الذي كان بن بلة يعده . فارس زود خزائن الهيئة التنفيذية المؤقتة عندما كان يشرف عليها في تلمسان المكتب السياسي، وكان يبدو انه لم ينس ذلك حتى يجازى عليه بحق المشاركة . السيد المحامي بن تومي الذي عين وزيرا للعدل كان يأخذ دوره بمنطق الجدية . كل هذا الحشد تم نقله الى الصحراء التي كان الا حتلال الفرنسي يعتبرها في الماضي كأفضل مكان للمنفيين السياسيين . لقد وجد « ستاليننا » الصغير « سيبرياته Sibérie » . الوحيد الذي نجا من بين رفقاء الا عتقال في اونوي Aunoy

وقلاع فرنسية اخرى، كان رابح بيطاط، الذي بوجوده فقط كان يظلل على بن بلة وذلك لكونه كان عضوا مؤسسا لـ (جبهة ت و) كبوضياف وكان بالتالي يستطيع ان يتباهى بنوع من النفوذ التاريخي، تم ارغامه باساليب شتى على الا بتعاد . فكان حتميا سيذهب بدوره للعيش على الا حلام تحت سموات أكثر رحمة وشفقة و لكنه، وعلى عكس رفقائه ، لم يمض وقتا طويلا حتى عاد للبلاد و وضع نفسه في خدمة بن بلة . وليس من الصدفة ان نجده اليوم، الممثل الوحيد لرواد الحركة الوطنية الجزائرية، ومفجري الفاتح نوفمبر 1954 . الفرق بينه وبين الا ربعة الآخرين هو انه قد عاش الا عداد لاحداث 1 نوفمبر 1954 في داخل الوطن و انه قد شارك فيها بنفسه و تم اعتقاله في الميدان وفي خضم المعركة .

و للحقيقة التاريخية لا ننسى ان بوضياف هو الذي بادر الى انشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل و انه قطع صلاته مع الوقائع الجزائرية عشية الفاتح من نوفمبر 1954

تم عزل الدكتور فرنسيس من الحكومة، ثم اتى دور المحامي بومنجل وزير البناء والاشغال العمومية، ففي صبيحة احد الا يام علم من خليفته حاج اسماعيل ان هذا الا خير قد استخلفه . وكرجل عاقل علمته الحياة، استقبل بومنجل الخبر بقهقهة مدوية، فقد كان على علم منذ زمن بعيد مع من كان يتعامل ، فمغامرة تلمسان التي قبل المشاركة فيها بإلحاح من قايد احمد، لم تكن لتخدعه حول مدى تأثيره على بن بلة ومدى الثقة التي يمكن منحها الى هذا الا خير .

قايد احمد الخطيب المصقاع لتلمسان، المنظر المستفيض للمكتب السياسي ، مدغري الصارم والمنهجي، شريف بلقاسم السياسي البارع ، أرغموا الواحد تلو

الآخر على ترك وإخلاء مناصبهم ، فمن الا ربعة الملازمين لبومدين ، الذين عرفوا لزمن طويل باسم « مجموعة وجدة » لانهم شاركوا في الحرب التحريرية الى جانب بومدين ، على الحدود الجزائرية ـ المغربية والذين كان مركز قيادتهم، سالما في وجدة، لم يبق سالما منهم غير بوتفليقة، الا ستاذ في المكائد واللعب المزدوج، والذي كان يتظاهر بالخضوع والولاء امام بن بلة . كان هذا الا خير يحضر له مفاجأة بالبحث عن خليفة في وزارة الشؤون الخارجية وكان بن بلة يظن انـه قد اصبح وجـها لوجه مع بومدين الذي ظن انه قد عزله وقص اجنحتـه واضعف قواه .

ككل الا ساطير، فإن اسطورة بن بلة ستعمر طويلا وحتى يتسنى للقارىء ان يفهم وجهة نظرنا فيما يخصه، فهناك فائدة في ان نلقي نظرة على طبعه ومشاركته الحقيقية في الكفاح الذي آل الى استقلال الجزائر . لم يكن لبن بلة الا ان يرتكب الا خطاء، فقد عاش في غالب الا حيان معزولا او بعيدا عن الواقع الجزائري . وفعلا منذ 1950 . اي منذ اعتقاله إثر اكتشاف الشرطة الفرنسية للمنظمة السرية (OS) لم تكن له أية اتصالات مع الجزائر فبعد ان فر من سجن البليدة بعد زمن قصير من اعتقاله سافر الى مصر حيث مكث معظم الوقت . في 26 اكتوبر 1956 اعترض الطيران الفرنسي للطائرة المتجهة من الرباط الى تونس، التي كانت تقله الى جانب خيضر، آيت احمد، بوضياف والاشرف وتم تحويلهم الى الجزائر، حيث تم توقيفهم ثم نقلهم الى فرنسا كمساجين . بعد اطلاق سراحه في ليلة 18 الى 19 مارس 1962 عاد الى الجزائر بعد 12 سنة من الغياب . فماذا عايش من الا نشقاق الذي سمم حزبنا مابين 1953ـ 1954، ومن الا حداث التي قلبت اوضاع الجزائر رأسا على عقب من 1954 الى 1962 ؟ لا شيء قط . هل كان بإمكاننا ان نذكره بهذا عندما احدث أزمة 1962 ؟ ما هي الصورة التي كنا سنظهر بها في أعين الشعب والعالم كله وقد

رفعناه عشية ذلك من اجل خدمة قضيتنا وبمساعدة « صوت العرب » من القاهرة الى الأوج ؟ فقد كانت لنا تجربة في أزمة (حركة الانتصار للحريات الديمقراطية) حيث اننا كنا نمدح امجاد مصالي لمدة 20 سنة وعندما شرعنا في مناقشة اوامره كان المناضلون يديرون لنا ظهورهم . رغم ان هذه العشرين سنة من التعليم السياسي هي التي علمتنا كيف نميز الخطأ من الصواب، وسمحت لنا ان نرفض السلطة المطلقة ورئاسة مصالي مدى الحياة ـ والذي كان آنذاك خاضعا للإقامة الجبرية في احدى المدن الفرنسية ـ . وحدهما الزمن والاحداث الدامية بالجزائر هما اللذان فتحا اعين المناضلين . كان علينا ان ننقذ سمعة (جبهة التحرير الوطني) فإلتزمنا الصمت، واذا ماكان علينا ان نذكر بأي شيء فذلك كان ليكون محاكمة حقيقية لبن بلة . و هو ما كان سيؤدي بنا الى بعيد ، فلخدمة الوطن كان على احد المعسكرين ان ينسحب اذا ما استحال الا تفاق فكنا نحن مرة أخرى من تجرع الا هانات كمن ابتلع الثعابين .

بن بلة المسؤول عن المنظمة السرية للحركة ا ح د)، هل قدم حساباته في وقت ما إلى قيادة للحركة (ا ح د) وهل شرح كيف ولماذا تم اكتشاف المنظمة السرية والقضاء عليها وتسبب هذا في اعتقال مئات المناضلين ؟ من جراء أي خطأ وأي تغافل ؟ وماذا استنتج من ذلك ؟

فعلى نقيض تعليمات الحزب، رفض ان يتراجع عن اقواله التي باح بها عفويا، حيث وجد انه من غير اللا ئق به ان يغير اقواله ويكذب نفسه امام شرطة الا حتلال، و عكس ذلك امام تعليمات الحزب الذي كان يأمره بالحرص على الدفاع عن مرؤوسيه وفر من السجن، وبعد ان فر وبالتالي لوحق من طرف الشرطة، ماذا كان في وسع مسؤوليه ان يفعلوه غير مساعدته على اللجوء الى

الخارج وتغطية عصيانه ، فكالعادة كان من اللازم اخفاء اختلاقاتنا عن العمو .

وانه في محاولة تغطية اختلاقاتنا مالت أزمة (الحركة لانتصار الحريات الديمقراطية) في فترة اولى، الى صالح مصالي الذي لم يتراجع امام أي شيء .

وفي اكتوبر 1956 من ذا الذي سمح لبن بلة بالالتحاق بتونس كي يجتمع بملك المغرب و الرئيس بورقيبة للتفاوض مع الفرنسيين ؟ كان هناك مجلس الثورة ولجنة التنسيق والتنفيذ، المقيمان بالجزائر . هل فكر في استشارتهما ؟ كان هناك طبعا الآخرون خيضر، آيت أحمد، بوضياف الذين يتحملون المسؤولية الكاملة في هذه القضية، ولكن بن بلة كان أصلا يتصرف بمفرده .

ثم انه وفي هذا التهور الذي ميزه دائما، هل كان ليقل طوعا طائرة كان طاقمها فرنسيا ؟ من أين كانت له هذه الثقة والإئتمان ؟ هل هذا هو حس اليقظة الثورية الذي كان يزعم الدفاع عنه والذي لم يبده الا في سنة 1962، وفقط امام (الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية) ؟ اتساءل عن ما كان ليفعله برشاشه الجميل الذي كان يحمله في حقيبته، وتحت يده . الم يكن بإمكانه استعمال هذا الرشاش بقفزة بسيطة في تحويل الطائرة الى المدينة التي يختارها ؟ ربما لم يكن لقائد كبير مثله ان يرتكب سماجة كهذه، إذن، فلماذا هذا الرشاش ؟

كان بن بلة يريد" رجالا اشداء، موثوقا بهم، واطهار" وكان يندهش لرؤية رجال من وسطنا قد وصلوا الى قمة (جبهة التحرير الوطني) . ولكن دهشته كانت لتكون اقل لو سئل أين كان في 8 ماي 1945 عندما كان الجيش الفرنسي يقتل ويسفك دماء المسلمين الجزائريين العزل في سطيف، ڤالمة، خراطة ومناطق أخرى حيث سقطت 45000 ضحية بريئة تحت رصاص الحكومة الفرنسية التي كان يترأسها دوڤول بينما كان الجيش الفرنسي يحتفل بإنتصاره على النازية ؟ يبدو ان المساعد في الجيش الفرنسي بن بلة كان يتباهى فخورا بوسامه العسكري . هل فكر الرئيس الثوري المقبل عندما عاد الى الوطن ان يبعث

بأوسمته الى الجنرال دوقول كتعبير عن إحتجاجه ؟ لم يكن بإمكان بن بلة ان يفكر في هذا ولا (الحركة ا ح د) ان تعاتبه على ذلك . حتى وأنه قد أختير لصفته هاته فيما بعد من طرف (الحركة ا ح د) على رأس قيادة المنظمة السرية . ثم أخيرا وبقليل من التأمل والتراجع لجد ان أي شخص غيره، كان ليتفادى المساس بمسائل الا صالة الثورية الحساسة، لأنه وفي ماي 1945 كان كل اولئك الذين اراد ان يدنس سمعتهم في ساعة انتصاره العابر إما في السجن وإما في الجبل . وكانوا جميعا قد عرفوا القمع في سنة 1936 وسنة 1939 من أجل الحرية وإستقلال الجزائر . في 1943 أعتقل بن خدة وتم تعذيبه لمدة اربعين يوم . بعد مظاهرات قصر الشلالة في 18 ابريل 1945 تم اعتقالي في 20 ابريل 1954، ثم نقلت في فترة اولى الى محتشد بوسوي Bossuet (بوهران) ثم الى سجن بربـاروس (بابا عروج) في الجزائر العاصمة كي أحاكم من طرف محكمة عسكرية . فبن بلة الذي كان يخدم فرنسا بينما كانت هذه تسحق مواطنيه لا يمكن ان يكون موضع مفخرة لرجل شريف . السيد / جورج مارشي Georges Marchais الكاتب العام للحزب الشيوعي الفرنسي الذي إتهم بأنه قد عمل مرغما في المانيا منذ 40 سنة يدافع عن نفسه بكل قواه ضد عار كهذا . فماذا يقول بن بلة وأتباعه والكثير من المقاومين الجدد والقدامى في هذا ؟؟ .

أخيرا، لم يكن هذا ليعني الكثير بعد ان اسدل الستار على الحرب التحريرية، غير اننا كنا ننتظر بعد هذه الحرب الإبادية وبعد ان اكبر بن بلة في أذهان الناس، انه سيجمعنا بعد اطلاق سراحه، كنا ننتظر ان نقوم معا بجولة في الا فق، ان نشرع في تحليل شامل للوضعية، كنا نعتقد ان همه الا ول هو ان يستفسر ويستعلم عن كل شيء وبالفصيل . على نقيض هذا ، دخل بن بلة مباشرة في المبارزة، ضد الا عداء الذين كان يختار تحديهم، مخاطرا بقلب كل شيء رأسا على عقب .

فمباشرة بعد وقف اطلاق النار، شرع في المساس والتقليل من سمعة (الحكومة م ج ج) وليس ذلك بفضح أي خطأ بالدليل والبرهان، بل بالتلاعب بالخلط وإثارة الفوضى !

اتفاقيات افيان التي وافق عليها مع ذلك « من الألف الى الياء » والتي لا يعرف عنها الناس الا القليل، مختلف النزاعات أو الأزمات الداخلية الملازمة لكل نشاط انساني، إبان حرب دامت سبع سنوات ونصف تجاوزتها الا حداث و طوتها منذ زمن طويل، المسائل القديمة وحتى من قبل 1 نوفمبر 1954 والمتعلقة بالحركة الوطنية التي اختفى معظم مسؤوليها أو اعتمدوا النسيان منذ امد بعيد، الغموض الذي احاط مختلف قيادات (الحكومة م ج ج) الثلاثة، خلاصة القول، استعمل بن بلة كل شيء ليزرع الشك، البلبلة و الثورة على أولئك الذين كانوا يظهرون آنذاك كممثلين للسلطة القانونية والشرعية . فأفرج في نفس الوقت عن النزاعات والمطامح التي طالما كبتها بعض المسؤولين والغيرة المستترة والاحقاد لكثير غيرهم الذين كانوا رغم هذا من كبار مناضلي القضية الوطنية، غير انهم سقطوا في حب السلطة بعد ان بهرتهم لحظة أوهام التصفقات والتشريفات الرسمية .

وإذا بثقة الشعب في السلطة والتي ما كادت الحرب تسترجعها بعد إنشقاق (الحركة ا ح د) في 1954 تتحطم من جديد، حيث عاد اؤلئك الذين كانوا من مناضلي (الحركة ا ح د) والمنخرطين فيها او مناصريها الى معارضتهم واحتجاجاتهم . كما حدث في 1954 . وغذى بن بلة الآخرين ممن لم يتقبلوا ابدا الزعماء الوطنيين، ولم يغفروا لهم رؤيتهم الصائبة، عندما كانوا يسعون وراء المواطنة أو لإشعالهم فتيل الكفاح المسلح .

شرع بن بلة بعد ان حطم ثقة الشعب في تحطيم وحدته التي صقلت بثمن سبع سنوات ونصف من الحرب والبذل السخي من التضحيات .

فماكاد يجتمع شمل الجزائريين وما كادوا يتبادلون التحيات بعد فراق طويل كهذا، حيث خرج بعضهم من السجون التي كانوا يعانون ويتألمون فيها وفي بعض الا حيان منذ 1954، والبعض الآخر عاد من المنفى والشبان نزلوا من الجبال . فقبل ان نهل لأنفسنا الوقت لنعد قتلانا، ولنجمع الأحياء منا، نثر وبعثر بن بلة كل ما تبقى من « الكوخ الجزائري » العتيق، وإنه فعلا لمعجزة ان يتدارك الشعب الجزائري نفسه وان يكون رغم كل شيء، دولة منتصبة مع ذلك على « أقدامها » . ويرجع الفضل في تحقيق هذه المعجزة وبالتحديد الى (الحكومة م ج ج) وكذلك وبطبيعة الحال الى فطنة وحكمة شعبنا، الذي وعبر العصور والأزمنة عرف كيف ينحني مع مهب الرياح دون ان ينكسر، فإلى جانب الأوبئة و الا عاصير التي إجتاحت شعبنا عبر تاريخه لم تكن حادثة بن بلة غير زوبعة رملية غير أن آثارها كان من الممكن ان تحتفظ بها بعض اللحظات المساحات الهشة . وفضلا عن ذلك، أليس رد فعل شعبنا الذي خرج يصيح في الطرقات امام خطر الحرب الأهلية « سبع سنوات بركات » خير تعليل لموقفنا ؟

الثقة فقدت والوحدة في خطر . لم نسمع قط في الجزائر قبل مجيء بن بلة عن عبارات الغني و الفقير، الرجعي والثوري، المستغِل والمستغَل الخ . . . دون ان نضع في الحسبان الحزب الشيوعي الجزائري المعروف بحجمه الصغير قبل الحرب التحريرية . فإلى سنة 1962، وبغض النظر عن بعض المفضلين من قبل الاحتلال، كنا كلنا في كفة واحدة، والدليل على ذلك هو ان كل فئات الشعب الجزائري قد شاركت في الكفاح المسلح .

لم يكن بن بلة المعجب بناصر من جهة وبكاسترو من الجهة الا خرى يعتمد غير شعاراتهما . كان ينسى ان ناصر يعيش في جهة أخرى، الشرق الأوسط،

الخاضع لأزمات خاصة، والمتأرجح بين تأثيرات متضاربة موروثة عن تاريخ خاص لم تكن له أية وجهة شبه مع السياق الجزائري ، فناصر الذي كان يحطم نظاما ملكيا، كان يتعامل مع شعب عريق مختلف كل الا ختلاف عن شعبنا . والأمر كمثله بالنسبة لكاسترو الذي كان يتعامل مع دكتاتور اسمه باتيستا . خلاصة القول، كان نموذجا بن بلة الا ثنان يقودان كفاحا كان بالدرجة الا ولى داخليا . اما نحن، فكل الجزائريين، الفقراء والأغنياء منا كنا مجندين في نفس الكفاح ضد المحتل الأجنبي، وتاريخنا و وضعيتنا لا يماثلان لا تاريخ ولا وضعية الشرق الأوسط ولا أمريكا اللاتينية . لمدة طويلة كان علينا ان نحافظ على تماسكنا و وحدتنا .

بعد الا ستقلال وبطبيعة الحال كانت التناقضات الا جتماعية والاشكال الا ستعمارية الجديدة ستظهر، ولكن الشعب الجزائري سيكون قد ارتاح وأخذ كل الوقت ليميز الصواب من الخطأ ؛ ففي الغموض التام لا يمكن الا للفوضى أن تولد وتكبر !

عند خروجه من السجن سنة 1962 كان بن بلة يقول لبن خدة ان لديه مشروعان يريد تحقيق احدهما على الأقل : الحج الى مكة، او زيارة فيدال كاسترو . هذا الا خير كان على درب النجاح في الا وساط الثورية وقد كان بن بلة جد مسرور بتحقيق أمنيته عندما ذهب لزيارته في هافانا مباشرة بعد ان قام بزيارة الرئيس كنيدي . وقد كان هذا الا خير فيما بعد يتسلى كثيرا بالتحدث عن بن بلة . حيث كان يقول لسالينجر Salinger مسؤوله عن الإعلام في البيت الأبيض : « إن بن بلة هذا لجد مضحك . فعندما يرى بورتر Porter - سفير الولايات الا مريكية المتحدة في الجزائر آنذاك - يسأله « كيف حال أخي كينيدي » وعندما يخرج بورتر من عنده، ينهال علي بالشتم والسب » .

لم يقم بن بلة بحج بيت الله في مكة . وفي خطابه في الاحتفال بذكرى الفاتح من نوفمبر 1962، أول احتفال للجزائر بعد استقلالها، وجه بكل طيبة

خاطر أشد وأعنف التوبيخات لنا معربدين . العلاقات الوحيدة التي كانت لنا معهم في تلك الفترة هي المليوني جنيه استرليني التي كانوا يدفعونها لنا بمثابة مساعدة على الجهد الحربي لجبهة التحرير الوطني علاوة على أيام التضامن التي كانوا يسمحون لمواطنيهم استثنائيا بتنظيمها لصالحنا . وعلى عكس ذلك، فقد أخذ بن بلة الرتبة المؤدية الى موسكو . وقد رفعه الاتحاد السوفياتي الى مقام « أبطال الاتحاد السوفياتي » وهو التشريف الذي كان بن بلة المناضل الوحيد الذي تحصل عليه من أجل خدمة ربما لن نطلع عليها ابدا !

لقد طردت الأنتهازية الوطنية، وترك الصالح العام مكانه للمصالح الشخصية، واختفى الإيمان بالمستقبل، وتبعه فقدان الا مل وفتور همة الرجال المخلصين المضافة الى التعب والكلل الشاملين .

استيلاء بومدين على السلطة في (1965/06/19)

صاحب مزاج حاد و مندفع كعادته لم يفهم بن بلة في الأمر شيئا ولم يكن يعتقد في غير نجمه . وفي الفصل الثالث من المسرحية باغته بومدين و بوتفليقة .

ففي 15 جوان 1965 اقتطفاه في صمت من فراش نومه بفيلا جولي . فالنظام الذي اقامه بن بلة ذاته هو الذي مكن بومدين من ان يزج به دون اي شكل من المحاكمة في غياهب النسيان، ولم يكن له ان يخرج من موضعه هذا الا بعد اربعة عشر سنة وبفضل الرئيس الشاذلي بن جديد .

فبومدين و بوتفليقة اللذين ضمنا انتصار بن بلة ثلاث سنوات من قبل ضد (الحكومة م ج ج)، ضد خيضر ضد المعقول، وضد الامانة الأخلاقية والثقافية قد سلكا دربهما منذ جويليا 1962 ، فلم يعد بومدين في حاجة الى كفيل، وكان يريد ان يطير بجناحيه وفي غنى عن غيره .

الخلاصة

اعتقدنا اخيرا ومنذ مجيء الرئيس الشاذلي بن جديد الى الحكم، اننا خرجنا من حالة القلق التي طالما عشنا فيها ، فلفترة من الزمن اعتقدنا ان الراحة قد عادت الى بالنا واننا سنعيش، حياة عادية . لقد الغي رخصة الخروج واعيدت حرية التنقل بمباركة الجميع، كما ان اطلاق سراح المعتقلين السياسيين قد لطف الا جواء .

وها قد تشنج الناس من جديد، فما الذي يحدث يا ترى ؟ لماذا هذا الجو العكر من جديد ؟ من أين يأتي في النهاية هذا الداء ؟ كيف اصبح هذا الجزائري الذي كان طيلة سنوات عديدة محل اعجاب العالم كله، لا مباليا، قلقا، لايفكر الا في نفسه، ويراوده احساس بالضياع في عالم غريب، تاركا مصيره للحكومات التي وحدها لها إرادة التحكم فيه دون ان يحاول فهمها او يشارك في تقرير مصيره . التضامن، الكرامة، الا حترام والشجاعة، كلها فضائل اختفت منذ زمن بعيد !

فأين الزمن الذي كنا نمشي فيه اليد في اليد، نساند وندافع عن بعضنا البعض ؟ أين الزمن الذي كنا نفدي فيه بعضنا البعض بأرواحنا وكان المجاهد فيه يتحرك في اوساط الشعب كالسمكة في الماء . فكيف ياترى وقد اصبح المجاهد اليوم جنديا في صفوف الجيش الوطني الشعبي، او رجل امن عمومي، بات ينظر الى المواطن البسيط نظرة تكبر و تجبر وفي غالب الا حيان نظرة

إحتقار، هذا المواطن الذي كان بالامس القريب المواطن والاخ ؟ فمن أين اتى كل هذا ؟ ومن اين اصبح الجزائري لا يرى بتاتا في رجل الا من العمومي و الجندي، الحامي او الصديق او حتى الأخ؟ ما الذي حل بهذا الجزائري الذي كان منذ زمن قريب يسير على درب الموت تلبية لأمر شفوي بسيط حتى ولو كان صادرا من قبل مسؤول حي ؟ كيف نفسر ان هذا الجزائري نفسه اصبح لا يريد تنظيف أمام بيته اذا مالم تتدخل وتجبره على ذلك أعلى سلطات البلاد ؟ لقد وقع شعبنا في خمول وبلادة حتى أن الحكومة قد قلقت من ذلك ؛ ولكن المسألة لم تحل بهذا فقط، لأن المشكل بالنسبة للحكومة ليس في تنظيف المدن في ظرف يوم أو شهر عنوة، وما دمنا لم نعالج الاسباب بعد، فهذه الأخيرة ستكون دائما ذات نفس النتائج . إني اظن ان حكامنا سيقبلون ان يسيروا بالقوة المشاكل الا جتماعية . إن السؤال الذي يطرح نفسه هو تحديد السبب الذي احدث الحالة المخزية التي تريد الحكومة ان تضع لها حدا وكذا كل الا ضطراب الذي يعم البلاد .

يجب ان نفهم ان غرضي من هذه الصفحات ليس الإدعاء بأن الجزائر جحيم . لقد كانت لي الفرصة عبر احداث 54 ـ 62 ثم بعد استقلالنا ان أزور العديد من بلدان العالم، منها بلدان جد راقية ومتحضرة، ومنها بلدان في طريق النمو، ولو خيرت من بينها بلدا لاخترت الجزائر لأعيش فيها . إن بلدنا لجميل ومبشر بخير جم و يمن ؛ وليس لنا ما نحسد الغير عليه . اذا كنا نتحسر على الوجه المحزن للاشياء فلا ننسى الوجه الضاحك منها . لقد خطت الجزائر في بحر 25 سنة خطوات عملاقة الى الا مام على طريق النمو والإزدهار . ولا عجب في هذا او غرابة، وسيكون من المؤسف ان لا تقوم الحكومات التي تملك تقريبا كل موارد البلاد بأي شيء ملموس في هذه البلاد ولهذه البلاد .

على كل كثير من المستويات : الصناعية، الثقافية و الا جتماعية، حققت عدة مشاريع ضخمة منها ما أنجز ومنها ما هو في طريق الإنجاز .

تظهر الجزائر من نواحي عدة كورشة حقيقية والحياة فيها نشيطة ؛ وعلى المستوى المادي نحضر لتعطش حقيقي للعيش من طرف فئة كاملة من الناس . فلماذا هذا الشجع، وعدم المبالاة بكل ما هو ليس ملكنا، وبكل ما هو من الصالح العام ؟ فمن أين اتانا هذا الذهان، وهذا الخوف من الغد، وهذه الحيرة والقلق، ونقص الثقة في المستقبل ؟

والسلطات العمومية وعدت وضاعفت من الوعود، لضمان المستقبل، ولكن هيهات فالناس لا يؤمنون، فهم لا يصدقون أي شيء، ويبدون دائما وكأنهم في انتظار تغيير ما .

ومن هنا ظهر نوع من الكبح لكل مبادرة فردية، ولكل جهد شخصي، على منأى من القطاع الصناعي والتجاري حيث يعتاد البعض على الربح الوفير واليسير ؛ وحتى هنا ومنذ امد قريب اصبحت النشاطات تسير ببطء . فكل ما يحتاج الى الصبر والجهد المتواصل والمتابعة المستمرة قد طرح جانبا و أقصى بل وحتى حرم . يجب أن تتكلف الإدارة بهذا، او المديريات العامة للمؤسسات الوطنية التي يجب عليها ان تجبر المرؤوسين على القيام بأعمالهم ولو عنوة : لقد اختفى الضمير المهني والواجب لا يعرف، ولا يشعر أي شخص بأنه معني بعمله .

نعود ونقول، من أين اتى هذا التهاون وهذه اللامبالاة و هذه الإستقالة ؟ ما هو مصدر موقف النخبة التي لا يهمها أي شيء في هذه البلاد ؟ كيف نعلل أن أناسا أكفاء وجادين ـ كانوا قديما، معتزين بخدمة الوطن، قلقين على المستقبل

والصالح العام للبلاد ـ اصبحوا اليوم يقفون موقف المتفرج غير المبالي بكل ما يحدث من اضطرابات في هذه البلاد ؟

بالأمس، والمعمر يستغل الجزائري الذي كان يعمل دون هوادة وبثمن بخس، كانت الأرض خصبة . فهل يعقل اليوم، أنه وعلى نفس هذه الأرض وقد اصبحت من المفروض ملكا له، اصبح لا يعمل، أو ربما كانت الا رض ـ وقد هرمت او أسيء إعدادها ـ هي التي لا تنتج ؟ إننا نلوم الا حتلال على انه قد جعل من الجزائر بلدا زراعيا فقط ، حيث كانت الجزائر بلدا مصدرا للحبوب، و اللحوم، والفواكه، والخضر و المنتوجات الزراعية المبكرة . فكيف آل الأمر الى ان اصبحت اليوم تستورد نفس هذه المواد ! ؟

أليس هناك ما يدعو الى التساءل ؟ هل الأمريتعلق بالعمل الذي أسيء ام الإنتاج ام التوزيع ؟ هل هو الأسلوب ذاته الذي ما هو الا نتيجة للثورة الزراعية أو ان مسؤولي هذه الثورة الزراعية هم الذين لم يفهموا ما كان عليهم القيام به ؟ إلا اذا كان منظرو المجتمع الجزائري الجديد المفتونون افتتانا بالغا قد قرروا ان يمحوا كل ما يمت بصلة الى نجاح المعمرين مفضلين ذلك على ان يدينوا بأي شيء للاستعمار !

أليست الزراعة المزدهرة، إحدى غنائم الثورة، التي حصلنا عليها بحد السيف وببذل التضحيات بكل سخاء في الارواح ؟ فكيف ولماذا لم نحتفظ ولم نطور هذا المكتسب ؟!

من الممكن ان هؤلاء الإنتهازيين أهل مكيافيل الصغار، الذين يعاتبوننا على اننا لم نفكر في غير الا ستقلال الوطني قد ارادوا ان يبرهنوا ان حتى هذا الا ستقلال لم يكن اكيدا، لانه لا يوجد ما قد يهدد الا ستقلال بقدر ما تهدده

التبعية الغذائية، ولا يمكن لأي بلد يستورد غذاءه ان يدعي بأنه مستقل . وهذا دائما صحيح ـ ولا حاجة لان يكون المرء عبقريا وكاتبا بارعا ليعي ذلك ـ ولكن الأمر اصبح اخطر في ايامنا هاته، حيث اصبحت المشكلة الغذائية سلاح حرب . وحتى الا تحاد السوفيـاتي، بكل مـا لديه من قـوة وشأن، لم يسلم من هذا التهديد !

وكيف نفسر من جهة أخرى الرغبة الملحة في الهجرة من البلاد ؟ المهاجرون يسعون بحثا عن العمل الذي لم يجدوه بعد في بلدانهم وهذا قد يعلل، الا انه كيف يمكن تفسير هرع وتهافت الجزائريين نحو الخارج . هم يواجهون كل المصاعب، ويقبلون حتى بالإهانات من طرف الشرطة والجمارك الأجنبية، ولكن المهم هو ان يخرجوا .

إن حب السفر هو شعور طبيعي مشترك بين كل البشر ، ولكن حالتنا فريدة من نوعها . فالأمر يتعلق بالخروج من البلاد وبأي ثمن ولا يخفى أي من « المسافرين المحظوظين » هذا عن أنفسهم . كيف نفسر هجرة العقول والإطارات و رفض العديد من الشباب المكونين بالخارج العودة الى البلاد ؟ يبدو انهم اصبحوا لا يطيقون العيش في الجزائر، وان مجال الحياة فيها ضيق، وانهم يريدون استنشاق الهواء بكل حرية، فكيف وصلنا الى تفضيل البلدان الأخرى على وطننا ؟ ؟ ولماذا ؟ نعتقد بعد التفكير ان البحث عن اسباب حالتنا هاته يجب ان يكون من بداية استقلالنا ذاته .

بعد ان حزنا استقلالنا، اندفعنا الى الا مام على نفس السبيل، أو بالأحرى لم نأت بأي شيء جديد . كان من السهل ان تحتفظ ب(جبهة التحرير الوطني) كما هي . وهذا كان يسمح لاؤلئك الذين كانوا يزعمون الإنتماء اليها والذين استولوا على قيادتها ان ينزلوا من مراقيهم . فمصادرة الحكم كانت همهم الوحيد . وكان يكفي في النهاية ان تفرض شروطك والسياسة التي تفضلها، فإرادة الحكم وحدها هي التي تهم ؛ فاختلط بطبيعة الحال الحزب الواحد مع

الإدارة، وهذه مع الدولة والدولة مع الرئيس . وفي نهـاية المطاف لم يعـد هناك غير الرئيس ليحظى بالأهمية . فهو يحتكر الفكر والعمل .

ولكن هذا تجاهل بأن هذه المرحلة الثانية هي مختلفة تماما عن حرب التحرير، حيث كانت لكل مواطن كلمته، وذلك لأن كل المواطنين كانوا شركاء ولكل منهم دوره في تحرير التراب الوطني . ان مـصير البلاد مـرهون بـالسيـادة والإرادة الشعبية وليس برغبات وهوى وإرادة بعض الأشخاص . لقد حاولوا بدون جدوى ان يغيروا من سياسة الأمر الواقع هاته، ولكن الداء الذي اصاب به الجزائر اؤلئك الذين اغتصبوا الحكم منذ 1962 قد استفحل واصبح مرضا حقيقيا .

والحال ان الشعب لم يجد امامه أي خيار في قيادة شؤونه . كان ممكنا ان تعرض عليه صيغ حلول عدة . كان من الواجب ان نوعيه، اولا ، ثم ان نقنعه . فكان سينضم عن طواعية، و على علم بالعلل، الى الحال الذي اختاره . وكان سيشارك بكل ما لديه وجوارحه . وبدل هذا ، فرض عليه نظام سي التركيب ولقد نسينا ان الشعب الجزائري كان يرفض دائما ان يمنح له أي نظام او ان تفرض عليه أية اديولوجية، وحتى ولو كانت انجعها فهي تساوى هذا الفرض . لقد نسينا انه لا يمكن ادخال السعادة الى قلب الانسان رغما عنه، وننسى ان القوة مهما كانت و مهما كان شأن السلطة فإنها تعجز عن بعث الحماس بقرار، او زرع الثقة في القلوب بالأوامر . ولا يمكن ان يشرع في عمل لصالح الشعب ويواصل بجدية دون رضى الشعب وحماسه الفياض . وهنا مربض الفرس، في هذا الا ختيار المتسرع لسياسة لم يكن الشعب مستعدا لها ، والتي فرضت عليها تعسفا ؛ وهذا ما يفسر كذلك انه و رغم كل جهود وإرادة الحكام الحاليين لأجل تعديل الوضعية، فإن الشعب لا ينضم الى السياسة الموصى بها .

يشعر المواطنون دائما انهم غرباء عن النظام ما دام احتكار السياسة الموجهة لا زال قائما .

و ستظهر لهم البلاد دائما وكأنها ملك للغير، من نبلاء الحكم وأعوانهم وأنهم ليسو معنيين بالأمر في شيء !

لن يجدي في شيء ان نحدد المسؤوليات اذا كان الهدف الوحيد من ذلك هو اظهار المسؤولين، والتشفي، وإرضاء شعور خفي بالثأر . وفضلا عن ذلك فهذا سيكون غير ذي طائل وغير لازم . فالبعض ليسوا من بين الأحياء، يرحمهم الله ! والآخرون بعيدون عن مطالنا، سواء كانوا إزاء أنفسهم قد صححوا وجهة رمي اتجاههم، او انهم لا يهتمون بأي شيء مما هو عمومي، ولا يبالون ابدا بمايقال او يظن عنهم . ولكنا بصدد دراسة الوضعية حتى نحاول وعلى ضوء الا عمال والتجربة والحقائق ان نخرج بما قد يفيدنا في المستقبل .

في سنة 1957 لم يكن الكفاح الا في بدايته، والغاية لازالت بعيدة عنا وكل الا فتراضات ولو كانت الا كثر بعدا عن المعقول يمكنها ان تحظى بالدعم .

سقوط اول (الحومة م ج ج)، تغيير ثاني (الحكومة م ج ج) واستبدال بن خدة بفرحات عباس على رأس ثالث (الحكومة م ج ج) كل هذا كان يعزى على الا قل من طرف المناضلين وازاء الرأي العام الى اسباب وعلل ذات صلة بأحسن سبيل لبلوغ استقلالنا . ولكن في جويلية 1962، ما هي الحجة التي يمكن لبن بلة ان يقدمها ؟ وما الا مر ياترى ؟ على ماذا يمكنه معاتبتنا ؟ الحرب انتهت، وانتزعنا استقلالنا، فهدفنا الا ول قد بلغ، حكومتنا كانت مؤقتة، وكنا سنلتقي ببعضنا البعض، ونلقى شعبنا ونعطيه تفويضنا . مرحلة جديدة كانت على الا بواب . ومعاتبتنا على الماضي كان امرا بمثابة ما هو غير مجدي، إجحاف بل وظلم في حقنا ! أحسنا أو أسأنا كل منا قام من جهته بإنجاز مهمتنا، في الحقيقة كان بن بلة دائما نائب رئيس (الحكومة م ج ج) ولم يطعن ابدا من هذا - لم يكن هناك ما يدعوه لذلك - وفي حقيقة اتفاقيات افيان فإنه قد تابعها

و وافق عليها من البداية الى النهاية ؟ فماذا إذن ؟ المرحلة التالية، المستقبل، لم نشرع فيها بعد . اول تخطيط قمنا به، مشروع طرابلس الذي كان سيعرض على الشعب بعد تقرير المصير أي بعد الا ستقلال، لم ينجر عنه اي نزاع، او سوء فهم، لاننا كنا نعتقد فعلا ان الا مر مهما كان لم يكن غير مسألة مستقبل.

نستخلص من هذا كله ان بن بلة لم يكن له اي دافع : غير الإستيلاء على السلطة وبالتالي فرض رأيه دون إستشارة الشعب أو أي شخص آخر . ربما كان يظن نفسه الوحيد الكفيل بقيادة البلاد نحو سعادتها ؟ وربما كان يعتقد أنه يقوم بمهمة مقدسة ؟ أو ربما كانت وراءه قوات اجنبية قلقة من رؤية الجزائر ستنعم عما قريب بحرية تقرير مصيرها ، أو ربما أوحت له رغبته في اجتناب الوقوع في لعبتها . عن غير علم، ان يقلب كل شيء رأسا على عقب ؟

وعلى اية حال، فالحكم الا حادي كان دائما الطموح الذي يقوده، وقد اظهره وبرهن عليه جليا خلال ثلاث سنوات من تربعه على عرش السلطة .

لقد طرأت هناك الكثير من التغيرات خلال مسيرة كفاحنا السياسي السلمي والمسلح . البعض كان يرقى الى اعلى واسمى مناصب المسؤولية والبعض الآخر كان يرجع لأبسطها من مناصب المنفذين .

لقد مكننا دائما حبنا للوطن، وارادتنا في الا هتمام بصالحه العام و وضعه فوق كل اعتبار ومصلحة شخصية، من ان نتحمل خيبة آمالنا وان نهزم غيضنا وغلنا . وهذا ما جعل تجندنا في الكفاح التحريري يعني قبل كل شيء خدمة وطننا . ومهما كانت مناصبنا في (الحكومة ا ح د) او (جبهة ت و) من القاعدة الى القمة، فقد عملنا دائما كل ما في وسعنا لإنجاز مهامنا على أحسن وجه . فهذا مبدأ تنظيمي هو في اعتقادنا عالمي . و بالإمتثال له ليس لنا أي فضل خاص، ولكن احترام هذا المبدأ هو الذي ضمن لـ (جبهة التحرير الوطني)

النصر في مارس 1962 ولنا الحظ والسعادة في اننا قد قدمنا في ذلك مشاركة متواضعة، وهذا ما جعلنا دوما وخصوصا في الوقت الذي كان الكفاح فيه قد أعلن نهائيا ضد الاحتلال الفرنسي، نتفادى ان نضع انفسنا محل الفرجة. فالتنازع علنيا كان سيضل شعبنا ويؤسف اصدقاءنا وحلفاءنا ويحرجهم و بالتالي يكون محل تهليل وإبتهاج اعدائنا.

إن الأبطال الحقيقيين لتاريخنا قد بذلوا ارواحهم فداءا لكي تصبح الجزائر البلد الحر الذي نعتز به نحن اليوم. وامام عطائهم السخي والتضحية الاسمى تبدو لنا مشاركتنا، أي عزة انفسنا وغرورنا، جد هينة ومظهرها لا يعلوه البريق كثيرا.

ولد سعد دحلب بقصر الشلالة في سنة 1918 وتوفي في 16 ديسمبر 2000. أنجز دراسته الثانوية بثانوية ابن رشد بالبليدة الى [illegible] عبان رمضان وبن يوسف بن خدة ومحمد يزيد...

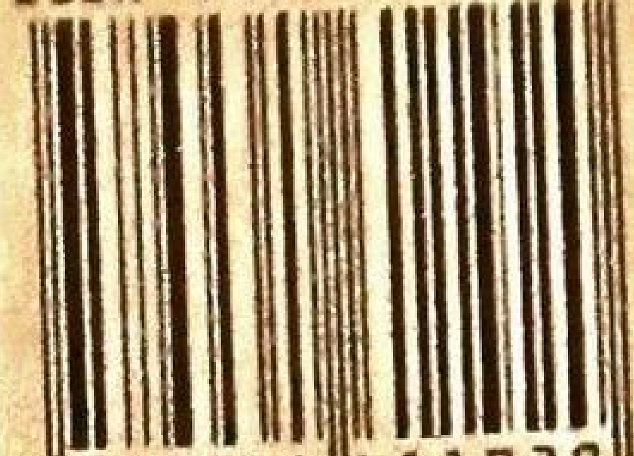
[illegible] نضاله مبكرا في حزب نجم شمال إفريقيا.

[illegible] في مظاهرات شعبية بقصر الشلالة في 18 [illegible] 1945 [illegible] سجن "بوسويي" (وهران) ثم إلى سجن [illegible] بالعاصمة.

واصل في حزب [illegible] 1954) ثم التحق بحزب جبهة التحرير الوطني عند اندلاع ثورة 1 نوفمبر 1954.

في أوت 1956 عين من قبل مؤتمر الصومام كعضو في المجلس الوطني للثورة الجزائرية وفي لجنة التنسيق والتنفيذ.

كان عضو في مختلف تشكيلات الحكومة الجزائرية المؤقتة مدير ديوان وزارة الإعلام في الحكومة الأولى، أمين عام وزارة الخارجية في الثانية ثم وزير الخارجية في الحكومة المؤقتة الثالثة التي وقعت على اتفاقيات "إفيان" وقادت الجزائر إلى الاستقلال فكانت "مهمة منجزة"



Conception Med